

A

كتاب تفسير لابي سعود

٣١

تعليق

آياصوفيه

١٣٥

CD

هذا فهرست سور الشريفه

سورة الفاتحه ٣	سورة البقرة ٩	سورة ال عمران ١١٥	سورة النساء ١٧١	سورة المائده ٢١٣	سورة الانعام ٢٥٨	سورة الاعراف ٣٠٢	سورة الانفال ٣٤٢	سورة التوبه ٣٥٦
سوره يونس ٣٨٨	سوره هود ٤١٦	سوره يوسف ٤٤٤	سوره الرعد [illegible]	سوره ابراهيم ١٣	سوره الحجر ٢٦	سوره النحل ٣٨	سوره اسرائيل ٦١	سوره الكهف ٧٩
سوره مريم ٩٨	سوره طه ١١١	سوره الانبياء ١٣٢	سوره الحج ١٤٨	سوره المؤمنون ١٦٣	سوره النور ١٧٥	سوره الفرقان ١٩٧	سوره الشعرا ٢١١	سوره النمل ٢٢٣
سوره القصص ٢٣٨	سوره العنكبوت ٢٤٧	سوره الروم ٢٥٣	سوره لقمان ٢٦٠	سوره السجده ٢٦٣	سوره الاحزاب ٢٦٧	سوره سباء ٢٧٨	سوره الملائكه ٢٨٦	سوره يس ٢٩٢
سوره الصافات ٣٠١	سوره ص ٣١٠	سوره الزمر ٣٢٠	سوره المؤمن ٣٢٨	سوره سجده حم ٣٣٥	سوره الشورى ٣٤١	سوره الزخرف ٣٤٧	سوره الدخان ٣٥٣	سوره الجاثيه ٣٥٦
سوره الاحقاف ٣٥٩	سوره محمد ٣٦٣	سوره الفتح ٣٦٨	سوره الحجرات ٣٧٢	سوره ق ٣٧٥	سوره الذاريات ٣٧٨	سوره الطور ٣٨١	سوره النجم ٣٨٤	سوره القمر ٣٨٨
سوره الرحمن ٣٩٠	سوره الواقعه ٣٩٣	سوره الحديد ٣٩٧	سوره المجادله ٤٠٢	سوره الحشر ٤٠٥	سوره الممتحنه ٤٠٨	سوره الصف ٤١٠	سوره الجمعه ٤١١	سوره المنافقين ٤١٣
سوره التغابن ٤١٤	سوره الطلاق ٤١٥	سوره التحريم ٤١٧	سوره الملك ٤١٩	سوره ن ٤٢٢	سوره الحاقه ٤٢٥	سوره المعارج ٤٢٧	سوره النوح ٤٢٩	سوره الجن ٤٣١
سوره المزمل ٤٣٣	سوره المدثر ٤٣٥	سوره القيمه ٤٣٧	سوره الدهر ٤٣٩	سوره المرسلات ٤٤١	سوره نباء ٤٤٣	سوره النازعات ٤٤٧	سوره عبس ٤٥٠	سوره التكوير ٤٥٢
سوره الانفطار ٤٥٤	سوره المطففين ٤٥٥	سوره الانشقاق ٤٥٧	سوره البروج ٤٥٨	سوره الطارق ٤٥٩	سوره الاعلى ٤٦٠	سوره الغاشيه ٤٦١	سوره الفجر ٤٦٣	سوره البلد ٤٦٥
سوره الشمس ٤٦٦	سوره الليل ٤٦٧	سوره الضحى ٤٦٧	سوره انشراح ٤٦٨	سوره التين ٤٦٨	سوره العلق ٤٦٩	سوره القدر ٤٧٠	سوره لم يكن ٤٧١	سوره الزلزال ٤٧٢
سوره العاديه ٤٧٣	سوره القارعه ٤٧٣	سوره التكاثر ٤٧٤	سوره العصر ٤٧٤	سوره الهمزه ٤٧٤	سوره الفيل ٤٧٥	سوره القريش ٤٧٥	سوره الماعون ٤٧٦	سوره الكوثر ٤٧٦
سوره الكافرون ٤٧٦	سوره النصر ٤٧٧	سوره تبت ٤٧٧	سوره الاخلاص ٤٧٨	سوره الفلق ٤٧٩	سوره الناس ٤٧٩	تم	بعون الله	تعالى

١١٤٩

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتلى اكرمه الله
تعالى بالزلفى والحسنى حرره
الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين عفي عنهما

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق • وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق • أنزل عليه
أظهر بينات وأبهر حجج • قرآنا عربيا غير ذي عوج • مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب • ناطقا بكل أمر رشيد • هاديا إلى صراط العزيز الحميد
آمرا بعبادة الصمد المعبود • كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود • تكاد الرواسي لهيبته تمور
ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور • حقيقا بأن تسير به الجبال • وتيسر به كل صعب محال
معجزا أفحم كل مصقع من مهرة قحطان • وبكت كل مفلق من سحرة البيان • بحيث لو اجتمعت
الإنس والجن على معارضته ومباراته • لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته • نزله عليه على فترة
من الرسل • ليرشد الأمة إلى أقوم السبل • فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين
فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين • فمن اتبع هداه • فقد فاز بمناه • وأما من عانده
وعصاه • واتخذ إلهه هواه • فقد هام في موامي الردى وتردى في مهاوي الزور
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور • صلى الله عليه وعلى آله الأخيار • وصحبه الأبرار
ما تناوبت الأنواء • وتعاقبت الظلم والأضواء • وعلى من تبعهم بإحسان • مدى الدهور والأزمان
وبعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي • أبو السعود بن محمد العمادي
إن الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم • وما كان حرف منها مسطورا • والحكمة الكبرى في تخمير
طينة آدم • ولم يكن شيئا مذكورا • ليست إلا معرفة الصانع المجيد • وعبادة
الباري المبدئ المعيد • ولا سبيل إلى ذلك المطلب الجليل • سوى الوقوف على مواقف التنزيل
فإنه عز سلطانه • وبهر برهانه • وإن سطر آيات قدرته في صحائف الأكوان • ونصب
رايات وحدته في صفائح الأعراض والأعيان • وجعل كل ذرة من ذرات العالم و
كل قطرة من قطرات العيلم • وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع • وكل حرف رقم في لوح الاختراع
مرآة لمشاهدة جماله • ومطالعة صفات كماله • حجة نيرة واضحة المكنون • وآية بينة
لقوم يعقلون • برهانا جليا لا ريب فيه • ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه • بل ما طفقا
يتلو آيات ربه فهل من سامع واع • ويحيا صادقا فهل له من داع • يكلم الناس على قدر
عقولهم • ويرد جوابهم بحسب معقولهم • يحاور تارة بأوضح عبارة • ويلوح أخرى بألطف
إشارة • لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل • والاستشهاد بتيك الأمارات والمخايل
والتنبه لتلك الإشارات السرية • والتفطن بمعاني تيك العبارات العبقرية • وما في تضاعيفها

خلاق القوى والقدر

من رموز أسرار القضاء والقدر • وكنوز آثار التعاجيب والعبر • مما لا يطيق به عقول البشر إلا بتوفيق
فائض مدار المراد • ليس إلا كلام رب العباد • إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية • والمفسر
لمشكلات الآيات التكوينية • والكاشف عن خفايا حظائر القدس • والمطلع على سرائر الأنس
وبه تكتسب الملكات الفاخرة • وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة • خلا أنه أيضا من علو الشأن
وسمو المكان • ونهاية الغموض والإعضال • وصعوبة المأخذ وعزة المنال • في غاية الغايات
القاصية • ونهاية النهايات النائية • أعز من بيض الأنوق • وأبعد من مناط العيوق • لا يتسنى
العروج إلى معارجه الرفيعة • ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة • كيف لا وإنه مع كونه متضمنا لدقائق
العلوم النظرية والعملية • ومنطويا على رقائق الفنون الخفية والجلية • حاويا لتفاصيل الأحكام الشرعية
ومحيطا بمناط الدلائل الأصلية والفرعية • منبئا عن أسرار الحقائق والنعوت • مخبرا بأطوار
الملك والملكوت • عليه يدور فلك الأوامر والنواهي • وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي
قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز • واحتجبت طلعته بسبحات الإعجاز • طويت حقائقه
الأبية عن العقول • وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول • ترنو عيون العقول سبحاته • وتخطف
أبصار البصائر بريقه ولمعانه • ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته • أساطين أئمة التفسير
في كل عصر من الأعصار • وتولى لتيسير عويصات معضلاته • سلاطين أسرة التقرير والتحرير
في كل قطر من الأقطار • فغاصوا في لججه • وخاضوا في ثبجه • فنظموا فرائده في سلك التحرير
وأبرزوا فوائده في معرض التقرير • وصنفوا كتبا جليلة الأقدار • وألفوا زبرا جميلة الآثار
أما المتقدمون المحققون • فاقتصروا على تمهيد المعاني • وتشييد المباني • وتبيين المرام
وترتيب الأحكام • حسبما بلغهم من سيد الأنام • عليه شرائف التحية والسلام • وأما
المتأخرون المدققون • فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة • وإبداء خباياه الفائقة
ليعاين الناس دلائل إعجازه • ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه • عن سائر الكتب الكريمة
الربانية • والزبر العظيمة السبحانية • فدونوا أسفارا بارعة • جامعة لفنون المحاسن
الرائعة • يتضمن كل منها فوائد شريفة • تقر بها عيون الأعيان • وعوائد لطيفة • تتشنف
بها آذان الأذهان • لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل • المتفردان بالشأن الجليل • والنعت
الجميل • فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز • كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز • صحائفهما مرايا
المزايا الحسان • وسطورهما عقود الجمان • وقلائد العقيان • ولقد كان في سوابق الأيام
وسوالف الدهور والأعوام • أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما • وزمان انتصابي لمفاوضتهما
ومدارستهما • يدور في خلدي على استمرار • آناء الليل وأطراف النهار • أن أنظم درر
فوائدهما في سمط دقيق • وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق • وأضيف إليهما ما ألفيته في
تضاعيف الكتب الفاخرة • من جواهر الحقائق • وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة
من زواهر الدقائق • وأسلك خلالها بطريق الترصيع • على نسق أنيق وأسلوب بديع
حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل • ويستدعيه جزالة نظمه الجليل • مما سنح للفكر العليل • بالعناية الربانية

وسمح به النظر الكليل • بالهداية السبحانية • من عوارف معارف يمتد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب • وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير اريب • وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام • في مداحض الاقدام • وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام • من خواطر الانام في معارك افكار • يشتبه فيها الشئون • ومدارك انظار • يختلط فيها الظنون • وابرز من وراء استار الكمون • من دقايق السحر المخزون • في خزائن الكتاب المكنون • ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز • وخبايا الكنوز • واهديها الى الخزانة العامرة • الغامرة للبحار الزاخرة • لجناب من خصه الله بخلافة الارض • واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض • الا وهو السلطان الاسعد الاعظم • والخاقان الامجد الاكرم مالك الامامة العظمى • والسلطان الباهر • وارث الخلافة الكبرى • كابرا عن كابر • رافع رايات الدين الازهر موضح آيات الشرع الانور • مرغم انوف الفراعنة والجبابرة • معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب • بنصر العزيز وجنوده الغالب • الهمام الذي شرق غربه المنيف فانتهى الى المشرق الاسنى • وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او دنا • بخميس عرمرم متزاحم الافواج • وعسكر لجب خضم متلاطم الامواج • فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب • وما بين نقطتي الشمال والجنوب • منتظما في سلك ولايته الواسعة • ومندرجا تحت ظلال رايته الرائعة • فاصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون • فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط • واستغرق فلكه البحر المحيط • وكانه فضاء ضربت فيه خيامه • او نصبت عليه الويته واعلامه • مالك ممالك العالم • ظل الله الظليل على كافة الامم • قاصم القياصرة وقاهر القروم • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين • وخاقان الخافقين • الامام المقتدر بالقدرة الربانية • والخليفة المعز بالعزة السبحانية • المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين • وحماية المقامين الجميلين المفخمين • ناشر القوانين السلطانية • عاهل الخواقين العثمانية • السلطان ابن السلطان • السلطان سليمان خان • ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور • صاحب المغازي المشهورة • في اقطار الامصار • والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار • السلطان سليمخان • ابن السلطان السعيد • والخاقان المجيد • السلطان بايزيد خان • لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان • وارواح اسلافهم العظام متنزهة في روضة الرضوان • وكنت اتردد فيه بين ذلك اقدام واحجام • لقصور شاني وعزة المرام • اين الحضيض من الذرى • شتان بين الثريا والثرى • وهيهات اصطياد العنقاء بالشباك • واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك • فمضت عليه الدهور والسنون • وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون • فابتليت بتدبير مصالح العباد • برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد • فحال بيني وبينما كنت اخال • تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وهجوم العوارض والعلائق • وهجوم الصوارف والعوائق • والتردد الى المغازي والاسفار • والتنقل من دار الى دار • وكنت في تضاعيف تلك الامور • اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ويتسنى لي القرار • وتطمئن بي الدار • واظفر حينئذ بوقت خال • اتبتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهي • واسلم له سري وعلانيتي • وانظر الى كل شيء بعين الشهود • واتعرف سر الحق في كل موجود •

تذكر ٤

وجه ٤

سليم خان ٤

فذلكة ٤

تلافيا لما قد فات • واستعدادا لما هو آت • واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه • واتولى تكميل ما توجهت اليه • برفاهية واطمئنان • وحضور قلب وفراغ جنان • فبينما انا في هذا الخيال • اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول • فوقعت في امر اشق من الاول • امرت بحل مشكلات الانام • فيما شجر بينهم من النزاع والخصام • فلقيت معضلة طويلة الذيول • وصرت كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى • وغمرني اي غمر • غوارب ما جرى بين زيد وعمرو • فاضحيت في ضيق المجال • وسعة الاشغال • اشهر ممن يضرب بها الامثال • فجعلت اتمثل بقول من قال • لقد كنت اشكو الحوادث برهة • واستمرض الايام وهي صحايح • الى ان تغشتني وقيت حوادث • تحقق ان السالفات منايح • فلما انصرمت عرى الآمال • عن الفوز بفراغ البال • ورايت ان الفرصة على جناح الفوات • وتمحل الاسباب في شرف الشتات • وقد مسني الكبر • وتضاءلت القوى والقدر ودنى الاجل من الحلول • واشرفت شمس الحيوة على الافول • عزمت على انشاء ما كنت انويه • وتوجهت الى املاء ما ظلت ابتغيه • ناويا ان اسميه عند تمامه • بتوفيق الله تعالى وانعامه • ارشاد العقل السليم • الى مزايا الكتاب الكريم • فشرعت فيه مع تفاقم المكادة على • وتزاحم المشاده بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت • خلاق عالم الملك والملكوت • في ان يعصمني عن الزيغ والزلل • ويقيني مصارع السوء في القول والعمل • ويوفقني لتحصيل ما اروم وارجوه • ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه • ويجعله خير عدة وعتاد • اتمتع به يوم المعاد • فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال • نحو بابه المنيع • ورفعت ايدي الضراعة والسؤال • الى جنابه الرفيع • افض علينا شوارق انوار التوفيق • واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق • وثبت اقدامنا على مناهج هداك • وانطقنا بما فيه امرك ورضاك • ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن • وخذ بناصيتنا الى الخير حيث كان • جباهنا على جباه الاستكانة ضارعين • ولابواب فيضك قارعين • انت الملاذ في كل امر مهم • وانت المعاذ في كل خطب ملم • لا رب غيرك • ولا خير خيرك • بيدك مقاليد الامور • لك الخلق والامر واليك النشور •

سورة فاتحة الكتاب

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا • والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطة لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يستدعى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقضاء ما عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة لكونه جزأ منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطة على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول هو ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوايل عهد النبوة قبل

تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي
فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة
بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا آخر له ومدار
التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل
اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية
مبدأيته له واما الاخيران فلان اعتبار المبدأية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب
في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق
الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدأيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء
على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام
العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن
هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة
الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام
البخاري في صحيحه من انه يقرأ بها في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله
عليه السلام انها نزلت من كنز العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية
وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها
فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات
تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى
حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص بسم الله
الرحمن الرحيم اختلفت الائمة في شأن التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا
وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية
وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهم وعليه
يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها انزلت مع كل سورة
وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وهو القول الجديد للشافعي ره ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي
لم يسبقه اليه احد وقيل انها من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها
اولا ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس
وابي هريرة رض وقيل انها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في
البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من ان يكون
جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو

انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محتملي تردد الشافعي
فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا اولا
وقيل بين ان يكون آية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي ره هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل ره
في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها
ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلثة الاول والاتفاق على اثباتها في
المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر
المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي
كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي عن ابي هريرة من انه
صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة رض
من انه عليه السلام قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية
وان دل كل واحد منهما على نفي القول الثاني فليس شيء منهما نصا في اثبات القول الثالث
اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو
المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجأ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد
السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية
السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر
ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند
مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم
المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك
على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة
اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية
لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدأ وهذا الى آخر
السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج
الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر
للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على
السكون فاذا دخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد
له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه وعند
الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها
ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال
بسم الذي في كل سورة سمه واتما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة

فاتحة الكتاب

بهنا فانها تكون تارة بذاته تعا وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة
المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة
بإياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم
يصدر باسمه تعا يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد
بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة
الاولى ان قيل فليحمل البا على التبرك ويستغنى عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع
كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم ليتقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل البا على
الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت البا عوضا عنها
والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها
حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت
فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض
من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله
في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار
احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق
على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه
اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال
اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات
المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن
معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها
كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسم الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى
الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها
وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شأنه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى
فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر
وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعا وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع
من امر نزل به واله غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعا يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على
انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه
مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه
على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل
وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به
واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود
بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه

اذا لم ينكسر

ذلك بانه لا يجوز الفصل عن التعلق بالصرف ... وقصد وقوع نفس نفط ... لان بطل ... نفل الاوصيه ... الاعمال الفرزنة ... الصفه ... نسخه صحيحه

اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء
لضرورة الشعر في قوله • الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال • والرحمن الرحيم
صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم
ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب
والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق
اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد والقريب فان اسماء الله تعا تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعا
وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود
فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان
تقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه
الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك
قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تأخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى
كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون
قرينا للاسم الجليل الخاص به تعا ولان ما يدل على جلائل النعم وعظامها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها
وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت بالجميل على الجميل
اختياريا كان او مبتدأ على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها
يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني
بمفعوله على منهاج عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته
فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها
منبئ عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية
تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه
عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان
يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانهاء
اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من الانحاء تعلقه به كيفية لائقة
بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول
الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب
فان قولك اعنته مشعر بانهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون الفعل واحدا ومفعولان
يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني
المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى
وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان
اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها

واصولهام

مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك
الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل واختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية
التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه
ورشاقة قده واما ما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام
في المعنى كالنصر والتأييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما نرى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول
وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد والائق
بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
وفي قولهم هذا الامر عاقبته حميدة • وفي قول الاطباء بحران محمود • مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل
من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعا ثم تحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له
عز وجل فائدة يعتد بها • واما الشكر فهو مقابلة النعم بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم
بنعت الكمال • كما قال من قال • افادتكم النعماء مني ثلثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • فاذن هو اعم
منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعم والاعتداد
بشأنها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاكا
لامره في قوله صلى الله عليه وسلم • الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره
الظرف واصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا
كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل
واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه
فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام • وينساق اليه الاذهان والافهام •
ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسأل عن كيفيته
على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه
بيانا لحمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر
بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها
السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا اتضح فساد ما قيل انه استيناف
جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم
اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان توسيط جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة
اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما تحيط
خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت
وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة
عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى • قالوا سلاما قال سلام • وتعريفه للجنس ومعناه
الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي

بين

كيف

لكيفية حمدهم

لتخصيص

لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد
الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام
الخطابي منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها
حسبما يقتضيه المقام • وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء
على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين
بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ
منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى
التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه
يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك
وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي
ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق
والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع
من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها ومجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك
وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث
وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان
كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على
حاله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الآفاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر
وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد
لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه
في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمعونة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل
انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله
يحب المحسنين • اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفرده
التقديري ومن قضيته هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول
لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر
الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته
على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم • واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس
الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه يستدل على
الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد
تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر • مما عز وهان • وحضر في المحاضر •

مغفرعين

كائنا ما كان • ودليل لائح على الصانع المجيد • وسبيل واضح الى عالم التوحيد • واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة
الى بيانه اذ لا شيء مما صدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات
والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما
استقر له القرار • ولا اطمأنت به الدار • الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار • لكن يفيض عليه من الجناب
الاقدس تعالى شانه وتقدس • في كل زمان يمضي • وكل آن يمر وينقضي • من فنون الفيوض المتعلقة بذاته
ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير • ولا يعلمه الا العليم الخبير • ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات
بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم
ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء
عدمه الطاري لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية
التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده
وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف
وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى
على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد
الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم شانه سلطانه • لا تلاحظه العيون
بانظارها • ولا تطالعه العقول بافكارها • شانه لا يضاهى • واحسانه لا يتناهى • ونحن في معرفته حائرون
وفي اقامة مراسم شكره قاصرون • نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك • والتوفيق لاداء حقوق
نعمتك • لا نحصي ثناء عليك • لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك • الرحمن الرحيم • صفتان لله فان اريد
بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين • او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه
تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل
فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته
تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل • والاوفق لمقاصده مالك
يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين
المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر • والاستيلاء الباهر • والغلبة التامة •
والقدرة على التصرف الكلي في الامور العامة • بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما
في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالكا بالنصب
على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني
وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر
كما تدين تدان • والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا وأما الاول في الاول
والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة

القيام

في

القيام والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بالمفعول لانها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام
السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين
وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة
سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه
من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته
واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء
المعنى على حاله كقوله • يا سارق الليلة اهل الدار • اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين • وخلو اضافته عن افادة
التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي
كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم
الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز
ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما تشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به
انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا يرى انك تقول في لك عبيده امس انه
مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم والتهويل
او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء
تلك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به
تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت
كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهرة لانهما متعرضتان صراحة لكونه
تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة
الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات
كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى
بالاختصاص • اياك نعبد واياك نستعين • التفات من الغيبة الى الخطاب • وتلوين للنظم من باب الى باب
جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام • ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام • لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب
ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب • يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين
كما في قوله عز وجل • الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا • الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير
ذلك من الالتفات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها • ومزايا تستدعيها • ومما استأثر به هذا المقام الجليل
من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة
التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور • بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور • فاستدعى استعمال صيغة
الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب
للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية
المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي

اياك نعبد والعبادة والاستعانة

اياك نعبد والعبادة والاستعانة

مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان • وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود
ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو
يدعو بالخضوع والاخبات • ويقرع بالضراعة باب المناجاة • قائلا يا من هو شئون ذاته وصفاته
نخصك بالعبادة والاستعانة • فان كل ما سواك كائنا ما كان • بمعزل عن استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق
ان يعبد او يستعان • ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة
التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنبهة للتبتل اليه بالكلية واياه ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف
والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت
والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر واياه دعامة لها لتصيرها منفصلة
وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة
اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى
به الله والعبودية الرضى بما يفعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم
المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به
قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل
واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من
مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية
على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة
حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسئول
ادعى الى الاجابة والقبول • هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه
كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسئول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق
بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان الاستعانة مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله المستعينة تعالى
في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد
والثناء لا يكاد يخطر بباله • من افعاله واحواله • الا الاقبال الكلي عليه • والتوجه التام اليه • ولقد فعل ذلك
بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما
بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه
من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها
وبكونها عند العابد • اشرف المباغي والمقاصد • وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه • ومن الملازمة
لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في
الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة
واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من جملتهم • وجماعة هو من زمرتهم • كما
هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك • سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة

المحوج الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم • افراد لمعظم افراد المعونة
المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على
ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم • وارد على نهج التهكم • والاصل تعديته
بالى واللام كما في قوله تعالى عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة
في اجناس مترتبة منها الانفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية و
الحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية و
منها الافاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما
لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال
الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الافاقية
والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون •
وفي قوله عز وجل ان في اختلاف الليل والنهار • وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون •
ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام • ولكل مرتبة من هذه المراتب
صاحب ينتحيها • وطالب يستدعيها • والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا
واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا
عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة
والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من
سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم
الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد
وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث
والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط • صراط الذين
انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد
والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء
بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان
النعم كلها فمن فاز بها فقد حاز بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون
في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة
ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ
والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان
من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها
ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه

تعدية

العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي كتلية النفس عن الرذائل وتحليها بالاخلاق السنية والملكات

واعداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتحليس البدن والقوى الحالة فيه والهيئات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئه في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين انه لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الاداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين آمين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ورحم الله عبدا

قال امينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله روى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روي وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الالف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرانية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القران وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلثة احرف فحكى ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد فالكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى ما في الرواية

البي

لا آخره من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بأنفسهما
ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الألفاظ صدر الاسم ليكون هو المفهوم
منه أثر ذي أثير خلا أن الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة إذ لا مناسبة بينها وبين
مبني الأصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الأعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك
قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وإن عاقب بها الإعراب وقصرت متأخرة الألف
عند التهجي لابتغاء الخفة لا لأن وزانها وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد أخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه
ما قال لا قط إلا في تشهده • لولا التشهد لم تسمع له لاء • وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما أريد بها فقيل إنها
من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة • روي عن الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال في كل كتاب سر وسر القرآن
أوائل السور • وعن علي رضي الله تعالى عنه إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي • وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما أنه قال عجزت العلماء عن إدراكها • وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه • وقيل إنها أسماء الله تعالى
وقيل كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسمائه تعالى أو صفة من صفاته تعالى وقيل إنها صفات الأفعال الألف آلاؤه واللام لطفه
والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل إنها من قبيل الحساب وقيل الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أي أنزل
الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد • وقيل هي أقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث إنها أصول
اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني أسمائه الكريمة • وقيل إشارة إلى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر • وقيل وقيل
ولكن الذي عليه التعويل إما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه
قالوا سميت بها إيذانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فلولا أنه وحي من الله عز وجل لما
عجزوا عن معارضته • ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من أنها أسماء للقرآن • والتسمية بثلاثة أسماء
فصاعدا إنما تستنكر في لغة العرب إذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فأما إذا كانت منثورة فلا استنكار
فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الأمر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما
لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا وإنما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لأنه أدل على كيفية
التلفظ بها وهي أن يكون على نهج التهجي دون التركيب ولأن فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على أن
خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس • وإما كونها مسرودة على نمط التعديد وإليه جنح أهل التحقيق قالوا
إنما وردت هكذا ليكون إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا
أنه خارج عن طوق البشر • نازل من عند خلاق القوى والقدر • لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم •
وهم فرسان حلبة الحوار • وأمراء الكلام في نادي الفخار • دون الإتيان بما يدانيه • فضلا عن المعارضة بما يساويه •
مع تظاهرهم في المضادة والمضارة • وتهالكهم على المعازة والمعارة • وليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا
بضرب من الغرابة أنموذجا لما في الباقي من فنون الإعجاز فإن النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام • وإن كان
على طرف الثمام • يتناوله الخواص والعوام • من الأعراب والأعجام • لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى ممن درس وخط •
وأما من لم يحم حول ذلك قط • فأعز من بيض الأنوق • وأبعد من مناط العيوق • لا سيما إذا كان على نمط عجيب •
وأسلوب غريب • منبئ عن سر سري • مبني على نهج عبقري • بحيث يحار في فهمه أرباب العقول • ويعجز عن
إدراكه ألباب الفحول • كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة

على نصفها تقريبا • بحيث ينطوي على أنصاف أصنافها تحقيقا أو تقريبا • كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض
أفاضل أئمة التفسير • فسبحان من دقت حكمته من أن تطالعها الأنظار • وجلت قدرته عن أن تنالها أيدي الأفكار
وإيراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية إلى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها
على السور دون إيراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والإعادة • من زيادة إفادة • وتخصيص كل منها
بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت أما الم فآية
حيث وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية • والمر لا تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها
الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس • ويس آيتان وطس ليست بآية • وحم آية في سورها كلها وكهيعص
آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل
إن جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وأما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم
إنها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الإعراب ويوقف عليها وقف
التمام • وعلى تقدير كونها أسماء للسور أو للقرآن كان لها حظ منه إما الرفع على الابتداء أو على الخبرية
وإما النصب بفعل مضمر كما ذكر أو بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن وإما الجر بتقدير حرفه حسبما
يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه
الحكاية ساكنة الأعجاز إلا أن ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون تتأتى فيها الإعراب اللفظي أيضا
وقد قرئت بالنصب على إضمار فعل أي اذكر أو اقرأ صاد وقاف ونون وإنما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت
منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب
أسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسما أعجميا ثم قال اذكر ياسين
انتهى وحكى السيرافي أيضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز أن يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ
للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على
مقسم عليه واحد قبل انقضاء الأول وهو السر في جعل ما بعد الواو الأولى في قوله تعالى والليل إذا يغشى • والنهار
إذا تجلى • وما خلق الذكر والأنثى • عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الأول والثاني في الإعراب
نعم يجوز ذلك بجعل الأول مجرورا بإضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف
بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طس ميم أن تفتح نونها من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه
في كتابه وأما ما بعد ذلك من الفواتح فليس فيها إلا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر أحكام كل منها مشروحة في
مواقعها بإذن الله عز سلطانه أما هذه الفاتحة الشريفة فإن جعلت اسما للسورة أو للقرآن فمحلها الرفع إما على أنه
خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم أي مسمى به وإنما صحت الإشارة إلى القرآن بعضا أو كلا مع عدم سبق ذكره
لأنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وإما على أنه مبتدأ أي المسمى به
والأول هو الأظهر لأن ما يجعل عنوان الموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم
بالتسمية قبل فحقها الإخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في أن المسمى هي السورة أو كل القرآن ذلك ذا
اسم إشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار إليه والكاف للخطاب والمشار إليه هو المسمى فإنه منزل
منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية

من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه
في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره
على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى لا من حيث هو سورة
ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية في الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير
ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له
او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى
لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير
الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس
من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة
للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما انه
ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما
باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء حسبما ذكر في فاتحة
الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب
المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل
القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية
تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال
هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مراضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم
يا ام خالد فالموح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل
في الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لساير افراده من
الكتب السماوية لا بعضه الذي يطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا
للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان ساير السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها
لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير
كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه
مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو
المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب
العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود ومعنى البعد ظاهر خلا
انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل
وان كان هو القرآن فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير
كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف
او بتقدير مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه
اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك

الدنيا

على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر اخرا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة
للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب
وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب
خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف
صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون
فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى
ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل
فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس و
يزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع
البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا
الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الآية فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا الخ
او ان ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه
ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد بها هنا ذلك الاشعار
كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في ساير الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى
مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل
هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في
مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى
المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل
لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني
على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا
الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على
الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من
اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين
محققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى او لا بد
فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر
هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا بحسب
اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة
التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى القصد

توجه عن علم الى ما من شانه
الايصال الى البغية كما ان
الضلال لا بد فيه من اعتبار عدم

تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عند الوصول فحيث كان امرا مستمرا متشبثا بقضية
من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن
مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب
عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كالخرم
المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد
اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما
واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي
يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما
كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها
مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة
عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه
اصلا ولا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله
كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة من انكسار ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك
الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير ذلك
من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا مطرد في آثاره الطبيعية واما الآثار
التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها ترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها
الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها فحيث
كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته
ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة
العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار
ترتبهما عليهما في الجملة لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين
للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر
والدعوة بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا
اذا تمهد هذا فنقول لما كان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المامور والمدعو
باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين
عليهما في الجملة كذلك هدى المهتدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره
غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما
لم يعدا من متممات الامر والدعوة ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه
لم يعد الهدى من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل
ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة
بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما مامورا او مدعوا وليس من ضرورة اتصافهما بالامتثال والاجابة

كالعزائم

تلك الآثار

اولا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه
لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم للاتصاف
بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور
والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي
عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول
من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق و
الاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر
الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية
فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم
قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة
عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك فلا يصح اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر
في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا
على ترتيب تقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما تتم للآخر معتبر في مدلوله واما
الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية
الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم
نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق
الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك والمستبد والمتعلم لسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا
اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم
فحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك ويحمل تسميته مالا يستتبع الهدى بها على التجوز
قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب
الضعيف لذلك واما ان تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه
الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة
عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها
الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة
وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهديكم ونحو ذلك
مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالة التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبيانات
التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة
من عند الله سبحانه وتعالى والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

للمتقين اي المتصفين بالتقوى حالا او مالا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره
وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك للاعتبار قال الله تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من
باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة

قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز
انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس
وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن
سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن
ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر
وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار
الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض
الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم
يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان التقوى ثلاث
مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله
تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل
اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة
عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم
بموجب المشيئة الالهية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث
جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم
الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق لكمال استعداد
نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين
فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون
للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة
الكريمة بذكر اولياء الله تعالى وتفخيم شأنهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني
بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين
المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المترتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه
ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعين الحقيقة
وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه
هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه
فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه
ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ
خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او
من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا
على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة

المبالغة

كأنه نفس الهدى او جعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة
تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية
مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل
اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة
شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز
المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى
مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك
كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه جعلنا حقيقة
الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي
فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات
وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو
عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او
مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث
بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني
او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي
بيانه فالوقف على المتقين ح وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول
فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر
واما على تقدير النصب والرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما
قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزم حذف
الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة
الاتصال بينهما فالحق اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي التفنن
الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه
المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل
لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره اولئك على هدى
في انه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من
الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى
والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف
غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدأ في الصورتين وان

سواء كان وصفا مقيدا او موضحا او مادحا

كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ اجمالا حسبما تحققه معلوم الثبوت
له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات
مراعاة لجانب المعنى ان يسمى قطعا ومراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان
معلوم الانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى
الموصوف فحقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
واما الخبر الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة كما تستحيط به
خبرا مفيدا للمخاطب فوايد رائقة جعل ذلك مقطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان
افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال آمنته غيري ثم استعمل في
التصديق لان المصدق يومن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه
معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت
ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن هنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق
بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها
وهل هو كاف في ذلك وحده او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن شايعه
فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين
له الا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار
به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان
غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب
مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في
هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب
عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم
لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه
دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الآخر واحواله من
البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف
او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يومنون
متلبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد
النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مومن افضل من الايمان
بغيب ثم قرأ هذه الآية اي واما عن الناس غائبين او عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يومنون

بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما
للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب
الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها
من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها
ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب
فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل
عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح
والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى
وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك
الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى
الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما
رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي
وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام
لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته
ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم
بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا
الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة
حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء
من غير فاحشة انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله لقد
رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا
لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق
والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف
الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها
لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة
على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع
المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به
ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه
مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا على تقدير الوصل معا او من حيث المعنى فقط
اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن

بالتعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الذين آمنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام
واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم
عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرايع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف
الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرايع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار
ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما
لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه
من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير
مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء
الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة فان كمال العلم
بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها لكمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد
اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها
بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به
والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة
مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى قولهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول
للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل وان اريد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في
الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان
ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال فالانزال
النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول
ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل
تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد
بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه
مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع
كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا
ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وساير الكتب السابقة وعدم
التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل
حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الآية
وللايمان بالكل جملة فرض وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية
فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان
بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وبالآخرة هم يوقنون

الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما
قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة
هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض
بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول
الى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى
الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء
لضم ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما
الوقود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه
دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا على هدى
خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه
ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء
ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية
متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية
بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم
متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى
كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه
ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين بالمتقين مستقلة
لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب
هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه
من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل للمنعوتين بما
ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم
بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب
في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جاز عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك
الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما
مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف
عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل
بيان مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى
عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شئونهم احقاء بما هو

اى ضمير هم

تعالى

موصولين

اى الجملة الصلة للموصول
الذي خبره جملة اولئك
سنه ح

اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم في سبيل الله
اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه
الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت
الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب
للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف لصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه
بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان
يكون الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتداء واولئك الخ خبره ويجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون
في نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه
على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحد من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم
بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة
الثانية مقررة للاولى واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى
نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل
الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتداء خبره المفلحون
والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون
في الاخرة واشارة الى ما تعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص
المتقين بنيل ما ذكر من المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبما اشير اليه
في تضاعيف تفسير الاية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى الاقتداء بسيرهم ما لا يخفى مكانه
والله ولي الهداية والتوفيق ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة
المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل
وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب
في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء
جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال نشا من الكلام المتقدم
فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية و
الضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي
والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما
اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للآخرين لان
العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل
في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما

واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني
ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان
ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف
واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في مواقع الشك والانكار
لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك
فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب
وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى
سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع ولليل
كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وقال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه
وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما
عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق
النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت
المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه
لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق
العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة
قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه
خبر لان وقوله تعالى اانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام
لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا
تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه
قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتداء و
سواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على
حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة
والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي
قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل
لما فيه من ايهام التجدد والتوسل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء
وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتداء وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار
وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من
نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد هاهنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي
والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا
في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا
اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف

الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ
قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها
مبنية لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان
ما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل به
على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه
المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف
ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا
من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لاسيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع
الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان
بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم
بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه الصلوة والسلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء
عليهم ولم يقل سواء عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي
الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة
ختم الله على قلوبهم استيناف تعليل لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد
بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه
صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملو والاول هو الانسب بالمقام
اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في
التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا
اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية
المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه
وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه
الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها
ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال
معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين
ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي التشبيه
مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصور تلك الهيئة و
انتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد مقصد بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ
وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما
اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية
على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني

تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها لم يكن ما دل على الهيئة
المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم
من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ
ابي عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل
المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما شبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور آخر من قبيل
الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاسناد جميع الحوادث
عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون
افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه
من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل
وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة
لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى
خالية عن الفطن او بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سال الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت
غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه
ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر
ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار
بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه
مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله
داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما
في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها
الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها
فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما
يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة
السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم
حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال ولان جنايتهم من حيث السمع الذي به
يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يتامل الاحوال الدالة على
التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما
قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع
وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار
الاصل والتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في افراد الختم على ذلك كما مر من قبل
وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية

ان ذلك في الاخرة وانما الخبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه ولبعضه
قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم عميا وبكما وصما

ای التغطیة بنیت لما یشتمل علی الشیء کالعصابة والعمامة وتنکیرها للتفخیم والتهویل وهی علی رای سیبویه
مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة علی ما قبلها وایثار الاسمیة للایذان بدوام مضمونها فان ما
یدرک بالقوة الباصرة من الایات المنصوبة فی الآفاق والانفس حیث کانت مستمرة کان تعامیهم من ذلک
ایضا کذلک واما الآیات التی تتلقی بالقوة السامعة فلما کان وصولها الیها حینا فحینا اوثر فی بیان الختم علیها
وعلی ما هی احد طریقی معرفته اعنی القلب الجملة الفعلیة وعلی رای الاخفش مرتفع علی الفاعلیة مما تعلق
به الجار وقرئ بالنصب علی تقدیر فعل ناصب ای وجعل علی ابصارهم غشاوة وقیل علی حذف الجار وایصال
الختم الیه والمعنی وختم علی ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فیها وغشوة
بالکسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعین غیر المعجمة والرفع ولهم عذاب عظیم وعید
وبیان لما یستحقونه فی الاخرة والعذاب کالنکال بناء ومعنی یقال اعذب عن الشیء اذا امسک عنه ومنه الماء
العذب لانه یقمع العطش ویردعه ولذلک سمی نقاخا فانه ینقخ العطش ای یکسره وفراتا لانه یرفته علی
القلب ای یکسره ثم اتسع فیه فاطلق علی کل الم فادح وان لم یکن عقابا یراد به ردع الجانی عن المعاودة
وقیل اشتقاقه من التعذیب الذی هو ازالة العذب کالتقذیة والتمریض والعظیم نقیض الحقیر والکبیر نقیض
الصغیر فمن ضرورته کون الحقیر دون الصغیر کون العظیم فوق الکبیر ویستعملان فی الجثث والاحداث تقول
رجل عظیم وکبیر ترید جثته او خطره ووصف العذاب به لتاکید ما یفیده التنکیر من التفخیم والتهویل والمبالغة
فی ذلک والمعنی ان علی ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما یتعارفه الناس وهی غشاوة التعامی عن الآیات ولهم
من الالام العظام نوع عظیم لا یبلغ کنهه ولا تدرک غایته اللهم انا نعوذ بک من ذلک کله یا ارحم الراحمین
ومن الناس شروع فی بیان ان بعض من حکیت احوالهم السالفة لیسوا بمقتصرین علی ما ذکر من محض الاصرار
علی الکفر والعناد بل یضمون الیه فنونا اخر من الشر والفساد وتعدید لجنایاتهم الشنیعة المستتبعة للاحوال
الهائلة عاجله وآجله واصل ناس اناس کما یشهد له انسان واناسی وانس حذفت همزته تخفیفا کما قیل لوقه فی
الوقه وعوض عنها حرف التعریف ولذلک لا یکاد یجمع بینهما واما ما فی قوله ان المنایا یطلعن علی
الاناس الآمنینا فشاذ سموا بذلک لظهورهم وتعلق الایناس بهم کما سمی الجن جنا لاجتنانهم و
ذهب بعضهم الی ان اصله النوس وهو الحرکة انقلبت واوه الفا لتحرکها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الی
انه ماخوذ من نسی نقلت لامه الی موضع العین فصار نیسا ثم قلبت الفا سموا بذلک لنسیانهم ویروی
عن ابن عباس رضی الله عنه انه قال سمی الانسان انسانا لانه عهد الیه فنسی واللام فیه اما للعهد او للجنس
المقصور علی المصرین حسبما ذکر فی الموصول کانه قیل ومنهم او من اولئک والعدول الی الناس للایذان
بکثرتهم کما ینبئ عنه التبعیض ومحل الظرف الرفع علی انه مبتدا باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدا
کما فی قوله عز وجل ومنا دون ذلک ای وجمع منا الخ ومن فی قوله تعالی من یقول موصولة او موصوفة ومحلها
الرفع عن الخبریة والمعنی الناس الذی یقول کقوله تعالی ومنهم الذین یؤذون النبی الخ او فریق یقول
وبعض الناس او بعض من صح
کقوله تعالی من المؤمنین رجال الخ علی ان یکون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما فی حیز الصلة
او الصفة وما یتعلق به من الصفات جمیعا لا کونهم ذوات اولئک المذکورین واما جعل الظرف
خبرا کما هو الشایع فی موارد الاستعمال فیاباه جزالة النظم الکریم لان کونهم من الناس ظاهر فلا اخبار به
المعنی

عار عن الفائدة کما قیل فان مبناه توهم کون المراد بالناس الجنس مطلقا وکذا مدار الجواب عنه بان الفائدة
هو التنبیه علی ان الصفات المذکورة تنافی الانسانیة فحق من تصیف بها ان لا یعلم کونه من الناس
فیتحیر به ویتعجب منه وانت خبیر بان الناس عبارة عن المعهودین او عن الجنس المقصور علی المصرین
وایا ما کان فالفائدة ظاهرة بل لان خبریة الظرف تستدعی ان یکون اتصاف هؤلاء بتلک الصفات
القبیحة المفصلة فی ثلث عشرة آیة عنوانا للموضوع مفروغا عنه غیر مقصود بالذات ویکون
مناط الافادة کونهم من اولئک المذکورین ولا ریب لاحد فی انه یجب حمل النظم الجلیل علی اجزل
المعانی واکملها وتوحید الضمیر فی یقول باعتبار لفظه من وجمعه فی قوله تعالی آمنا بالله وبالیوم الآخر
وما بعده باعتبار معناها والمراد بالیوم الآخر من وقت الحشر الی ما لا یتناهی او الی ان یدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصیصهم للایمان بهما بالذکر مع تکریر الباء للادعاء بانهم قد
حازوا الایمان من قطریه واحاطوا به من طرفیه وانهم قد آمنوا بکل منهما علی الاصالة والاستحکام وقد
دسوا تحته ما هم علیه من العقائد الفاسدة حیث لم یکن ایمانهم بواحد منهما ایمانا فی الحقیقة اذ کانوا
مشرکین بالله بقولهم عزیر ابن الله وجاحدین بالیوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا ایاما معدودة
ونحو ذلک وحکایة عبارتهم لبیان کمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا علی وجه الخداع
والنفاق وعقیدتهم لم یکن ذلک ایمانا فکیف وهم یقولونه تمویها علی المسلمین واستهزاء بهم وما هم
عقیدتهم صح
بمؤمنین رد لما ادعوه ونفی لما انتحلوه وما جاز به فان جواز دخول الباء فی خبرها لتاکید النفی اتفاقی بخلاف
التمیمیة وایثار الجملة الاسمیة علی الفعلیة الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة فی الرد بافادة انتفاء
الایمان عنهم فی جمیع الازمنة لا فی الماضی فقط کما یفیده الفعلیة ولا یتوهم ان الجملة الاسمیة الایجابیة
تفید دوام الثبوت فعند دخول النفی علیها یتعین الدلالة علی نفی الدوام فانها بمعونة المقام
تدل علی دوام النفی قطعا کما ان المضارع الخالی عن حرف الامتناع یدل علی استمرار الوجود وعند
علیه یدل علی استمرار الامتناع صح
دخول حرف الامتناع لا علی امتناع الاستمرار کما فی قوله عز وجل ولو یعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخیر لقضی الیهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجیل لا لعدم استمرار التعجیل
واطلاق الایمان عما قیدوه به للایذان بانهم لیسوا من جنس الایمان فی شیء اصلا فضلا عن الایمان
بما ذکروا وقد جوز ان یکون المراد ذلک ویکون الاطلاق للظهور ومدلول الآیة الکریمة ان من اظهر
الایمان واعتقاده بخلافه لا یکون مؤمنا فلا حجة فیها علی الکرامیة القائلین بان من تفوه بکلمتی
الشهادة فارغ القلب عما یوافقه او ینافیه مؤمن یخادعون الله والذین آمنوا بیان لیقول
وتوضیح لما هو غرضهم مما یقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ینساق الیه الذهن کانه
قیل ما لهم یقولون ذلک وهم غیر مؤمنین فقیل یخادعون الخ ای یخدعون وقد قرئ کذلک
وایثار صیغة المفاعلة لافادة المبالغة فی الکیفیة فان الفعل متی غولب فیه بولغ فیه قطعا
او فی الکمیة کما فی الممارسة والمزاولة فانهم کانوا مداومین علی الخدع والخدع ان یوهم صاحبه
خلاف ما یرید به من المکروه لیوقعه فیه من حیث لا یحتسب او یوهمه المساعدة علی ما یرید هو به لیغتر
بذلک فینجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخادع وهو الذی اذا امر الحارش یده علی باب جحره

يوهم الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا
ان تطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيبا الكفرة واياما
ما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اى يعاملون
معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلى بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم
ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما التجوز والتوطئة والتمهيد لما بعده
من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله واتيانه صيغة المخادعة على معناها الحقيقى بناء على زعمهم الفاسد
وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية
او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده
اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عم والمؤمنين
بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم
اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خداعهم له لم يتصور منهم التصدى للخدع واما
الثانى فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها
آئلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز قائلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب الآخر
مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اى يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم
فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوى
الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة
بمقابلة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل
وهى ايضا تغرهم وتمنيهم الامانى الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اى يختدعون ويخدعون ويخادعون
على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحى به و
للقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد بها هنا
هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون
حال من ضمير ما يخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى ما يحسون بذلك لتمادى هم
في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اى ما يشعرون بشئ اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في
الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذى لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر في قلوبهم مرض المرض عبارة عما
يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدى الى الموت استعير ههنا
لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى
الهلاك الروحانى والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما
يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل
في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار

والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة
بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا
لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين وزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من
القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبى صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة و
تاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استئناف تعليلى لقوله تعالى يخادعون الله الخ
كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف
بهذه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم اى مؤلم يقال الم وهو اليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب
للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد
للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجئ في قوله تعالى بديع السموات والارض
بما كانوا يكذبون الباء للسببية وللمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة
لافادة دوام كذبهم وتجدده اى بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا بالله و
باليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار
بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبى بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا
على الظاهر بناء على رأى من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر ببذل وحلم ساد
في قومه الفتى وكونك اياه عليك يسير اى لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب
العذاب عليه من بين سائر موجبات العقوبة اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم
للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه
قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف
واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم
السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه
عن الصديق رضى الله عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب
للايمان وما روى ان ابراهيم عم كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمى به لشبهه به صورة
وقيل ما موصولة والعائد محذوف اى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبى
صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اى بسبب تكذيبهم اياه او القرآن او موصولة اى بالذى يكذبونه
على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص في قلص او للتكثير
كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر
ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا
في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا
ظرف زمان مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام
متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها
اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشئ عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله

الشرعية لانهم كانوا
كلما ازدادوا التكاليف
صح

والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر
المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم
عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على
ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان
او الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة
فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا ارادة
للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا
محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد
والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستأنف مسبوق
لتعديد شنائعهم واما العطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد
انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان ما سيق لهذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة
الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله
بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر او لذكر ما يستلزمه
استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب
وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين
عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام
في سلك التعليل المذكور فان حقها ان يكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة
لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا لا كيفما وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون
بناء على ذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه
مسلك الاستئناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة
على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى
أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها
التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة
للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم
استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم
حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم
وتعديد خباثتهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب
واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد
آمنوا حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت

لمصدر

بلغ

لمصدر مؤكد محذوف اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح
دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد
بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا
للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال
اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم
قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان أنؤمن
كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس بأسره
وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة
وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك انفسهم
في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي
الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله
وايا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ان يكون صدور هذا القول
عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير
الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق و
السياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي
انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله نبيه عم والمؤمنين بذلك
وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة
مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا
وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في
النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل
للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع
غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة
المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام
محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به
من النفاق على معنى أنؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا
ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة
المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا الا انهم هم السفهاء
ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما
اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء

وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور مناف
لحالهم ضرورة ان منافاتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما تراه اظهار منهم
للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين
كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم
هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها
عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا
فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى
صادقين قاصدين للاصلاح وياتيهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرهم
الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن
مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر
عنا ما نهونا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارادوا بهذا المعنى وهم
يروجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الاية والله سبحانه اعلم بما اودعه
في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل
نظم الاية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان
المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال
واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون فاعله متصفا به فامر بديهي يقف عليه
من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة بلا يشعرون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لتباين
احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم
لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير روي
ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رض فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه
وكرم الله وجهه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر
خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني لا اقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا
فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا
ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا
من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم

اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى الى شياطينهم
لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له
والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة
في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال
على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه
من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اي في الدين و
الاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم
تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم
لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان
لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال او الثبات عليه انما نحن اي في اظهار الايمان عند المؤمنين مستهزؤن
بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية
كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما
نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المؤمنين
ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل
منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء والسخرية منه يقال هزئت
واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ
به ناقته اي تسرع به وتخفف الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه
كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او للمشابهة في المقدار او يرجع وبال الاستهزاء
عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم
معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال
والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان به واما في الاخرة فبما يروى انه يفتح لهم
باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة
في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم عليهم ذلك حتى
اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم
ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم
عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا
او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من
تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ
عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا

ادعاء

او للمقارنة في الوجود

ذلك

ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه
مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء
اختيارهم لما انه انما يتحقق عند الاستمداد او ما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة
وقرئ يمدهم من الامداد وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء
قال الله تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل
في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ
بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان لغة في لقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه
من ترتب المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع
حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد
الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان جميع الاشياء
مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر
عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم يسلكون شعاب التاويل فقالوا اولا انهم لما اصروا على كفرهم خذلهم
الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند ايلاؤه اليه تعالى ففي المسند
مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه
اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز
في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه
تعالى واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم
عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان كمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال
باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة
الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني
للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما
له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء
باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر
ومنه قوله اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى
المسلم اذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها و
الاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى
المبيع غير حاصل لهم حينئذ حسبما هو في البيت ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة
استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق تعلق به الاشتراء ههنا جنس
الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى يكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء

الذي هو ح

ليس المراد بهاء

على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم
عند الياس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن
التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع
المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه
من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين
التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم
واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية
الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة
الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها
من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى ههنا ضائعا
وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم
بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا
المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير حمل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة
المحكية وهو الانسب بتجاذب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد
بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته
في التوراة وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث
في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه
قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين
فانها ضلالة مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه
عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال
ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها
وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة
الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايراده بعد الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور
ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه
كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم
عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ
ليس من ضروريات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها
كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير
ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك
يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له
صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ

من نعوته عليه السلام

للرأس واللحية او للفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر
للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول
المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين باعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم
وما كانوا مهتدين اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال ولئن فات الربح
في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة
قطعا وهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا الكل الطلبتين فبقوا
خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها
مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ مثلهم الخ زيادة كشف لحالهم
وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث
من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله
من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو المعروف
واظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي مثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا
فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل
حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله
عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد
المتقون اي قصتها العجيبة الذي كمثل الذي اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد
الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القائم مقام القائمين
لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها
ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على
اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه
الواحد والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على
زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج
او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها
حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت
ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء
متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار نفسها فيما حوله
على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا نفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل
للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار دون نفس النار
لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب
ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم

مع حصول الربح صح

الغبي

دفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابراز للمنكر في صورة صح

ما حول المستوقد او فلما استضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار صح

والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور صح

حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب
محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالتباس كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات
خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء
حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه
من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له
من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة
لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها
على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا تتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا
اثر واما لان المراد بالنار نار لا يرضى بها الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية
يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فاطفأها الله تعالى
وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب
قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا
اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون
من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة
عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه
من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد
ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدأ
محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع
واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة
السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم
حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول
وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق
لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند محققي سحرة البيان من باب
التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في
السماء لا ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية
حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قولهم اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم

في قوله

فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اى انهم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون
الى الهدى الذى تركوه وضيعوه او عن الضلالة التى اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع
فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم فى ظلمات هائلة من غير تعرض لمشاعر السمع والنطق ولا لاختلال مشاعر الابصار
وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم
ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم
جميعا واتصفوا بتلك على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين فى مكانهم لا يرجعون ولا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة
فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما فى قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون
واما على الحالية من الضمير المنصوب فى تركهم او المرفوع فى لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين
او كصيب تمثيل لتمام البيان منها كل دقيق وجليل • ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم فى فنون الكفر و
الضلال • وتنقلهم فيها من حال الى حال • حقيق بان يضرب فى شانه الامثال • ويرخى فى حلبته اعنة المقال • ويمد
لشرحه اطناب • وينعقد لاجله فصول وابواب • لما ان كل كلام له حظ من البلاغة • وقسط من الجزالة والبراعة
لابد ان يوفى فيه حق كل من مقامى الاطناب والايجاز • فما ظنك بما فى ذروة الاعجاز • من التنزيل الجليل
ولقد نعى عليهم فى هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتى من
الضمائر المستدعية لذلك اى كمثل ذوى صيب وكلمة او للايذان بتساوى القصتين فى الاستقلال بوجه
التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذى له وقع وتاثير
يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا واسحم دان صادق الرعد
صيب ولعل الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثانى وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل
كالنار فى التمثيل الاول واكد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التى هى الصاد والمستعلية
والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه
الدال على الثبات وقرئ او كصائب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء
هى المظلة وهى فى الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اى ممنوع بقدرته
الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها
اى كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من طباقها
سماء قال تعالى واوحى فى كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد
بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات اى انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر
وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره
كظلمتى الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة
والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقى
مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها
غالبة على غيرها ورعد هو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب

الصفات صح

كالاهم اثر تمثيلهم صح

الاطناب صح

بعضها

بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع
من السحاب من برق الشئ بريقا اى لمع وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما فى الصيب باعتبار
كونهما فى اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما فى الظلمات الكائنة فيه والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل كانه
قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط
العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار
او من المستكن فى الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر فى قوله عز وجل يجعلون اصابعهم فى آذانهم
للمضاف الذى اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما فى قوله عز وجل
وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير فى او هم للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية
قال حسان رضه يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن
فى يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والالتفات حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار
الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة فى بيان سد المسامع باعتبار الزمان
وفى ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع فى بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانا ملها
فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون
الى استعمال الجوارح على الوجه المعهود وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتاد اعنى السبابة وقيل
ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب مبنى على سؤال نشا من الكلام كانه قيل عند بيان
احوالهم الهائلة فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز وعلا من الصواعق
متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل
تنقض معها شعلة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية او مصدرا كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثانى دون الاول
وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين فى التصرف يقال صقع الديك
وخطيب مصقع اى مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة
كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير فى تعدد المفعول له فان الفعل
يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اى يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار
هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت
والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين اى لا يفوتونه كما
لا يفوت المحاط به فى استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة
من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية فى الصفة متفرعة
على ما فى مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثانى تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة
فى انتزاع الهيئة المشبه بها اعنى الاحاطة والباقى منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر فى
التمثيل كما مر تحريره فى قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من

كما

النهج المعتاد صح

المحيط شبه شمول قدرته تعالى
لهم واحاطتها ملكوته عليهم
باحاطة المحيط بما احاطه صح

من سد الآذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة
وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية
بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك
الناشئ من السخط اشد وقيل هي اعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون
قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان
القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه يكاد البرق استيناف آخر
وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اي يختلسها
ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد
مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه
اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم وما كدت آيبا وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة
قد كاد من طول البلى ان يمصحا كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقاربة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة
الانشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطّف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء
وادغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويُخطّف من التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف
الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة
معناها الوقت والعائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابه وهو استيناف ثالث
كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا اذ انهم املا فقيل كلما نور البرق لهم
ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما
ضاء مشوا فيه اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي
على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والمظلم
وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في
موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما
حاليّ ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اي وقفوا في
اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى
المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم ايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي
مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير
اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول
امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية الشرط
دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل والحق الذي لا محيد
عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة
مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله
عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية

حقيقة ووجود المجي علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق
الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك
قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء
الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى
لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبقهم الى الايمان لازم
لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازم من فتعين انتفاء الملزوم حقيقة في الاول وادعاء باطلا
في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين
الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم
يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت
الشمس لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان كضوء القمر
المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء
الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر
له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة
تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم
لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا للوجود
الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له فكانه قيل لو لم تطلع
الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط
لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله
صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة
فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي
هو كونها ربيبته عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ربيبة
والحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم
على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء
على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو
انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من
فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة
قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض
انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل
في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كنا
كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان
في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة

وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من باب التقبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيدة
لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى
بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة
على انتفاء احدهما لانتفاء الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها
اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله
فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم
لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوف
على ما قبلها من الجمل الاستينافية وقيل على كلما اضاء لهم وقوله عز وجل ان الله على كل شئ قدير تعليل
للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشئ بحسب
مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء
اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا
بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد
والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ
لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى
على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاءه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة
البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم
حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من
الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
بقدر ما يقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شئ
وكل شئ مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل
الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتأييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها
وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة
بمقابلته بجلائهم في الظلمات الكثيفة وتقاعدهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بابله والقرآن وما فيه
من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم
بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم
عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص لهم منها
واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم
في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد
من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع

فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به
بان ينتزع فيه من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من
المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها
من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول
اجمالا مع امر زائد هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة
بان تكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب
الناس في شانه الى فرق ثلث مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء
ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من
الاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها
لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن
الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول
الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى
ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه
واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة
لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه
تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما جرى من استقلال هذه الطريقة
بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه
على العباد من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن
بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد
في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها
المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم
اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بعمومها شائعا ذائعا واما من عداهم ممن
سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم
ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة
ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من
ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضيته اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار
اذ لم يكن كل اهلها كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان
المأمور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب
تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به
وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة
وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وردي عن

ابن عباس رضي الله عنه ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا
ولا في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر تقطع الاعذار
وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم
قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك
فلا جبر اصلا ثم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله وانتم تعلمون وايراده
تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي
خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح
بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا
والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس
وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب وتتميم لما قصد
من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة
بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه
والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل و
وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة
التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق
وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم
للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ وخلق من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول
وصلته تأكيدا كاقحام اللام بين المضافين في لا ابا لك وبجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين
هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه
مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما
من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان معاني الانشاءات
قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله
سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر
في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت
في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة
بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه
امرا هين الحصول في كون متعلق كل واحد منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له
كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى
التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون
لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل
المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها

وقرئ والذين من قبلكم

جهة م

لمباديها

بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الرجاء والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في
التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة
بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف
عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى
او علة له فان خلقهم على تلك الحالة في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز
تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على
ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من
غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة
لتكميل عليته للمأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته
لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان
التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان
روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام
في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل
بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون
وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه ليرجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي
عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل
بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا
في ايجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر
تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال
كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه تعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها
الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم
وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته
على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق
مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم
لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا
وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح
والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى
وحذف المبتدأ في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي
ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك
مع كونه اعظم شأنا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية
والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين

وللتشويق اليه لان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده
عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكلام الكريم ومعنى
جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة
للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها
مع عظم حجمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم
حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد
والمتعدد او جمع سماوة او سماءة كالمر والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه
قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على
جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه عليه الصلوة والسلام
او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء
الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف
على الوجه الاول مع حقه التأخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدأه واما لما مر من التشويق اليه
مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة
صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته
فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها
متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدايع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة
الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات
ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات
ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات
ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه
كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من
اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورد الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات
جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يقع بعضها
موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة
عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا
كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا
اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه
النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شركاء وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان
مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا ووضع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه
بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان

بلا مبادي ومواد صح

بعض رزقكم ع

امر صح

باستتباعها

باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء
للاشعار بعليتها ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او الانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص
العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا
وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة
لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه
بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو
القريب بمنزلة المتمني البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اي هو
الذي خلقكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم
وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول في حقه وقد
عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى مذهب الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام
ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والنداء المثل المنادي من ند ندودا اذا انفرد ونادته خالفته خص بالمخالف
المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال
انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى
عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع
عنهم بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن
يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف
رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى
وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب
عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم
والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون
انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي
يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات
عليه كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب
بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن
من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين
بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين
ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات
وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا مجيد في آية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه
بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان

بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي
قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتأمل وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين
الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع
السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب والتعبير عن اعتقادهم في حقه
بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما لان
اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم
المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا
مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية
قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة
وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية
واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به
لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا
للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك
بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه
وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء
التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل
ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة
من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في
التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من
التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد
هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله
لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فأتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فأت بها
من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمامور به لما اشير اليه من انه عبارة عن
جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه
كلام البشر فأتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن
العظيم المترجمة واقلها ثلث آيات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن
متحدة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من
السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن مع كونها
في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في

الصحف

المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء
ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة
كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز
وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له
فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار التعجيز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم
بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بابانة ما سبق من تنزيله منزلة
الريب فان مبني التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وهي زائدة كما هو راي الاخفش بدليل
قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير ح للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه
الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه
الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية مما يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص
التحدي بفرد من افراده عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك
من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من
النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة
بخيلهم ورجلهم حسبما نطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر
يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى بجملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة
او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت
في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما عن الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة
بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا
من كان او الحاضرين من شاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون
عليهم في المهمات او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم
الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله للجميع لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة
على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول
الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه
والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم الذين هم
وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يأبون ان
يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد جلي الاستحالة وفيه انه يوهم اذن بعدم شمول
التحدي لاولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى
قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون حقيته ما هم عليه
من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم
ملائمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين المثلية

وقبل صح

بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من
امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق
بتنفيذ القول عند الولاة او
الغالبين صح

وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد
بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وانى لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا انبسوا ببنت شفة واما متعلقة
بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين
والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في
اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء
لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم
انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وملجاء ياوون اليه في كل خطب ملم
كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال سخافة
عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه
وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من الشيء لقدامه كما في قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا
لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم
الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما من
الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما
يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان
يستظهروا في معارضة القران الذي اخرس كل منطيق الجاء ليهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من بهنا
تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن
خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال
كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة
ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك
اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف
الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر
الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم
بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما في المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم
ايضا لا يشهدون لكم حذرا من الاثم وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور
الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك
الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى به الى الشهادة وشتان
بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اي في زعمكم انه من كلام البشر وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق
عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك
الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عم في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة
للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لا سيما عند المظان

على الظرفية ابدا ولا يجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون صح

بلغ

والتعاون

والتعاون ولا ريب ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اي ما امرتم
من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول
راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره لكنهم على ذلك
وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل
والتكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به
لاظهار عجزهم عنه لا لتحصيل المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية
من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك
الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل مطلق وانما يستفاد
ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها
منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى ذلك قوله تعالى
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف
عم بالامر ومرمى غرضه بالتكليف ثمة استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في
الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا
بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوب واعرابا عن مقصوده هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به
الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار
او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر
وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم
ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء
لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض
بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب
الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا
عن سلف فاتقوا النار جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه
وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند
الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد
بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار
كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني
عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح
ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار موذنة لها بزيادة هول وفظاعة اعاذنا الله تعالى من ذلك
والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال
فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته

اي انما لم تذكر ... ان مناط الجواب في الشرطية انما هو الامر باتقاء النار على عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول صح

لا كثير ان الدنيا تفتقر في اتقادها الى حطب وقود من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية
لكون انتسابها الى ما نسبت هي اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوا من اهل الكتاب قبل ذلك
او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير
ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور واما
ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيه هين لان المخاطب
هناك المؤمنون والظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة
الاصنام وبالناس انفسهم عبدتها حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية
اعدت للكافرين اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار
والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لزمهم وتعليل
الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة
استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل ومبينة لمن اريد بالناس
واقعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما
بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا اي بانه منزل
من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب
له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين
به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك
لتخييل كمال التباين بين حال الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت
فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل
الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافيان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث
المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلعم وقيل لكل من يتاتى
منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليل بالنور التام يوم القيمة
فانه عم لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه
حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة
ومنه تباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل
ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة
التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب
التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع
الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به ان لهم جنات
منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من
مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير

كأن

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كأنها لفرط تكاثفها والتفافها
وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه
الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما
لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على
ما ذكره ابن عباس رض جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها
الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد
بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار
فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري
في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب
او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله
عز وعلا انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها
وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا
هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها
باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه حين وصفت الجنات
بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على
الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا
رزقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه
منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن
في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة
الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت
الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه
من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة
كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف ولتتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من
قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما حكي عن الحسن رض ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل
منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم
مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة
ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها ولعل الاول انسب
لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى

دائما وهذا وصف لها باعتبار ذ

يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون
كانهم قالوا ما اعجب ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روى
عن ابن عباس رضي الله عنه من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما
من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي
قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف
والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده
تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب واتوا به متشابها اعتراض
مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة
اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير
يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت
او فعلن وهن فاعلة او فواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهير فيحتمل ان يكون
من قبيل التفهم كما عند اعتبار له والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه
وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم
فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك
باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم
ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما
قيد بالتأبيد في قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا
لما يقضي به من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة
للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون و
الفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل
اجزاءها متقاومة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ويبقى نوع النسبة متحفظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير
بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن و
المطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت
حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم
من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي

والقام

والقام الحجر وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه ان المنافقين
طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى
عن عطاء عنه رضي الله عنه ان الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الاية قالت اليهود
اي قدر الذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من
عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن التنكير بل هو من
اوضح او لكونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل
كما ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير
اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه
في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم
بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير
وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة
الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حيي
واشتقاقه من الحياة كما يقال نسي وحشي من النسا والحشا يقال نسي الفرس وحشي اذا اعتلت
منه تلك الاعضاء كأن من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه
وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين
ومنه قوله الا يستحي منا الملوك ويتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض
نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فكأنه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب مثل قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه
تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك الحاجة حياء وكذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة
كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه
لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون
الايجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضرب وفيه
رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتآخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس
المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا
بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله
في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في موارد ها ضربا لها
دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها

من الحياة اشتقاقه وهو

في مضاربها عين إنشائها في أنفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الأول قطعا وهو مأخوذ إما
من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما أن ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الأمثال في مضاربها تطبيقها بها
كأن المضارب قوالب تضرب الأمثال على شاكلتها لكن لا بمعنى أنها تنشأ بحسبها بعد أن لم يكن كذلك بل بمعنى
أنها تورد منطبقة عليها سواء كان إنشاؤها كعامة الأمثال التنزيلية أو قبل ذلك كسائر الأمثال
السائرة فإنها وإن كانت مصنوعة من قبل الآن تطبيقها أي إيرادها منطبقة على مضاربها إنما
يحصل عند الضرب وإما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الإلصاق كأن من يستعملها يلصقها
بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل أن يضرب على تقدير تعديه بنفسه
النصب على المفعولية وأما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض بالإضمار وعند سيبويه النصب
بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية إبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر إبهاما
وشياعا كما في قولك أعطني كتابا ما كأنه قيل مثلا ما من الأمثال أي مثل كان فهي صفة لما قبلها أو حرفية
مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا أو عطف بيان عند من
يجوزه في النكرات أو مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة أو هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل
والتصيير وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة
صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي أحسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها
موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على أنه بدل من مثلا أو على أنه مفعول ليضرب وعلى
تقدير كونها إبهامية صفة لمثلا كذلك وأما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كأنه لما رد استبعادهم
ضرب المثل قيل ما بعوضة وأي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى أن يمثل بما هو أصغر منها وأحقر
كجناحها على ما وقع في قوله عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من
الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة
أو موصوفة صلتها أو صفتها الظرف وأما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الأولى على تقدير كونها موصولة
أو موصوفة وأما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها أعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة
فالذي فوقها أو فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة أو زائدة وبعوضة
خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين أفراد المثل إنما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل
بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الأولوية والمراد بالفوقية إما الزيادة في المعنى الذي أريد بالتمثيل أعني
الصغر والحقارة وإما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل مثل الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى تقدير
الأول يجوز أن يكون ما الثانية خاصة استفهامية إنكارية والمعنى أن الله تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة
فأي شيء فوقها في الصغر والحقارة فأذن له تعالى أن يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الأمرين ما روي أن رجلا
بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة
كنخبة النملة كقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الألم كالخرور على

ما حكي من الخرور فأما الذين آمنوا شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقق صدوره عنه والفاء
للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فأما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين
على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر إلى بيان السبب وفي تصدير الجملتين بأما من إحماد أمر المؤمنين وذم الكفرة
ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما
صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الأقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من
قائل فأما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة
وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوها
الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما أن المراد بالموصول
الثاني فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى أي فأما المؤمنون فيعلمون أنه
الحق من ربهم كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل إلى إنكاره
لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على أنه مشهود له بالحقية وأن له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية
وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق أو من الضمير العائد إلى المثل أو إلى ضربه أي كائنا
أو صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتشريفهم وللإيذان بأن ضرب
المثل تربية لهم وإرشاد إلى ما يوصلهم إلى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند
الجمهور ومسد مفعوله الأول والثاني محذوف عند الأخفش أي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء
بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند
ربنا للإشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن الذكر وأما الذين كفروا أتم حكيت
أقوالهم وأحوالهم فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا أوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه
ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترقي أمرهم في العتو فإن مجرد عدم العلم بحقيته بمثابة
إنكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق
ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على أن عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فإن
منهم من يعلم بها وإنما يقولها مكابرة وعنادا أو حمله على عدم الإذعان والقبول إذ أنه مثل للجهل
والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل
قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
فتأمل وكن على الحق المبين وماذا إما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته
التي ما بعده والعائد محذوف فالأحسن أن يجيء جوابه مرفوعا وإما بمنزلة اسم واحد بمعنى أي شيء
فالأحسن في جوابه النصب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها إليه والقوة التي هي مبدؤه
والأول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في إرادته عز وجل فقيل
إرادته تعالى لأفعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولأفعال غيره أمره بها فلا يكون المعاصي بإرادته تعالى وقيل
هي علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنه عبارة عن ترجيح
أحد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجبه وهي أعم من الاختيار فإنه ترجيح

مع تفصيل وفي كلمة هذا التحقير لمثاله واسترذاله ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس
مرادهم بهذه الكلمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه
جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت
ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه نقيصة عز من قائل يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكم جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة
الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية ووضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام
مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية
في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر
والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائرها واما الاضلال
فامر عارض مترتب على سوء اختيارهم وايثار صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل
وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية
مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا
يسوءهم ويبعث في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين
المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ارادته والانكار لحسن مورده
ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية
اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور واعتبار كثرتهم الذاتية
دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي
الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان
كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى
وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه
يأباه التصريح بالسبب وقرئ يُضَلُّ به كثير ويُهدى به كثير على البناء للمفعول وتكريره مع جواز
الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها وما يضل به اي بالمثل او بضربه الا الفاسقين
عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة
له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه
وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة
عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها
جوائرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة
وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة
المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا
الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال

الفاسق

وعود ذلك

الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد
بالفاسقين ههنا العاتون الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام
الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان
بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق و
اصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى رسخت به جهالتهم
وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم
وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله
في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد به
العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له
كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته
والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل
وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث
اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا
حكمه كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره
وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء
عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه
من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى
الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام وان رجع الى
لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه
وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام
او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من
بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالات المؤمنين والتفرقة
بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر
فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل
والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية
للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال له شيء
وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشيئة ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى
لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي عليها
يدور فلك نظام العالم وصلاحه اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات

القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسببها في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما
يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والتامل في حقايقها والاقتباس
من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله
التفات الى خطاب المذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبايحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ
والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر
بان يقال أتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد
انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله تعالى وكنتم امواتا الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة
للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث
انها نعم عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوب على التشبيه
بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم
امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت
كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله
وآية لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل
اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا
ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها
وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم انما هو بالنسبة
الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم
ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت
المستمر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه
تنشرون من قبوركم للحساب ونظم الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا الا انه لا مقارنة لشيء
منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف
تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وماله التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما
نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا
لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلايل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار
والحيوة حقيقة في القوة الحاسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية
لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها
والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة

لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد له من جهة تبيين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود لما
بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر
مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم
الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم
جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال
بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم
جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها
فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد
من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي
عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما
يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل عقلي على الصانع الحكيم جل جلاله كما في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان
لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه
كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات واما لاظهار كمال العناية بابداع
العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما بينهما من التفاوت في المرتبة والفضل على خلق
السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن [illegible] والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي
سابقة الوجود واما جهات العلو فسواهن اي تممهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور
لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة
الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل
هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا
وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه
في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح
الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يخفى هذا وما قالوا
شاني في ختم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان
علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما
يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس
الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية
من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله

لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رح خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
صح

خلق لكم ما في الارض جميعا توضيح لكيفية التصرف والاستفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي عم خاصة للايذان
بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب
بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عم ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة
~~ما وقع بالذكر الى الوقت من بعد عاد وتوجيه الامر واذكروا اذ جعلكم خلفاء اذ كنتم قليلا فكثركم~~ وفي قوله تعالى
في قوله تعالى وجل واذكروا الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثلها ولذلك يجب اضافتها الى جملة مستقبلة تقع فيه
اخرى كان اذا موضوع لزمان فيه نسبة اخرى مثلها من الحوادث مع انه المقصوق بالذات للمبالغة في ايجاب
ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر
كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على انه ظرف بل اذ كر الحادث
فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه وايا ما كان فهو معطوف على مضمر اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عم
عقيبا اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم
بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر
النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بواجب الشكر
وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذاك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه انه
يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى
بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الى آخره ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد
بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا او فيه ما فيه وقيل اذ زائد ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر
وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز وجل للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول
من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي
هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى
الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة والرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى
المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام
لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء
الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس
من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم
الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء
الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت
طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كثرتهم انه عم
قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر
الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض

نسخة اخرى مثلها كان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتها الى الجمل

وهم

الموكلين

الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة
ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش
التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السماوات والارض وما فيهما وما بينهما
لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح و
التقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم
اشياع اسرافيل عم والملائكة الذين هم جنود جبرائيل عم لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات
عباداتهم الا بارئهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عم حين عرج به الى السماء
راى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فقال رسول الله عم لجبرائيل عم الى اين يذهبون فقال
جبرائيل عم لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم
منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله تعالى يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة
الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل
هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وعلا
لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم
من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى ابليس
ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السماء واخرى
في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى انهم كل الملائكة لعموم
اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل
بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة
وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة
فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما خبر مبتدا والاصل في الارض
خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة لمعناه بعد اللتيا والتي اني جاعل خليفة من
الخلائق او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف
ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها
كما يعرب عنه جواب الملائكة عم فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على
المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول
فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله
لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون
عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند
وقوع المحكي فهي واضحة لو قوعه في اثناء ذكره عم على ما ستفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين
وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض

مبتدا

في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة ع م قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت
قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث
جاء الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة
ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد [illegible] وحال الظرف في التعلق والتقديم
كما مر فح لا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني
جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا والله اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء
للمبالغة والمراد به اما آدم ع م في قرنه واما من يخلفه اذ خلف يخلف منه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته
والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن
لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص
من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فتعم ح الجميع قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه
الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملائكة ح فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي
الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظرف الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول
ثم تعويلا على ما ذكرنا قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا اذا لما قد وشى بنا الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا
جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني
بيفسد وما بعده تاكيد للاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افادة من البعد ما ليس في استخلافه في غيره
بهذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من اي انت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق
من يفسد في الارض كيفما وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا يصح لدعوى
الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مدارها ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره
او يستخلفه مكان المطبوعين على الطاعة من من شانه ان يتوقع منه الافساد وسفك الدماء وهو ع م وان كان منزها
عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما
خفي عليهم من الحكم التي بنيت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة
ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله
سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة
فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا
ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او تلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص
العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الاخر ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب والسبك انواع من الصب
والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه
بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك
وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع من موصولا او موصوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن

نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يامر
بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل استخلف من من شانه الفساد مع وجود من ليس من شانه
ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر
وكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي
رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير يحصل لك
من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى
وتبعيده اعتقادا او قولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه
فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي
طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن
كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة
فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة
للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك
بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق لك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا
الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس
عن الاثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع قال استئناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون
بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه
عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا
من التعجب والاستبعاد وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي
الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به
وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة
وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله
تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل
ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك
متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة
المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا
اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية
وعلم آدم الاسماء كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه
وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه
عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله ع م بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اباه
خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده ع م باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة

عليه ما بنوا

لا يلايم مقام تمهيد مبادیها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ لا افعل والتصدي
للاشتقاق من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه عم من انه تعالى قبض قبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة على الالفة
تعسف كاشتقاق ويعقوب من العقب ادريس من الدرس وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في
اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال
على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد بها هنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم
بالالفاظ من حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم
بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه
من جهته كما ينبئ عنه تغيير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع
الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عم لما ان جبلتهم غير مستعدة
للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده
علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا
ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها
عم حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبايع متباينة وقوى
متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة وابن جبير رحمهم علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة
والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب والحق منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل
معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها
واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عم
وقبل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ ثم
عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كلها كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب
العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها وفي الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر
ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني
باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة
المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك
يجري مجرى كل منهما والمراد بها هنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان
النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته
كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان
ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم انه استخلف في الارض
مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان يقال في زعمكم انه استخلف من غالب امره الافساد

ادريس من الدرس هو

وقتادة ومجاهد هو

وسفك الدماء من ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه
قالوا استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا اهل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا سبحانك
قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف
والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا يعود له فقيل صرفه للضرورة
وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي
من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشيا عن كمال طمانينة النفس والايقان باستحالة
استخلاف آدم عم على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشيا عن ذلك واراد وابه انهم
قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف بما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما
يتوقف عليه الخلافة وقصره ع وعلا لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا
الا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا
حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد
نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه
من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه
خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك
لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتداء
خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم عما علمه الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم
عليه السلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عم لما نحن بمعزل من
الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي
لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عم ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة
بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا آدم انبئهم اي اعلمهم اوثر
على انبئني كما وقع في امر الملائكة عم مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليهم عليهم السلام ابانة
لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان
وانه عم حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما باسمائهم التي عجزوا
عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انباهم باسمائهم الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية
على محذوف يقتضيه المقام ويستحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في
اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عم انباهم على وجه التفصيل دون الاجمال
والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا
ذلك لما راوا انه عم لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة بين الاسماء والمسميات من المناسبات
والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم بذلك قال عز وجل تقريرا

قالوا م

للامر من الجواب الاجمالي واستحضار له اي الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور
مصداقه وايراد ما لا يعلمونه بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه
المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهم السلام من الامور المتعلقة باهل السموات
واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم
اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف
عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة
وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود
فاسناد الكتمان حينئذ الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم فالواقع في الآية الكريمة دلالة
بينة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه
على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل
على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو
الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم من هؤلاء الملائكة
لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول منصوب
بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل
بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص القول بالذكر مع كون
مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة
حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال
وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة
اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة
والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل
امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا
عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه
فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما
على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رحمه الله اليس اول
لقبلتكم • واعرف الناس بالقرآن والسنن • او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر
وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك
روي عن وهب ان اول من سجد جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام

وقوله تعالى الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا
عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن كانوا ايضا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم
اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم
الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الآية والتي في سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة
كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا
واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية
يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من
الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل الآيات
السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يابا ما في
سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي والاعتذار
بحمل التراخي على الرتبي او التراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة
العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز تؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه تعالى وبينهم عليهم السلام
في شان الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من
البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء
في التفصي عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء
تعسف بين عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الانيق بعد التفحص في مستودعات
الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على
ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر
التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء
الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب
السعي عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة
الصلوة عند الاطمئنان بقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت
كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي آثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عليهم السلام
على التامل في شانه ليتدبروا في احواله طرا • ويحيطوا بما لديه خبرا • ويستفهموا ما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام
لابتنائه على حكم ابية • واسرار خفية • طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي
ويتم الامتثال وقد قالوا حسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامور
المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي

عند حكاية الامر التنجيزي في السور الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب
مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك
بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك
بما وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل
مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شانه
فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا والقى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط
المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه ما ذكروا فايده الله
عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشان المامور به وتعيينا
لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي
تحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله
من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم
وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من
جملته ما صدر عنه من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا
من الامر التعليقي وما تعلق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عم وعناد ابليس
وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود
الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة
استحالة الانباء بالاسماء قبله فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر
ابى واستكبر استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد او للتامل والاباء
الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر
من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح
اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع
الساجدين وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على
ما افصح عنه قوله تعالى وكان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او
صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عم زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع
للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار
كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء وقلنا شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما
جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره
وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما
فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا
تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة

للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عم للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن
من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح
العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضه وناس من
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه
من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما
استيقظ وجد عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة
لعلمه عم من هي قال مراة قالوا لم سميت مراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت
حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء
على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهو كما ترى يدل على خلقها قبل
دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها
الله تعالى امتحانا لآدم عم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عم
كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من
اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط
الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف و
ترك القطع وكلا منها اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل
والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكنى فانها
تابعة له فيه رغدا صفة لمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا
كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا
بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا تقربا بفتح الراء من قرب
الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا
دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة
من الشجر اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه
والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير
دليل وقرئ بهذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا من
الظالمين مجزوم معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها
سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة
ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي زلقهما
وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى
اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في
المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما

لهما اي لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه
التكرمة والتشريف لما قالوا من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له
اخرج منها فانك رجيم فقيل انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من
الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معه وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه
فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها
وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير
للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
او يدخلها مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو
بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض لتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما
للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف
متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع
بالعيش وانتفاع به الى حين هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس
في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع او استئنافا فتلقى آدم من
ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات
دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك
غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة
على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعلية ذلك للالقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع
عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة
عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شأن آدم عليه السلام لما ان
حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع
على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان
رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم
المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل
لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد
قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة
ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع

رائفه

رافة به عليه السلام لما بين الامرين من الفرق النير كيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار
بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد
العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو داير على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه
على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف
بالمقترن بهما فتأمل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض
لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه
قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف
قولك جاؤوا معا فاما يأتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما كلمة
من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد
وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان
وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله
عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني
فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد
لا يشترط فيه بعثة الرسول وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية و
الانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع
والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات
مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس
الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما
لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر
في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا
الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الاول اي آيات التشريع بعينه وما ذكر
من افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح
والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الى قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه
ما ذكر تبيينا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر
والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال
الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا
باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من
المعجزات وقيل معنى كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور
والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام
سابع وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن

المميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من
قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطا
فلا واشتقاقها من اتى لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية او أيية فابدلت
عينها الفا على غير قياس او اوية او أيية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه
اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية ولما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث
لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول واسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب
النار خبره وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب
خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة
او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق
بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام
يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام
لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره
بتذكير كلهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى
كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض ومسجودا للملائكة عليهم السلام
وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع
الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة
الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء واسرال
بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم
اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه
اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة
الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعم بهم لما ان الانسان مجبول
على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على
آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور
ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن
يتولى طرفيه ولعل الاول يضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح
بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض
عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا
الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرها ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما

الياء

ما روي

ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار
والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة
على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول و
المعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل
العهد من قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد
للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة
التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام
معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد و
الوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما
انزلت افرد الايمان بالقرآن بالامر لما انه عمدة القصوى في شان الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم
من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها
والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت
فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن
المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت
الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه
متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى
يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ
تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة
انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق
المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم
لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول
كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شانه وحقيقته
بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه
كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به
كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به
التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم
اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من
مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا
غير قياسي او أول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تأخذوا لانفسكم
بدلا منها ثمنا قليلا من الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من
حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله

ووقوع اول كافر به حالا من ضمير الجمع
بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل
لا يكن كل واحد منكم اول كافر به ح

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة
والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون
بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا
واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على
ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى ولان الخطاب بها لما عم
العالم والمقلد امرهم فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى
الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين
والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه
او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف
ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه
من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه
اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او انتم
تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي صلوة المسلمين
وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا
مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع
الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي لا تحقرن الضعيف علك ان تركع
يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة
فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف
الخيرات ولذلك قيل البر ثلثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة
كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات
التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم
كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية
وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة
المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون
اي والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الامرة بالايمان به او بالوعيد

النبي

بعقل

بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اي اتتلونه
فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة حينئذ
من حيث الحكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى
ذراعه يحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه
يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنيعه
وعدم تاثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية
النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء
مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تاثير وعظه
وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور
مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ
يوما في الطريق فقالت لتهدي الانام ولا تهتدي الا ان ذلك لا ينفع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن
الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي
الى رحمة الله سبحانه واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك
الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا
على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر
العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص
النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن
الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة
ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها
لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة
ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع //
بالجوارح والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل
عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون
ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وقرة عيني في الصلوة والجملة
حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاءه تعالى
ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم
او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون
بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين و
المرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن

عدم العقل لعدم تحقق ما يوجبه
فالمبالغة من حيث الكيف اولا
تعاملون بما لا تعقلون فالانكار
متوجه الى صح

مسعود رضم يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه التضمين معنى التوقع قال فارسلته
مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشرايف خايف وجعل خبران في الموضعين اسما لله لانه على تحقق اللقاء
والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد والربط
ما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباكم
على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين
وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم
لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من
الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا
مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم
يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول ثم حذف كما حذف في قول من قال فما
ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا اي اصابوه ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها
عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدى
وتجري مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وعلا والضمير لما دلت عليه النفس الثانية
المنكرة في سياق النفي الواقعة من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة
ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
محتمل فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثاني
اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت
المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للآيات الواردة في
الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من ال فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي
انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اي اذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية
لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء
عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان
لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن
ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى
الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه
بطيخة بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم
فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ منه بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها
بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء
عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى يعطوني

خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط
الا ان تعرض يوما لاولياء الميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك لهذا
المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت
ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار
من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة
حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى
امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون
يوسف ع م ريان وكان بينهما اكثر من اربع مائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا
اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه واقبحه بالنسبة الى سايره
والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من
ال فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان
ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان
فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل فقتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وقد اعطى
الله عز وجل نفس موسى ع م من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء
ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء
منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن
على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل
البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى
بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته
تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه وتوفيقه لتخليصكم منكم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم
وفي الآية الكريمة تنبيه على ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر
على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها
وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم
او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك
وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق
باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل
وكذا قوله تعالى واغرقنا ال فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى
به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره
عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة
مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا وروي انه تعالى امر موسى ع م ان يسري

او تسعين الفا

بني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه بها فظهر اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا
فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا
اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة
عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله
عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم
ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها
فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر
بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عم ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي
الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله
تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة
ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على
اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف
اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من
بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم للشئ في
غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجئ لازما قال عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال
عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح
للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا
بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة الجامعة بين كونها كتابا و
حجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد
به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية
وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا فاعزموا على التوبة
الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات
مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في
برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية
منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان تسترد هي منه ولذلك
امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل
امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى ان الرجل كان يرى قريبه

فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة
الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل خير لكم
عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف
على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم
الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ادعى الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع
للايذان بعلية العنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل
تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما
ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا
بمحذوف على انه من كلام موسى عم لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى
انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه
بقبول التوبة منه تعالى وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل
وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق
المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة
اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل
قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة او تكليمه اياه او انه نبي او نوع
جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت
بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات
والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ
بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم
السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله تعالى موسى عم ان يجمع سبعين
رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود
من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عم يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا
ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل
فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى و
وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة
في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات
بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث
تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال

في الدنيا وقيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن صعقة موسى عم موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق ﴿وانتم تنظرون﴾ اي ما اصابكم بنفسه او باثاره ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ بتلك الصاعقة وقيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم ﴿لعلكم تشكرون﴾ اي نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم من باس الله به ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ اي جعلناه بحيث تلقى عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى ﴿وانزلنا عليكم المن والسلوى﴾ اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل ما يكفيه ﴿كلوا﴾ على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا ﴿من طيبات ما رزقناكم﴾ من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى ﴿وما ظلمونا﴾ كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر ﴿واذ قلنا﴾ تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم من التيه ﴿ادخلوا هذه القرية﴾ منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية ﴿وادخلوا الباب﴾ اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم ﴿سجدا﴾ اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه ﴿وقولوا حطة﴾ اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر ﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة ﴿فبدل الذين ظلموا﴾ بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه

قولا

قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل ﴿غير الذي قيل لهم﴾ نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه ﴿فانزلنا﴾ اي عقيب ذلك ﴿على الذين ظلموا﴾ بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى ﴿رجزا من السماء﴾ اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا ﴿واذ استسقى موسى لقومه﴾ تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد تفصيل الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بتذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبط الله تعالى مع آدم عم من الجنة ووقع الى شعيب عم فاعطاه موسى عم مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عم من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة ﴿فانفجرت﴾ عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عينا﴾ واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان ﴿قد علم كل اناس﴾ كل سبط ﴿مشربهم﴾ عينهم الخاصة بهم ﴿كلوا واشربوا﴾ على ارادة القول ﴿من رزق الله﴾ هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المامور به اكل النعم العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عم ﴿ولا تعثوا في الارض﴾ العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم ﴿مفسدين﴾ وقيل انما قيد به لما ان العثي في الاصل

فقصد ابدا كله من م

ضرورة م

صح صح صح

مطلق التعدی وان غلب فی الفساد وقد یکون فی غیر الفساد کما فی مقابلة الظالم المعتدی بفعله وقد یکون فیه صلاح راجح کقتل الخضر علیه السلام للغلام وخرقه للسفینة ونظیره العبث خلا انه غالب فیما یدرک حسنا واذ قلتم تذکیر لجنایة اخری لاسلافهم وکفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الی ما کانوا فیه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحکی الی اخلافهم وتوجیه التوبیخ الیهم لما بینهم من الاتحاد یا موسی لن نصبر علی طعام واحد لعلهم لم یریدوا بذلک جمیع ما طلبوا مع ما کان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مکانها اذ یاباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان یکون هذا تارة وذاک اخری روی انهم کانوا فلاحة فنزعوا الی عکرهم فاجموا ما کانوا فیه من النعمة العتیدة لوحدتها النوعیة واطرادها وتاقت انفسهم الی الشقاء فادع لنا ربک ای سلنا لاجلنا بدعائک ایاه والفاء لسببیة عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبیة لتمهید مبادی الاجابة یخرج لنا ای یظهر لنا ویوجد وجزمه لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازی باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعیضیة والتی فی قوله تعالی من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بیانیة واقعة موقع الحال ای کائنا من بقلها الخ وقیل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتت الارض من الخضر والمراد به اطایبه التی تؤکل کالنعناع والکرفس والکراث واشباهها والفوم الحنطة وقیل الثوم وقری قثائها بضم القاف وهو لغة فیه قال ای الله تعالی او موسی انکارا علیهم وهو استیناف وقع جوابا عن سؤال مقدر کانه قیل فماذا قال لهم فقیل قال أتستبدلون ای اتاخذون لانفسکم وتختارون الذی هو ادنی ای اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهین الحصول لعدم کونه مرغوبا فیه وکونه ما لها مرذولا قلیل القیمة واصل الدنو القرب فی المکان فاستعیر للخسة کما استعیر البعد للشرف والرفعة فقیل بعید المحل وبعید الهمة وقری ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة علی انها مبدلة من الهمزة بالذی هو خیر ای بمقابلة ما هو خیر فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الاتی الحاصل کما فی التبدل والتبدیل فی مثل قوله عز وجل ومن یتبدل الکفر بالایمان وقوله فبدلناهم بجنتیهم جنتین ذواتی اکل خمط ولیس فیه ما یدل قطعا علی انهم ارادوا زوال المن والسلوی بالمرة وحصول ما طلبوا مکانه لتحقق الاستبدال فیما فر من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بیانا لدناءة مطلبهم واسعافا لمرامهم ای انحدروا الیه من التیه یقال هبط الوادی وقری بضم الباء والمصر البلد العظیم واصله الحد بین الشیئین وقیل ارید به العلم وانما صرف لسکون وسطه او لتاویله بالبلد دون المدینة ویؤیده انه فی مصحف ابن مسعود رضی الله عنه غیر منون وقیل اصله مصرائیم فعرب فان لکم ما سالتم تعلیل للامر بالهبوط ای فان لکم فیه ما سالتموه ولعل التعبیر عن الاشیاء المسئولة بما للاستهجان بذکرها کانه قیل فانه کثیر فیه مبتذل ینالها کل احد بغیر مشقة وضربت علیهم الذلة والمسکنة ای جعلتا محیطتین بهم احاطة القبة بمن ضربت علیه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفکان عنهم مجازاة لهم علی کفرانهم من ضرب الطین علی الحائط بطریق الاستعارة بالکنایة والیهود فی غالب الامر اذلاء مساکین اما علی الحقیقة واما لخوف ان یضاعف جزیتهم وباؤا ای رجعوا بغضب عظیم وقوله من الله متعلق بمحذوف هو صفة

لغضب

لغضب مؤکدة لما افادة التنوین من الفخامة الذاتیة بالفخامة الاضافیة ای بغضب کائن من الله تعالی او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان ای صار حقیقا بان یقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل کلیب واصل البوء المساواة ذلک اشارة الی ما سلف من ضرب الذلة والمسکنة والبوء بالغضب العظیم بانهم بسبب انهم کانوا یکفرون علی الاستمرار بآیات الله الباهرة التی هی المعجزات الساطعة الظاهرة علی یدی موسی علیه السلام مما عد وما لم یعد ویقتلون النبیین بغیر الحق کشعیا وزکریا ویحیی علیهم السلام وفائدة التقیید مع ان قتل الانبیاء یستحیل ان یکون بحق الایذان بان ذلک عندهم ایضا بغیر الحق اذ لم یکن احد معتقدا حقیة قتل احد منهم علیهم السلام وانما حملهم علی ذلک حب الدنیا واتباع الهوی والغلو فی العصیان والاعتداء کما یفصح عنه قوله تعالی ذلک بما عصوا وکانوا یعتدون ای جرهم العصیان والتمادی فی العدوان الی ما ذکر من الکفر وقتل الانبیاء علیهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم علیها ادت الی کبارها کما ان مداومة صغار الطاعات مؤدیة الی تحری کبارها وقیل کررت الاشارة للدلالة علی ان ما لحقهم کما انه بسبب الکفر والقتل فهو بسبب ارتکابهم المعاصی واعتدائهم حدود الله تعالی وقیل الاشارة الی الکفر والقتل والباء بمعنی مع ویجوز الاشارة الی المتعدد بالمفرد بتاویل ما ذکر او تقدم کما فی قول رؤبة بن العجاج فیها خطوط من سواد وبلق کانه فی الجلد تولیع البهق ای کان ما ذکر والذی حسن ذلک فی المضمرات والمبهمات ان تثنیتها وجمعها لیسا علی الحقیقة ولذلک جاء الذی بمعنی الذین ان الذین امنوا ای بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرینة انتظامهم فی سلک الکفرة والتعبیر عنهم بذلک دون عنوان النفاق للتصریح بان تلک المرتبة وان عبر عنها بالایمان لا تجدیهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الکفر قطعا والذین هادوا ای تهودوا من هاد اذا دخل فی الیهودیة ویهود اما عربی من هاد اذا تاب سموا بذلک حین تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما کانت توبتهم توبة هائلة واما معرب یهوذا کانهم سموا باسم اکبر اولاد یعقوب علیه السلام والنصاری جمع نصران کندامی جمع ندمان یقال رجل نصران وامرأة نصرانة والیاء فی نصرانی للمبالغة کما فی احمری سموا بذلک لانهم نصروا المسیح علیه السلام او لانهم کانوا معه فی قریة یقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا الیها والیاء للنسبة وقال الخلیل واحد النصاری نصری کمهری ومهاری والصابئین هم قوم بین النصاری والمجوس وقیل اصل دینهم دین نوح علیه السلام وقیل هم عبدة الملائکة وقیل عبدة الکواکب فهو ان کان عربیا فمن صبأ اذا خرج من دین الی آخر وقری بالیاء اما بالتخفیف واما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الادیان الی ما هم فیه او من الحق الی الباطل من آمن بالله والیوم الآخر ای من احدث من هذه الطوائف ایمانا خالصا بالمبدأ والمعاد علی الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما یقتضیه الایمان بما ذکر فلهم بمقابلة ذلک اجرهم الموعود لهم عند ربهم ای مالک امرهم ومبلغهم الی کمالهم اللائق فمن اما فی محل الرفع علی الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنی الشرط کما فی قوله تعالی ان الذین فتنوا المؤمنین الآیة وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنی الموصول کما ان افراد ما فی الصلة باعتبار لفظه والجملة کما هی خبر ان و العائد الی اسمها محذوف ای من آمن منهم الخ واما فی محل النصب علی البدلیة من اسم ان وما عطف

عليه وخبرها فلهم اجرهم عند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب
المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مأمون عن الفوات ولا خوف
عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون
حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين
الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم
بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه
كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف
وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به
غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما
ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا
بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان
حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه
من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر
اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم
قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى
المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها قصدا الى
درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف
بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في خبر اسم ان ليس لهم في خبر خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على
الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم
بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم
الطور كانه ظلة روي ان موسى عم لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم فابوا قبولها فامر جبرئيل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا
فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او لتنجوا من هلاك الدارين
او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى

فليس لهم دين يجوز رعايته في
وقت من الاوقات ولو سلم
انه كان لهم دين سماوي
ثم خرجوا عنه فمن مضى
من اهل ذلك الدين
قبل خروجهم منه
ليسوا من الصا
بئين ح

عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او
مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع
غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا بدلالة الحال عليه وسد
الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت
فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا
بان يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن
داود عم فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان
يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها
الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى بالله لقد علمتموهم حين
فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
اي جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل
حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الظرف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين
وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل
اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة
بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل
المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم
اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما
بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من
ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ
آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى عم
لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو
عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل
فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاي وقلب الهمزة واوا وقرئ
بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوءا بنا او الهزؤ نفسه استبعادا
لما قاله واستخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء
تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عم ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا
يكره وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عم
بها قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا
اي لاجلنا ربك يبين لنا ما هي ما مبتدأ وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين لنا جواب هذا
السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها

ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم الحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها
الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باي لكنهم لما رأوا ما امروا به
على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله قال اي موسى عم بعد ما دعا
ربه عز وجل بالبيان واتاه الوحي انه تعا يقول انها اي البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر
اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كأنها قطعت
سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف لا قحم ولا ضرع
قال طوال مثل اعناق الهوادي نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عم متفرع
على ما قبله من بيان صفة المأمور به ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله امرتك الخير فافعل
ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا
الامر منه عم لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعا قالوا استيناف
كامر كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الثاني والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها
حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها قال اي موسى عم بعد المناجاة الى الله تع ومجيء البيان انه تعا يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسئولهم
بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك
تؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قاني وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال
الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده
وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعا جمالات صفر قيل ولعل التعبير عن السواد
بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعا تسر الناظرين
كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر وعن علي رض
من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف
عن حالها كأنهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة
والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان
الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك
لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمأمور بها بل صادقة
على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر وتشابه بالياء
والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتأنيث مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه
وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة على انهم تميزوها عن بعض
ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا
بوجوه من التوكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا
لما تبينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب

اوقشالهنه صح

وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه
قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله تعا من العيوب واهلها من العمل او اخلص لها
لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعا لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى
قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عندما سمعوا
هذه النعوت الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق
لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة
ولعلهم كانوا قبل ذلك قدروها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات
الثلث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها
دون غيرها وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها
الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة
وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه
او اعتراض تذييلي ومآله استثقال استقصائهم واستبطاء لهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم
ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون
ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشب وشبت العجلة وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة
اذ ذاك بثلثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال
في آخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد
المأمور به اثر ذي اثير هل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى
المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول
تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة الى آخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال
ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها فيكون هي المعينة
وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه
الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها
الله تعا تشديدا عليهم ~~ولئن لم يكن المراد من~~ وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها
كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم
الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم
لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق
بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك

لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على
المأمور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا
منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا و
تخصيصهما بالاسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير واذكروا وقت قتلكم
نفسا محترمة فادارأتم فيها اي تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بان
طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما بينهما
اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتاويل
الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى
وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى
البقرة كأنه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب
عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى
عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيبها كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف لها
وما عطف عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك الخ للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون
ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها
مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته و
دلائله الدالة على انه على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله
على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات
لعلكم تعقلون اي لكي يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها
او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على
احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه
على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة
ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي ثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة
اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تأثير لها وان من اراد
ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي
قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر
غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه

بلغ مقابلة

فيحييها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست
قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي عليه السلام والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في
الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها
الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لان المراد بيان
بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود
ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها
كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى
جميع ما عدد من الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان
المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة او اشد قسوة اي هي في
القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق
فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما لتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة
تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك
فالعبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة
على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة او للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف
حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى ومن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك
ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من
الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث
كان منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها
لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي
الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا
آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فيكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في الاول
للابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم
وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد وتهديد
على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى
افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى
النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب
اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام
الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه
منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب

كما اذا قدر الاول مثبتا اي اتنظرون فلا تنصرون فالمنكر الثاني المترتب على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه

ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم
المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من
اخلافهم الامثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في
حيزها في محل النصب والجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل
فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان
محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم
الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى
يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة
المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنه هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون
كلامه تعالى حين كلم موسى عم بالطور وما امر به ونهي عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة
بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه
اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى
قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال
سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا
تحريف التورية بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي عم في عصره وبدلوا آية
الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل
ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب
بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه
اظهر وصنيع اليهود به اكثر لا سيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة
دون السماع وكان الانسب ح ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون في ان يؤمن هؤلاء
بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في ايثار لكم على
بأنه من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال
قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطاء في بعض
مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون
واذا لقوا جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم
بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على
ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا
لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي عم قالوا اي الاولون

لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا
لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين
خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت
النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ
الآتي واذا خلا بعضهم اي الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين
الى بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين
كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون
عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من
السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون
المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بما بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي
صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا
التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل
الجليل واللام في قوله تعالى ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ
فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن
العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن
فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة
آرائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم
القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار
بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق
نبينا اخس فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به
لا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا سيما بعد الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون
من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا
الخطاء الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل
من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم
وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الخ تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون
توسيط خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف
وفي تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتوبيخ كما
قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة
ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم
في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى

بعض المذكورين وهم

ابتداء او تفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل
صح

علي

للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في
آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم
هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا التحدث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل
الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لآبائهم المحرفين اي يفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله
يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم
واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان
باقتضاء الحكم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات
كأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى
بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف
الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه
يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون
الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من
لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل
بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي
ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة
الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب
وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه
هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر
بيان قبائح الطائفة السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف
لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيها ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها
فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من
الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التوراة كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم طائفة جهلة غير
قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها
من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم الكريم وسياقه الا اماني
بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كما في قوله
تمنى كتاب الله اول ليلة [illegible] ومعناها على الاول ما يقدره الانسان
في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس
علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو

عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم
رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه
واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم
الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم
فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن
عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة
فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر
المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة
رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه
ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويل وويح وويب وويس بذلك المعنى
او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما
الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال
سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريده
جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ
خبره قوله عز وعلا للذين يكتبون الكتاب اي المحرف او ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم
تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني من عند
الله روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكانت
هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر
فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه ثم للتراخي
الرتبي فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس التحريف و
التأويل ليشتروا به اي يأخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من
التحريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو
وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا
لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخالد فويل لهم تكرير
لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف [illegible] وبعضه في حيز الصلة
وبعضه في معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت ايديهم تعليلية
متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول
ادخل في الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد
والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لانه

تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن ح

من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما
قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يجعلوها في الكتاب لن تمسنا النار في الآخرة الا اياما معدودة
قليلة محصورة عددا ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عم وحكى الاصم عن بعض اليهود
ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروى عن ابن عباس ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة
آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي ان اليهود زعمت
انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم
يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تبكيتا وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها
في الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون
لا يكون الا بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن
شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان
الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف
من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة
فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد
يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد ام تقولون على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق
التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم
وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى
وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد
سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه
قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها
الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيده بها من التوبيخ على التقول على الله
سبحانه كما في قوله عز وعلا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى آخره جواب عن قولهم المحكي وابطال له
من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا
وتفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عم مع ما فيه من الاشعار بانه
امر بين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا واستفهاما من كسب سيئة
فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه
بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه
ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ
عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم
عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع
وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد
بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئته وخطيئاته على القلب والادغام

فيها وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره والجملة
خبر للمبتدأ المتضمن معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بماله من الاوصاف
للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير
اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما ان ذلك
هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد
وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم
اصحاب النار اي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من
جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم
يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم
بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم
التفصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت
من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام
التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت
السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من
الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني
اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب
باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع
عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكر واذ اخذنا
ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو
اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان تقول كيت
وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه
فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ
فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل
عليه المعنى كانه قيل وحلفنا لهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا
متعلق بمضمر اي وتحسنون او واحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى
جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب
وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة اهل
الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة هما ما فرض عليهم
في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات
الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطاب

السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي
عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف
كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق
ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم
كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة
حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم
خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق
العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على
سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى
بفعل مضمر اي اذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض
بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم
بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهما من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل
على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة
فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور
انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتي من قوله تعالى
من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم
لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل للوجهين معا والاول كون المسفوك دماء
او غائبة للمخاطبين حقيقة ومعا والثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة
المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك
دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا
تفعلوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم الكريم
بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون
توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد قوي
لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدا وهؤلاء خبره ومناط
الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فان قوله عز وجل تقتلون انفسكم الخ بيان له و
تفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اي
الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتّلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما
للمخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة

منصوب بفعل مضمر ح

والمضاف محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين ح

في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة
مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد
اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول
والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف احدى التاءين وقرئ باثباتهما
وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التاءين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل
تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج
بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله
اي ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا
يطمئن اليه القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا
فعيل بمعنى مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله
النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي ان
الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم
وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا
غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي
ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدا
ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا عن اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم
تأكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة
وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في
امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض
افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او قصاص
وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تأخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم
كما ذكره الواحدي فلان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها
افتؤمنون ببعض الكتاب اي التوراة التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي
والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي افتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة
وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله
داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان
التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك
ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا لايمانهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل
اتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا لمجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان

والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم ح

ببعضه الآخر ح

مع كفرهم بالبعض ح

ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية ومن
ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة
الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم
حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء مفرغ وقع خبر المبتدا والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير
للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا
في حيز الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي
ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب
واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيامة يردون وقرئ بالتاء وايثار صيغة الجمع نظرا
الى معنى من بعد ما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم
اشد المعاصي وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم
حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشاتين وتقديم يوم القيمة
على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبائح
التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون
بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين اشتروا اي آثروا الحيوة الدنيا
واستبدلوا بالآخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام
الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية
فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة
معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر للمحذوف قبل الضمير فيكون من
عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم و
تصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضي الله عنه
ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث
بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله لموسى عم فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه
اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل و
شمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا
ويحيى وغيرهم عم وآتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك
ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت
لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه
وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح
عيسى عم كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عم لم
تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث وقيل بجبريل عم وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن وروحا

من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر
من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عم
فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عم ببيان حقيقته واظهار كمال قبح
ما فعلوا به عم افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه
من هوي كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء
انفسهم والموافقة لها لا لشيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت من الافعال السابقة لتوبيخهم
على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي ألم تطيعوهم
فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند ربكم
ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا
آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عم وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام
والتشويق الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة
للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عم وسحروه وسموا له الشاة حتى
قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر
من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم
الموجبة للاعراض عنهم لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون وحكاية نظائرها
في عصر النبي عليه السلام قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي متغشاة
باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا
اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قال ابن عباس رض وعطاء وقال الكلبي يعنون
ان قلوبنا لا يصل حديث اليه الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد
لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته باخذلهم وخلاهم
وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم
الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته
فاني لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثاره وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق
المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا
آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان
ولما جاءهم كتاب هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده
للتشريف ومصدق لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في
تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا
من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على

وحكاية نظائرها لكم

حديث صح

على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنه وقتادة والسدي
نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه قبل مبعثه
وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة
كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا اي يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة
حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة
الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له و
الاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة
ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به
من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد وجوابهما
معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة
معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد
بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون
بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام
للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء
للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو محقق
لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس و
اشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا
خلصوها من العقاب ويأباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص
بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعدما وقفوا على حقيته وتبديل الانزال
بالمجي للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما
دون اشتروا للفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم و
فاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو متعلق بما ينشأ من تنزيل الله تعالى من
فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به
انفسهم كفرهم المتعلق بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه
ويصطفيه من عباده المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم
للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب
تكثره فباءوا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين حسب ما
اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عم بعد عيسى عليه السلام
وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم
والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم

لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على جمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس
والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي لليهود
وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لاشتماني لام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا
والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما
آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون تنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس
بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التورية وما انزل على انبياء بني
اسرائيل عم لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال
عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عم وهو الظاهر لاشتماله على فريتي الايذان
عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان
هو التورية وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على
وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم
حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على
واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له تعسف للخفي والوراء
في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به
ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس
المراد به مجرد بيان ان افرادهم الايمان بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون
من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله تعالى وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به
اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير
الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا
لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به
فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر بها قل
تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم
فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين
من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على
اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل
لهم بالتورية كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا
وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اي كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم
وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم
الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا
لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص
في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي والله لقد جاءكم موسى

ان كنتم مؤمنين م

ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل
والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها
من بعده اي من بعد مجيئه بها او من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية ح من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة
والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها
او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهته تعالى
وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم تنبيه على خبايا تهم الناطقة بكذبهم اي اذكروا حين اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها
سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا
امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة
اشتفاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلاقهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به
وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب
كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب
لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل بئسما
لحاضري اليهود اثر ما تبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما
يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا
وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس
بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية
وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم
بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف
لدلالة ما سبق عليه قيل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن آخر
من اباطيلهم لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل
ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم
كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في
الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص له كذا من كذا واللام للجنس
اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من
دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على
الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة
بن اليمان اصفر وقد كان تمنى الموت فيما جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم
صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته

من ضمير اتخذتم ح

ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط
بل في اعتقادهم ايضا وهم قد ادعوا ذلك
والجواب ح

سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب
ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين
جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة
والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع
الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي
عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون
منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي
على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع
بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص
منها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل
احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم
من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان ازيد من
حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف
ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان
لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف
خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة
يود احدهم انهم كان اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر
وانما اجري على الغيبة بقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود
اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم
اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه اي يبعده
وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه او قيل هو
مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد
المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم
سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير
في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم
بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا
فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام
فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك
لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عم وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه

من اجار

والأنبياء حتى تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض
باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع
فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد
صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا
على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما
عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه
ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا
لهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عم قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد
وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل وجبرئيل
كجحمرش وجبرئل وجبرائل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عم والثاني للقرآن
اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لاسيما عند ذكر
شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ
وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعار
من تسهيل الحجاب وفيه تلويح الى كمال توجه جبريل عم الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله
وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي من الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى
وهدى وبشرى اي للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق
لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب
الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف
او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته
تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره
الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه
ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان
الملكية والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في
الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم
الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع
العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين
اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق
والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به

وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل
وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على
معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون
عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها
فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم
او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
نقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان التقدير والنظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا
او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا
من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالزمام ورفضوه
وفي نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتورية وهو دفع
لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذه جهارا فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول
هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة
مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التورية
من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عم بما انزل عليه او من حيث انه عم جاء
على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
لا الذين كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عم كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم
لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم
لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها
اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد
انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت
لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم
محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب
آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ
وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها
وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل
فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء
الرسول معرب عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل تركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل ما يرمى به وراء

الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم شبيهين
بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل
نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله
او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التورية
من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القران فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم
لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما
يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جمل اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني
اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ
العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون
واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت
تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع سوء التوغل و
التمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم
فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا على ملك
سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عم
حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه
سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عم كان قد دفن كثيرا من
العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من
المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة
من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عم
وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عم
عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة
في اظهار نزاهته عم وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع
الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور
للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون
الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين
فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او
بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة
هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما
استينافية فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر

وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة
والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله
ابراهيم عم لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود
وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها
وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية
نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون
ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير
الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول
فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان
الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه تعالى عقيب ذلك على سبيل
جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء
والرسل الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر
له من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة
فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام و
التعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها
من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص
الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل
ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه
الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد
بهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا
يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون
النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر ليتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين
واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عم لما راوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيروهم
وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت
فيهم لعصيتموني فقالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت
وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعدما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة
وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل
بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى
السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت
من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها

لذواتها

بخلاف غيرهم ولعل التحقيق
ان ذلك الانسان ان كان
خيرا متشرعا في كل ما ياتي
ويذر وكان من يستعين
به من صحيح

واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع
اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض
اي واتبعوا ما انزل الخ وهما
ملكان

فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لى على خصمى ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا
ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد اللتيا والتى ثم سألاها
ما سألا فقالت لا الا ان تعلمانى ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى
السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان فى عهد
ادريس عم فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا
الاول لانقطاعه عما قليل فهما يعذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط
الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل
والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التى قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب
وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى فى وهى متعلقة
بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير فى انزل وهى بابل العراق وقال ابن مسعود رضى الله عنه
ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية هاروت وماروت
عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما
من قرأ الملكين بكسر اللام او كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن
هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة فى المفعول
لافادة تاكيد الاستغراق الذى يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما فى قولك ما جاءنى من رجل وقرئ
يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها
مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن
سواها لينصرف الناس عن تعلمه اى وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم
ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او
اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر
ان غاية النفى ليست هى القالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهى لكن لم يذكر لظهوره وكون
الكلام فى بيان اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون او معطوفة
عليه كما قيل اى ولكن الشياطين يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا
والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما فى قوله تعالى وما انزل الخ
نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جئ بها لتكذيب اليهود فى القصة اى لم ينزل على الملكين
اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما
وكون باقى الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلنا
فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهى
عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال فى حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف
على الجملة المنفية فانها فى قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى
كما فى قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اى بسببه وباستعماله بين المرء وزوجه بضم الميم

بلغ

وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز
عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب
العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر فى ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون
انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اى بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اى احدا وما
مزيدة لما ذكر فى قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها فى معمول فعل منفى الا انه حمل الاسمية
فى ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من
التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه
والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان
نكرة لاعتمادها على النفى او الضمير المجرور فى به اى وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ
بضارى على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المتضايفين بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا
بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به
التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعى النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه
ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا
للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اى اليهود الذين حكيت جناياتهم
لمن اشتراه اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية
لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة فى حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله ماله فى الآخرة
من خلاق اى من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة فى المبتدأ وفى الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا
منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ماله خلاق فى الآخرة وهذه الجملة فى محل الرفع على
انها خبر للموصول والجملة فى حيز النصب سادة مسد مفعولى علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان
جعل متعديا الى واحد وجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب
سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء
واشتراه خبرها وماله فى الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم
لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئسما شروا
به انفسهم اى باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اى وبالله لبئسما باعوها به
لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما
تتلو الشياطين ولان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه فى تفسير قوله سبحانه بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب
علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا
على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو
محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اى بالرسول المومى اليه فى قوله تعالى ولما جاءهم رسول

باعوا به انفسهم السحر او الكفر
وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم
فقد عرضوا انفسهم
للهلكة منه
سر

عليه

من عند الله او بما انزل اليه من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
او بالتورية التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن
والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا
مثوبة من عند الله خير مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على
ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب
لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب
وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة
وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل
لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر
من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك
مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا
يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية
يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه
واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلعم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة
والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم
لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه
قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس
وامروا بما في معناه ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا بالحذف والايصال او انظرنا
على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير
وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب
بالرعن اتصف به واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل
باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه
من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن
سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى
كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما
اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه
ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله
من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكانه اشير الى
ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق

من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى
من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي ان ينزل عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل
للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح به في الآية وقوله تعالى من خير القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق
والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم
والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار
كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية
للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على
المخاطبين من حيث تقيدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية
من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان
بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة
عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون
في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان
رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الرأي اشهر لاسيما في اثناء ذكر
ابتلائهم لم يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي
والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام
الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله
على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم
فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق
لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا
به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة
عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل
لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم
تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله
كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة
وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية
ينبئ عن توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي
هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين
له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم

عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل تقول نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب
اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك او
جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننسأها من النسء اي نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتُنسها
على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ
ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة
لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اي نوحي آخر هو خير للعباد
بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اي في ما ذكر من
النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار في ما دونها ايضا وتخصيصها
بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التي عليها يدور
فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال و
يتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في
حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير
كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عم وقوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند
الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير
من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول
قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير
لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال
في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما
والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان لله ملك
السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرر الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد
على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال
العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على
جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة
على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب
لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول
الخطابين السابقين للامة ايضا وانما افراده عم بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة
للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان

بما

بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه
كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا
ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي
والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر
مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب
عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من
اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر
من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو
خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة
وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن
حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر
من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده
لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره
واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون
ان تسألوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه
ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه
قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عم بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عم قوم من
المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها
المأكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف
وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير
ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سألوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل
اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى يشبه بمسؤولية
والكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال
الذي سأله موسى عم وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين
وتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه لنفسه بالايمان بمقابلته
بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور او
ارادته وجعله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات الناسخة
التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري
عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى

الولي م

موسى عم فلعله اريد التشبيه بهما معا
ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه
السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية م

وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر
واضح غني عن البيان بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية
روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف
لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة
وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين
باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم
مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود
روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر
بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل
ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد
ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام
دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال
اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف
ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا
لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا
بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي
يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على ان كون
الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة
تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية
بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما للممانعة الايمان له كانه قيل من بعد
ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود اي حال اريد به تعليل الجمع اي حاسدين
لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم
وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل
نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التورية من الدلائل
وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح
ترك التثريب والتأنيب حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب
الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رض انه منسوخ بآية السيف ولا يقدح في ذلك
ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا
الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه

ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والتلجئة الى الله تعالى بالعبادة
البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه
لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده
عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف
على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد
كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا
من كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة
مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف
اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم
وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له
البرهان ولا يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه
اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص
به فان قوله تعالى بلى الآية اثبات من جهته تعالى لما نفوه واستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس اثبات
مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو
اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان
يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال
صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال
عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه
لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه
وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه
من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لله تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء
ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده
بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي
من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي
التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا
وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى

عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب
مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند
مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعل الفعل المقدر اي
بلى يدخلها من اسلم وقوله فله اجره معطوف على المقدر وايا ما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام
والاحسان المخصصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص
بالف منزل ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم
ما يوجب ذلك لانه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد
في الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء بيان لتضليل كل فريق صاحبه
بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم
واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين
او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا ذلك
بتا للام على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين
صاحبه حسبما نطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به
والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا
مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام و
المعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر
المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول
الذي سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل
ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث
نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى
فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم
ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيامة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده
ولا خير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة
على رؤس الآي لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون
احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة
ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل
من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل

ذلك

ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا
يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا
التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان ططوس الرومي ملك النصارى واصحابه
غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وانما اوقع المنع على
المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا
بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم
بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها
اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة
ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون
في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا
عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص
من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله
وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد
ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي
عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رحمه الله مطلقا ومنعه مالك
مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي اي خزي فظيع لا يوصف
بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما
ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده
من الخزي والعذاب لما مر من تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل
تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله
المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث
الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة
في المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه
الله ثم اسم الاشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم
ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان
التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم
بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع
باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها

اي اولئك المذكورين

والجملة تعليل بمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافرين على الراحلة اينما توجهوا
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو
اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان
يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة
على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى
ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن
الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا
يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه
تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد
يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي التنزهة تنزهها اللائقة به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق
من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر
الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام
المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقيا ففيه مبالغة
من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به
لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب
عما تقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ
ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو
خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما
فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره
ومشيئته ومن كان هذا شأنه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما
جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشأنهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء
في قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى
لقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما
ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه
اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره
السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل
فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في قوله على رأي

بوقتي واصحابي بتجوع

٦٥

على حالة لو ان في القوم حاتما

من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرا اي اراد شيئا
كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود
الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما
من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل
لسهولة تأتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة
المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه بان
اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده الى مباد يستدعي ترتبها مرور زمان وتبدل اطوار
وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر
النبوة بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين
فقال ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد
والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا
وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة
وهلا يكلمنا نصا على نبوتك او تأتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار
الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى
حيث لم يعدوا ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون
كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية
مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل
يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد
والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها
كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون
اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد
التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة
ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا
بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى
بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار
بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن
كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب
ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا قاسرا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل
على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر
على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم

تقييده

عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم
دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان
قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة
هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت
وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم اشد
من النصارى وللاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم
وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور
المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث
لم يرضوا عنه عم ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل
تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عم وهذه حالتهم في انفسهم
ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى
عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل
على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع بعده جوابا عنه
ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها ويلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية
وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا
اى قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى
وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى
ولئن اتبعت اهواءهم اى ارائهم الزائفة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر
عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان
الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اى الوحي او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم
نفي الولي نفي النصير وسط لا بين المعطوفين لتاكيد النفي وهذا من باب التهييج والالهاب
والا فانى يتوهم امكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطاه اللام واكتفى به عن جواب
الشرط الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه
حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر
ما بعده او خبر وما بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين باتيان الكتاب وتلاوته كما هو
حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اى بكتابهم دون المحرفين
فانهم بمعزل من الايمان به فانه يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه
فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته
نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورته الايمان بها الايمان به عليه السلام واني فضلتكم

بينهما حرف النفي للتاكيد صح

على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونه مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم
واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من
الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اى فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون
وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح والايذان بان ذلك فذلكة القضية
والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى
ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد
والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائفة وان ما يدعونه
من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء عليهم السلام
من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقيقة التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي
صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام
بطريق التلوين اى واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية
الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله عز وجل
واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرف فيه بمضمر مؤخر اى واذ ابتلاه
كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد
ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى
ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلاء
في الاصل الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك
انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من
تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مبادئه العادية كمن يختبر
عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي
كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني والعربي الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب
راحم ولذلك جعل هو وزوجه سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على
ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم
عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض بعنوان
الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى
عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على
الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم
الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة والايذان بان بعثة النبي عم ايضا مبنية على تلك
القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيبت بها

والتعرض صح

دعوة ابراهيم عم كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء في فاتمهن
ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهن سنة
في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن
الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عم اول
من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رض لم يبتل بهذا
الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة
براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل
الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشياء بالشمس و
القمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلوة
والصوم والزكوة والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف
وغيرهن وقيل هي قوله عم الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة
وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق
وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا فاتمهن
اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي
وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر
الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب
او بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم و
ظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل
فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل
الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب
اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال
اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع
واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق
بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم
لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عم عامة مؤبدة اذ لم يبعث نبي بعده الا كان من ذريته
مأمورا باتباع ملته قال استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عم عنده
فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما يقول
وزيد لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض لذلك
لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل
الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة
واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون

مو احداهما وسبق صح

فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعيلة منهما والاصل في الاولى ذريوة
فقلبت الواو ياء لتلبس احداهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء في مثلها
فصارت ذرية او فعيلة من الذر بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة
خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت
الراء الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى وتقضى وتظنى فادغمت الياء في الياء كما مر او
فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي
لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهو ايضا لغة فيها قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه
الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين ليس هذا رد الدعوة عم بل اجابة خفية لها وعدة
اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم بنيل عهد الامامة حتما وقع في استدعائه عليه السلام
من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من
ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه
ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا
وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة
من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم
الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عم كاسمعيل
واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا
ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل
هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عم ينال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون
على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة
الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله
واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ
ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير
فقوله عز وجل مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه وامثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى
للناس متعلق بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل
الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد التائبين وامنا اي امنا كما في قوله تعالى حرما آمنا على ايقاع
المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي
اي امن من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة
وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو راي ابي حنيفة رح ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا
ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان
يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا

من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اى وقلنا
او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذى تضمنه قوله عز وجل مثابة
للناس كانه قيل توبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل فى اذ وقيل هى جملة مستانفة
والخطاب على الوجوه الاخيرة له عم ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر
صريحا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى
عليه اثر قدمه عم والموضع الذى كان عليه السلام حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع
قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روى
انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى فقال لم
اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر رض انه عليه السلام
لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وللشافعى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة
والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضى عطفا
على جعلنا اى واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده
قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اى امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتى بان طهراه
على ان ان مصدرية حذف عنها الجار مطرد والجواز كون صلتها امرا ونهيا كما فى قوله عز وجل وان
اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهى متحققة فيهما ووجوب
كونها خبرية فى صلة الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا يوصف بها الا اذا
كانت خبرية واما الموصول الحرفى فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر سواء
ساغ وقوع الامر والنهى صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة
الفعلية عن معنى المضى والاستقبال او اى طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة
البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عم لا ينافى ما فى سورة الحج من
تخصيصه بابراهيم عم فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت وكان اسمعيل عم حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر
والنهى وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين
المجاورين المقيمين عنده والمعتكفين او القائمين فى الصلوة كما فى قوله عز وعلا للطائفين و
القائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود
من هيئات المصلى ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصه لهؤلاء
لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة ام مباح من قبيل تلويثه
وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر
كامر رب اجعل هذا بلدا امنا ذا امن كعيشة راضية او امنا اهله كليلة نائم اى اجعل هذا الوادى

من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم
انه عم لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول
الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا
لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال ربنا انى اسكنت
الاية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا فى سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه عم
سال اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له فى احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر له لما
تقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال او كان المسؤل اولا
البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او
كان هو المسؤل اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثانى لاستدامته والاقتصار على سؤاله
مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلى او لان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق
بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤل كلا
الامرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية
سؤال جعل افئدة الناس تهوى اليه كما سياتى تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله
من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة
وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رض
ان الطايف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله
فوضعها رزقا للحرم وعن الزهرى انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة
ابراهيم عم من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف
الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه فى الايمان
وزجر عن الكفر كما ان فى حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استيناف
مبنى على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من امن
ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او فى محل الرفع بالابتداء وقوله تع فامتعه خبره اى
خبره اى فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق
لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من امن عطف
تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عم قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة
دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه
قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اى الجئه اليه لز المضطر لكفره و
تضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره
بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عم وفى قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء
على الكفرة وتضييعه تغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما
رزق من امن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة

حيث وضعها

حد فاصل

واظهاره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس
المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في
واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام
ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة
وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها
سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما بني عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها
رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها
ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطأة
مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي
وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته
الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة
من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت
وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل
بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة
على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي
ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي
واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه
في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال
الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي تحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت
عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في
تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى
فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله تعالى جبريل الى آدم
عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط جبرائيل وجعل آدم عليه السلام يحفر وحواء تنقل التراب
حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول
الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم
عند ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى
بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في عهد
نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه
في القرآن مشهور فيما بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده

الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب
ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن
يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر
الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على
ابراهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه
كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي
يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها
والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف
وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على
الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف
الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك
الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب
والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت
السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي هي من زمرتها نياتنا
في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما
بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له
بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى
لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى
من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت
وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون
الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة
بابراهيم لاقتضاء المقام واستجلاب ما تبس من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام
ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين
لك من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الاخلاص
والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع ومن
ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم
اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على
الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين
وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا

وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او
مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا
قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة ودليل عليها وقرئ بالاختلاس
وتب علينا استتابة لذريتهما وحكاية عنهما او ترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط
منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل
للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة وقيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه
من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم
لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما
السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان قال ع م انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا
امي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام يتلو
عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب
اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم
العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب
على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول
فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف
العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد
لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملة التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة
الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخفها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او
هلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان
تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز
نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله وناخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما
قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء
فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام
دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم
سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين ساير الخلق
واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام بجواب قسم محذوف والواو
اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن
الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها
داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرر ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر او حالا مقدرة فان من
كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته

نفسه ح

من الذل وهو الهوان ح

الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه
في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان واللام لما
ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها وكلمة
في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها
على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان
اجلدا او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني
في الآخرة نحو لك بعد رعيا وقيل متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا تقديره
ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه
لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق
بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى
الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به
واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين
وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية
الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه
من الاسلام والاخلاص واستقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات
مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته واضافة
الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول
ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به ووصى ابراهيم بنيه شروع
في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية
التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا
وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين
بتأويل الكلمة كالمعبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية
في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ
بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى
القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند
الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل
واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر
روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون وتفتوتا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن
الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام
الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة

هي ح

نعاصي

وذوانا ح

على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان اللائق بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت
شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله عم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة
ابراهيم عم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت اسبابه و
تقديم يعقوب عم للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال
عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عم اي توبيخهم على افترائهم على يعقوب عم باليهودية حسبما
حكي عنهم واما تعميم الافتراء ههنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر
وما سياتي من قوله عز وجل ام تقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره
عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عم وقوله لبنيه
ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما
بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما
زعموا وانه عم اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما
اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء
بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشا عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا
نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراده عم بالسؤال اي نعبد الاله المتفق
على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون
كما في قوله فلما تبين اصواتنا * بكين وفديننا بالابينا * وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم
عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية
ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على
المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون
اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين
والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي
مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها
لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت
وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا يتخطاها
فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها
على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة
في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره
على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر

حفده ح

حضور ح

اباءك ح

الي ح

على

على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب
هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم
الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم
وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون اذا اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا
ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب
المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات
الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد حمل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن
السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان
التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان
انتفاعه وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم
في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام
المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى الخ
مقولا لكلهم او لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع اليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء
مغنيا عن التصريح اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فنفعل بالنظم الكريم ما فعل
بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا
جواب الامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي عليه السلام اي قل لهم على سبيل الرد
عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل
ملته عم وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام
او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن
الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند قائمة او المضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام
مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام
برد مقالاتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل
اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا لهم اليه آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن
قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها
وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى
ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليه السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها
جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة
يعقوب عم وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى
من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل

وابراد الانباء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي
النبيون اى من جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الايات البينات والمعجزات الباهرات
لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم
مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما
اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر
والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله عم ما احلت
الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه
في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وبين غيره كما في قول
النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اى بين الخير وبين وفيه من الدلالة صريحا
على تحقق عدم التفرق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق
بينهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اى مخلصون له ومذعنون حال
اخرى منه او عطف على امنا فان امنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين
على الوجه المحرر نطقه لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما امنتم به اى
اى بما امنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله اى عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابي بالذي امنتم به ويجوز ان يكون
للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمروره انفا وعلى الفعل مجرى مجرى اللازم اى فان
امنوا بما مر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زائدة والثانية
صلة لامنتم وما مصدرية اى فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان يكون للملابسة
اى فان امنوا ملتبسين بمثل ما انتم ملتبسين به اى فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا
ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر
عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن فانه لا يتصور التعدد
فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل
من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد
لا تأبى تعدد الطريق فيأباه ان مقام تبيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان
يكون له طريق اخر وراءه وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من
ذلك كأن امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم فانما هم في شقاق المشاقة والشقاق
من الشق كالمخالفة والخلاف والمعادات والعداء من العدوة اى الجانب فان احد المخالفين يعرض
عن الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم
اى هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهو لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب
ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد ثباتهم الحادثة بعد
توليهم عن الايمان كجواب الشرط الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم

في ذلك واما تبادر بل فاعلموا انما هم في شقاق الخ هو الذى يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى
فان امنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا
اخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا يخفى
انه مما لا يليق بحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال
والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر و
الغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله
اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل
بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية
منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن
والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظايف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية
والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى
انه تعالى يسمع ما تدعو به وتعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد
للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه
من تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة
من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا
للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شان الصبغ
بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل
مع استناده في ما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا تستقل
العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب
وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اى الزموا
صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة
الى تسليته عم ومن احسن من الله مبتداء وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة
نصب على التمييز من احسن منقول من المبتداء والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل
جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على
ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ حيث كان مدار التفضيل على تعميم الحكم للتحقيق والفرض المبنى
على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة
لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اى لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون
شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على امنا داخل معه
تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اى الزموا
صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجرى مجرى التعليل للاغراء

فان حو

قل أتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب
العام لما ان المأمور به من الوظايف الخاصة به عم وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ
اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون دين الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة
والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او
نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه
للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا اي الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم
السيئة المخالفة لحكمه ونحن له تعالى مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فاني لكم المحاجة
وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى
ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تأتون
اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد
والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل
والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء
عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته
توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى
اتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء
كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه
لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم
باعمالكم كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى
على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فبمعزل من
الملايمة لسباق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه
لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح
والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق
النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل أأنتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست
لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما
كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم
بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قال أأسجد لمن خلقت طينا قال
ارأيتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قايل واحد للايذان
بان بينهما كلاما للمخاطب متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله اي كذبهم في ذلك

ويكتمهم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عم كلا الامرين حيث قال ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان
الله عما يصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة
من الله وهي شهادته تعالى عم بالحنفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده
صفة للشهادة وكذا من الله جيء بهما للتعليل الانكار وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها
من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول
مع انه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل
الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق
الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا
احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية
اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة
تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل
عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام
دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تأتون وتذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون
على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر
الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه
من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن
الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود
سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبير
والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم
الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رضي الله عنه قالوه انكارا
للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عم لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب
بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى
وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم من المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل
طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل
هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول
المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوايف الثلث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون
الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد
فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح

مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة
من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها
الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة
والمراد بها ههنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله التي كانوا عليها اي ثابتين
مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار
عليه باعتبار حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم
للتحويل عنها وزعمهم انه خطاء وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح
في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف
عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك
الدين القديم ابعد عند العقول وانكاره بسببه ادخل لا للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر
عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجيه الى خصوصية قبلة اخرى
او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة
لانه الحق عندهم فانه بمعزل في ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع
مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجأة المكروه على
النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الجهات لله تعالى ناحيتا الارض اي
الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما
هو بامر الله سبحانه ومشيته يهدي من يشاء ان يهديه مشيته تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها
الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا
بالتوجه الى بيت المقدس والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيته المقارنة لحكم ابية ومصالح خفية
وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم
لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل اخر
مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين
الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين ولما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف
لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع
جعلناكم امة وسطا لا جعلا اخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب
اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها
الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي

كانت

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا
المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال
اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة
التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي كيفية متشابهة حاصلة
من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي فيه
بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد
روعيت ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى
الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد
الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط
الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه
امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين
بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا
ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت
هي الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة
القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله
عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب
المبين المنطوي على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا للشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على
المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند
ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا
ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا
شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة
على اختصاص شهادته عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي عليه السلام رمزا
الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته به عم وليس الموصول صفة للقبلة بل
هو مفعول ثان للجعل فما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول
الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة
فكلام صناعي يساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود
افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها
والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عم كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة
تألفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت

فيقولوا الامم من اين عرفتم صح

المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة
واما الصحيح فبناء على ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها آخر
ذي اثير وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم
استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من
يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة
مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين
الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض
يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه
لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا
بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له
قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام
او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة
اي شاقة ثقيلة اوان هي المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت
الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله واخوان لنا
كانوا كرام واصله وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام
الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على اتباع
الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر
صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه عليه السلام
لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في
ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا
او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة
للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف
الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل
بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع
كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها
في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم
كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك وتصرف
نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه

صح
فكيف اذا اذوق بدا وقوم

على الايمان صح

ويحص

عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانه قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لمفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود وكان
يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء لللدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من
استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة
بحذف الجار وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيته تعالى
وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار
التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية
من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار
شطورا اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه
القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة
لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك
في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة
وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان
النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص
الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه ايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع
التعرض لاماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة
وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو
قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى
ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على
تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كما يشعر
بذلك التعبير عنهم بالاسم بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد
مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من
ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما
يعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع
تحقق ما يزعهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل
واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط
والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي عليه السلام
بعد تعميمه لانه لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت بتابع
قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود

٦ نهاه

لاخلاف صح

لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عم وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق
ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود
تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه
ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه
الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا
انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شأنه ذلك
اذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك واذن
حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم او
تتأخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب
القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء الذين آتيناهم الكتاب
اي علماؤهم اذ هم العمدة في اثباته ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعليته لما في حيز الصلة
للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد
ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه
بالنعوت التي من جملتها انه عم يصلي الى القبلتين كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا
يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شأنه عم وانه علم معلوم بغير اعلام فتأمل
وقيل الضمير للعلم او لسببه الذي هو الوحي او القرآن او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم
اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم
بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رض انه سأل عبد الله
بن سلام رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك
فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضي الله تعالى عنهما وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون
الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار
ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما
ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدأ محذوف
اي هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول
ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من اظهار اللطف به عم ما لا يخفى فلا تكونن
من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد نهي الرسول عليه السلام
عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد اختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر

او امر الا

او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض
من المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها
احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله
موليها اهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي مولى لتلك الجهة قد وليها فاستبقوا
الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله تنادي عليكم آل حرب ومن يمل سواكم فاني مهتد غير مائل
وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها
يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات
المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كأنها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة و
الاحياء والجمع وهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي
السفر والحضر ومن متعلق بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول
وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او فافعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ وانه اي
هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء
فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك
ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا وحيثما كنتم
من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثاركم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين
المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن
المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شأن خطير
والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة
مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل
فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه
يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل
اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين
قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء
حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة
بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استئناف
فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرتكم لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم
لما انه صراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

مكة

وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية
بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الى آخره او على قوله تعالى
لئلا يكون الى آخره وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الى آخره بينهما للمسارعة الى التسلية والتسكين وفي الخبر
تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني
متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة
اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا تكافؤها
نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد
افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلوا عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة
ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة
في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة
نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر
نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار
كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله
عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة
قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذاك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من
عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شأنهم
ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على
ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار
بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امركم به يا ايها الذين
آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا
في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم المؤدية
الى مقاتلتهم والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين
تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين
اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى
التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع الصابرين لما انهم
المباشرون للصبر حقيقة فهم متبعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان
ان لا غائلة لما امر به وان الشهادة التي ربما تؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله
اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست

تعريض

مما يشعر به المشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان
الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رأيت في المنام سنة تسع وثلثين وتسعمائة اني ازور
قبور شهداء احد رضي الله عنهم وانا اتلو هذه الآية وهي ما في سورة آل عمران واردد ما كان
في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رأيت شابا منهم
قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيأت والمنظر ليس عليه شيء من
اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر فالقي اليّ اعلم يقينا ان ذلك ايضا
كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرأيته ينظر الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف
ما اري فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة
عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا
فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم
بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة
وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم
له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف
على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه
فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون الخطاب للرسول عليه السلام او لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان
يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده
منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى
الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات
من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها
والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة
بهم وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا

النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم
خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية
غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر
ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا
او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها
جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت
وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع
يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض
واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للاخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف
على ما قبله وتأنيثه اما بتأويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاول
كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع
المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها
نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب
الخوض والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر ومن الاولى
ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك
او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء
اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي في
ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا
متصل بالمعطوف عليه كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها او على احيا بحذف
الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها
ولكن على من صبه الله علقم وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني الى الارض لم يقدر الخبر فادح على معنى فاحيا
بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء وتصريف الرياح عطف على انزل
اي تقليبها من مهب الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو
اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار
لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسب
ما تقتضيه مشية الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء
مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها
آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان

اي علم عليه

وخبره اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة
والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون
فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي عليه السلام آية
تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها
ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها
عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون
ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط
معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما يقتضيه حكمته ويشيئه
مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين
على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة
آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها
القاضية باستحالة ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية
والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله
متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شئونه الجليلة واثبات
الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم
فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبري من المتبعين
وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم
بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها
ورسخ فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك
محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه وتعالى ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء
بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة لاندادا او حالا من فاعل
يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد
للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون بالله
تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحب الله اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم
وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهم
في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي
كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم
لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير ما اسلفناه في تفسير قوله عز قائلا كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم
الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله
جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف
اي المؤمنون اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم ومآله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه

وقوله عز وجل اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استيناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء
واظهار البطلان ارائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كالتي
في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي
لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام
السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على
الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته وانتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها
المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا
وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء
ناش من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور
قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان
ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر
يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة
حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته
للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده
في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم
لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة في
الانكار من جهة ان اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر احتمالا
بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا
من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من ابائهم على طريقة قوله تعالى
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين ابائهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالين انكارا
لما افاده كلامهم من اتباعهم على اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها
على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي
تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى
ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة
النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم
الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها
وهي حالة كون ابائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلم
اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال

ذكر من مثال النفي

الغني عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل
المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد
عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة
لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل
الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة
ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول
موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اثبت لهم من
الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحالة الحقيقة لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته
اباهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه رأسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة
وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما
لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه اصلا
وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو
مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات
كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في
اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم
في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده
قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين
صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم الخ فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي
الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل بالسماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة
مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها
الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها
والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر
غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان
عنها بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر
اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله
اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت
بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر
آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح العاصي
بالسفر وهو مذهب الشافعي وقول احمد رح فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم
بالرخصة ان قيل كلمة انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما

استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات
حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم
ويشترون به اي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو
وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى
ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما
يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله
اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المآل يوم القيمة
عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقرير
ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كانه قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه في بعض
بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف
الاستثناء الا فتعليقه بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه
مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين
من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم
اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور هاهنا لا مع ما يتلوه من احوالهم القطيعة
اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته هنا فان المقصود تصويرهم بأشنع ما يكون من المعاملة بصورة
قبيحة تنفر منها الطبائع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه
وابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدا خبره الموصول اي اولئك المشترون لكتاب الله عز وعلا
ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة
التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب
اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها
المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا
قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء
استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر
محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل
الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان مرتكبا
من الجهل والغوايات مستحقا لمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس
الكتاب الالهي بان امنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التورية بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض

فان زمانكم زمن خميص

الذي هو

كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق
او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي عن المفسرين
لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل
فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة
النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود
الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب المغرب فقيل لهم ليس البر
ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله سلي ان جهلت الناس
عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا في الخطوب معول وانما
اختير ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به
والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم
وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون الرد
موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل
ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع
وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا
بريا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله
واليوم الاخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون ان لن تمسهم النار الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق
البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر
هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد
مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب
الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه
وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل
الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين جملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واتى المال على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في
قوله عليه السلام حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله
اي آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لباذل الرشى واخذها لتغيير التورية
وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام
او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي
اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي

اكرم

القربى عليهم لان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته
بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اى المسافر سمى به لملازمته اياه كما سمى القاطع ابن
الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا
السائل ولو جاء على فرس وفى الرقاب اى وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح
للمالكية كالذى من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اتوا كما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته
راسا كما فى الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما ان فى للظرفية المنبئة عن تمكنهم
لا لوثة واقام الصلوة اى المفروضة منها واتى الزكوة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال
التنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة فى الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان
المصارف والثانى لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه فى قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار
صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس
وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما
قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو فى الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو على اذا ذكرت صفات للمدح او الذم
فخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب
فى استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين فى البأساء
اى فى الفقر والشدة والضراء اى المرض والزمانة وحين البأس اى وقت مجاهدة العدو فى مواطن الحرب
وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين
صدقوا اى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون
عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى
فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع كثرة فنونها وتشعب
شجونها منحصرة فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى
بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق
نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه اشير بقوله
من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع فى بيان بعض الاحكام الشرعية
على وجه التلافى لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد
كتب عليكم اى فرض عليكم والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فان الوجوب
انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين القصاص فى القتلى اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم
ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان
فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا

والثانى

ولا دلالة له على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعى ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص
الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه ههنا وانما تمسك فى ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روى على رضى الله عنه ان رجلا قتل عبده
فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده وبما روى عنه رضى الله عنه انه قال من السنة
ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر
الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا
اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة
فى العصمة وهى بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفى له
من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله فى اسقاط القصاص
وهو الواقع ايضا فى العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شئ من العفو وقيل معنى عفى ترك
وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما فى قوله من قال وبار عفاها
جر كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محى له من اخيه شئ صرف للعبارة المتداولة
فى الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفى استعمال الناس فانهم لا يستعملون
العفو فى باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن الى الجانى والذنب قال الله تعالى عفا الله عنك
وقال تعالى عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفى له عن جنايته
من جهة اخيه يعنى ولى الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بنى آدم عليه السلام
لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية
العافى بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقهر واداء اليه باحسان حث
للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة ولا بخس ذلك اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه
من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو
على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على
حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك اى قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او
اخذ الدية فله باعتدائه عذاب اليم اما فى الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما فى الآخرة فبالنار
ولكم فى القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشئ محل ضده و
عرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به
يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم
فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص
وقيل المراد بالحيوة هى الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة
او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى
القرآن حيوة للقلوب يا اولى الالباب اى ذوى العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما
خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل فى حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تتقون انفسكم من المساهلة
فى امره والاهمال فى المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى اليه كتب عليكم

بيان لحكم اخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور
وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى
عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هو الشى اليسير
فاتركه لعيالك وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا
واراد اخر ان يوصى فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك
خيرا وان هذا الشى اليسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر وايثار
تذكير الفعل مع جواز تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الضمير فى قوله تعالى فمن بدله
بعد ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه بل من حيث تعلقه به تعلقا فعليا
مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه
عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد
بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث
بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث
تلقته الامة بالقبول انتظم فى سلك المتواتر فى صلاحية النسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ اية المواريث وانما
الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم
من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى ارائكم حيث قال بالمعروف اى بالعدل
فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات
واعطى كل ذى حق منهم حقه الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرائكم
اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك
ان ما قيل ان اية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث
من الاحاد وتلقى الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله تعالى من
توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل
من التحقيق ولذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت
اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبى صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التى
كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية
فكان هو المعنى للنسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية حيث كان تفويضا للامر الى
اراء المكلفين على الاطلاق وتسنى الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه اراؤهم بالمعروف فتكون
اية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص
بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله تعالى حقا على المتقين
مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى بعد ما وصل اليه
وتحقق لديه فانما اثمه اى اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع
ووضع الموصول فى موضع الضمير الراجع الى من للتاكيد والايذان بمناط خبر الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار

بعد والمبدلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين
فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ من موص جنفا اى ميلا بالخطاء
فى الوصية او اثما اى تعمدا للحيف فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة فلا اثم عليه
اى فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة
لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم
اخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم فى اللغة الامساك
عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الاية وقيل هو الامساك عن الشى مطلقا
ومنه صامت الريح اى امسكت عن الهبوب والفرس اى امسكت عن العدو وقال خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التى هى معظم
ما تشتهيه الانفس كما كتب فى حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اى كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر
المعرفة اى كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ
الصيام اى صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال كونه مماثلا لما كتب
على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن ادم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه
وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة فى اصل الوجوب
واما فى الوقت والمقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته
وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا فى ذلك فان ذلك اليوم يوم عاشوراء واما النصارى
فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت اراء علمائهم على تغيير فصل واحد بين
الصيف والشتاء فجعلوه فى الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض
ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اى المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة
الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقوا الاخلال باداء لاصالته او تصلون
بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير
يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب فى بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر
وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبى بل بمضمر دل هو عليه اعنى صوموا اما على الظرفية او على
المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا تتحقق الظرفية
ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اى يضره الصوم ويعسر معه او على سفر مستمر
عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر فعدة اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر
من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اى فليصم عدة وهذا على
سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الذين يطيقونه
اى وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اى اعطاء فدية وهى طعام مسكين وهى نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك فى بدء الاسلام لما انه قد
فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية وقرئ يطيقونه

اي يكلفونه او يقلدونه او يتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه و
واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق وادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير
المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم
وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى
يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي
تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وجهدوا طاقتكم او المرخصون في
الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات
الى الخطاب للتهييج والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب
محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان
الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او خبر لمبتدا محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل
من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا
او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما
ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث
وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض
الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه
القرآن خبر للمبتدا على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزل فيه انه ابتدئ
انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه
المصلحة الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث
عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن
اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وايات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين
الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير
للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدا معنى الشرط او زائدة على تقدير
كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له ونحو الجملة خبر له وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام
في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد
منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه
قيل ومن كان مريضا وان كان مقيما او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر
لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا
الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون علل الفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم
الشهر وامر المرخص له بمراعات عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر

حاضرا فيه

بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير
بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى
يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند
الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد
واذا سألك عبادي عني في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه
ورفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام
بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة
فليستجيبوا لي اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه
لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر
ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم
سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى
ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا وان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم
واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام التي يصبح منها صائما والرفث
كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى
الافضاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم
الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر بقي النفس مترقبة اليه
فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب
الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمراة لباسا للاخر لاعتناقهما
واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان
كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف اخر مبين لما ذكر
من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع
الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره الله
لكم وقدره في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة
وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب
كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من
الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله

وقيل

من الفجر عن بيان الخيط الاسود ودلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح
دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان
الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد
غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك
حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى
ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى
الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك
اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله اياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره
ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي
عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب
على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي فلا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة
الزور واليمين الفاجرة او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي
ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام
انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا
ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال
الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس
والحج كانوا قد سالوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم
بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء
وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بين المدة
والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال
والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا
احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك
برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله

انهم

انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا وانهم لما سالوا
عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا
السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سالوا عنه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسالوا
عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت
من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله
واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول برّ او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه
او في جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر بر من اتقى اظهارا للزيادة اعتناء بشان التقوى وتمهيد
لقوله لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر وبالهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه
واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان
ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة جميعا
فان الكل بصدد قتال المسلمين وبقصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء
فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده
في اثناء بيان الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة والمثلة وقتل
من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير
وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف
الحذق في ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن
اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم
من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل
لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان
قاتلوكم ثمه فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفيه العدول
عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم
فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما قاتلوكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن
الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم
وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم
للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام
قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا

وكراهتهم القتال فيه بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
اى كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو
فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله فى شان الانتصار واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله
مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين وانفقوا فى سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالانفس
ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق
فيه فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه
انه لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه
يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وتعديته
بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة والهلك والهلاك
واحد اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف
المفعول واحسنوا اى اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اى يريد بهم الخير
واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدى لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما
عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما فى انفسهما من الوجوب وعدمه
كما فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله
وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام
فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر
باتمامهما امر باتيانهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل
مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا
محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغى من غير تعرض لحالهما فى انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما
وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشئ منها وقد قيل اتمامهما ان تحرم
بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما
قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشئ من
الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض فى الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روى من ان ابن عباس رضى الله عنهما
قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضى الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين على
اهللت بهما وفى رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روى عن جابر انه قال يا
رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر
فان احصرتم اى منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده واصده والمراد
منع العدو عند مالك والشافعى رحمه الله لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله عنهما
لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابى حنيفة رحمه الله لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى اى فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر

والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا
يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل
الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واحتجوا فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم
وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة
اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى
جمع هدية كمطى ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل
ففدية اى فعليه فدية اى حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه صلى
الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق
على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم اى الاحصار او كنتم فى حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج اى فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى اشهره وقيل
من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى اى فعليه
دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعى وعندنا هو كالاضحية
فمن لم يجد اى الهدى فصيام ثلاثة ايام فى الحج اى فى اشهره بعد الاحرامين وقال الشافعى فى ايام الاشتغال باعماله
بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة
اذا رجعتم اى نفرتم وفرغتم من اعماله وهو احد قولى الشافعى او اذا رجعتم الى اهاليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا
على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما فى قولك جالس الحسن وابن
سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص
دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة فى المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة
فانها اول عدد كامل اذ به تنتهى الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ذلك اشارة الى التمتع
عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعى لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر
عند الشافعى ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس واهل مكة عند مالك واتقوا الله فى
المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما فى الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به
عن العصيان واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اى وقته اشهر معلومات
معروفات بين الناس هى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعى وكله
عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من
المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمى شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة
جمع المذكر فى غير العقلاء تجىء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اى اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية
او بسوق الهدى فلا رفث ولا فسوق اى لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع

بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اى لا مراء مع الخدم والرفقة فى الحج اى فى ايامه
والاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل
من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان
ما كان منكرا مستقبحا فى نفسه ففى تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج
عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر
الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزيكم به خير
جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهى عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى تزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولى
الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا عن كل شى سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا
الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اى فى ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم
عطاء ورزقا منه اى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها ايام مواسم
الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اى دفعتم منها
بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات
جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث
اما بالتاء المذكورة وهى ليست تاء التانيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة
كما فى سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تابى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما
سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبريل عم كان يدور به فى المشاعر فلما اراه
قال عرفت او لان آدم وحوا التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهى من الاسماء المرتجلة الا ان
يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مامور بها بقوله
تعالى ثم افيضوا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الحج عرفة او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر
به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام
ويسمى قزح وقيل ما بين مازمى عرفة ووادى المحسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمى مشعرا
لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادى محسر واذكروه كما هداكم اى كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى
المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين
غير العالمين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله عز وجل وان

نظنك

نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون
بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى
قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ الناس بكسر السين اى الناسى على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله فنسى والمعنى ان الافاضة
من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم فى تغيير المناسك ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم
المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم اى فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون
بذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل
فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا منصوب بالعطف على آبائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر
دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد الى سلك الآخرين من يقول
اى فى ذكره ربنا آتنا فى الدنيا اى اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا خاصة وما له فى الآخرة من خلاق اى من حظ ونصيب
لاقتصاره على الدنيا فهو بيان لحاله فى الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله فى الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على
المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة هى الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفى
الآخرة حسنة هى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروى عن على رضى الله عنه وكرم الله وجهه
ان الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة فى
الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب
المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثانى باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه
من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين
فى قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثانى للتنويع اى لكل منهما نوع نصيب من جنس ما كسبوا
او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لانه
من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال
بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب
الحسنات واذكروا الله اى كبروه فى اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى ايام
معدودات هى ايام التشريق فمن تعجل اى استعجل فى النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين
ومتعديين يقال تعجل فى الامر واستعجل ويقال تعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما فى قوله قد يدرك المتانى
بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل فى يومين اى فى تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس
واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمى الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث
قبل الزوال او بعده وعند الشافعى بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر

ولا يقدح فيه افضلية التأخر وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم
للمتأخر لمن اتقى خبر لمبتدأ محذوف اى الذى ذكر من التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى لانه
الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله فى مجامع اموركم بفعل الواجبات
وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا فى سلك المتقين بالاحكام المذكورة والرخص واحذروا الاخلال بما ذكر
من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة
والجزاء كان ذلك فى اقوى الدواعى الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد الخطاب وتوجيه له
اليه عليه السلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس فى شأن التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما
ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اى
ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه فى نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة الفحوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض
للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه فى الحيوة الدنيا متعلق بقوله اى ما يقوله فى حق الحيوة الدنيا
ومعناها فانها الذى يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا
آخر ليس من هذا الصنف او بيعجبك اى يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا حلاوته وفصاحته لا فى الآخرة لما انه يظهر هناك
كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا يلائمه لانه ح فى سوء حاله فان ماله بيان
حسن كلامه فى الدنيا وقبحه فى الآخرة وقيل معنى فى الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اى لا يصدر منه فيها الا القول
الحسن ويشهد الله على ما فى قلبه اى يحلف ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما فى قلبى موافق لما فى لسانى وهو عطف
على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما فى قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضى والله يشهد على ما فى قلبه
على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اى شديد
العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر او اشد
الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام والمحبة وقيل فى المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور
فى قوله او من المستكن فى يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اى من مجلسك وقيل
اذا صار واليا سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه
القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام
وهى لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه
وهو اعتراض تذييلى واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد والنفاق
واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اى حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى نهى عنه
لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر اى كافيه جهنم
وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها
وقيل حسب اسم فعل ماض اى كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه

والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشرى نفسه مبتدأ وخبر كما مر اى يبيعها
ببذلها فى الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك فى الحروب او بامر بالمعروف ونهى عن المنكر وان ترتب
عليه القتل ابتغاء مرضات الله اى طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث
ان ذلك يأنف من الامر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت فى صهيب بن سنان
الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم
لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشرى حينئذ بمعنى يشترى لجريان
الحال على صورة الشرى والله رؤف بالعباد ولذلك كلفهم التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلى
يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم اى الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهى لغة فيه
وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير فى ادخلوا او من السلم او منهما معا كما فى قوله خرجت بها تمشى
تجر وراءنا على اثرنا ذيل مرط مرجل وهى فى الاصل اسم لجماعة يكف مخالفها ثم استعملت فى معنى جميعا وتاءها
ليست للتأنيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما فى قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقوله
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هى للنقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى
استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليته ولا تخلطوا به
غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد الاسلام او فى شرائع الله تعالى
كلها بالايمان والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريق التغليب واما بالنظر الى
ايمانهم القديم او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب
بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق او لمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل
للنهى او الانتهاء فان زللتم اى عن الدخول فى السلم وقرئ بكسر اللام وهى لغة فيه من بعد ما جاءتكم الآيات
البينات والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم
حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكارى فى معنى
النفى اى فى معنى النفى اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه
الا ان يأتيهم الله اى امره وبأسه او يأتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتى به لدلالة الحال عليه والالتفات
الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف
على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها
مترقبون لوقوعها فى ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهى ما اظلك وقرئ فى ظلال كقلال فى جمع قلة من الغمام اى
السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع
فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم
الجليل اى ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط فى اتيان امره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط
الظرف بينهما للايذان بان الآتى اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان
اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضى الامر

اى انتم او اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على تحققه
فكانه قد كان او جملة مستانفة جئ بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله
لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من
الرجوع سل بنى اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم
وتقريعهم بذلك وتقرير لمجئ البينات كم آتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة على ايدى الانبياء عليهم السلام
واية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن يبدل نعمة الله اى اياته الباهرة فانها سبب
للهدى الذى هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزائغ من بعد
ما جاءته اى وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجئ للاشعار بانهم قد
بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما فى قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلها
ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب
كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال
الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا
عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه
القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شئ الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الامور
البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار صيغة
الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم و
يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم
والذين اتقوا هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء
عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم فى اعلى عليين وهم فى اسفل سافلين
او لانهم فى اوج الكرامة وهم فى حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم فى الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا
منهم فى الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء
اى فى الدارين بغير حساب اى بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة
واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان
فبعث الله النبيين اى فاختلفوا فبعث الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقد حذف تعويلا
على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذى علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان
الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال فى فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اى جنس الكتاب او مع كل واحد منهم من
له كتاب كتابه الخاص لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب
من قبلهم وعموم النبيين لا ينافى خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اى ملتبسا بالحق

ليحكم

او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اى الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين
بين الناس اى المذكورين والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اى فى الحق الذى اختلفوا فيه
او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اى فى الحق او فى الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه
اى الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق ~~عن الانزال~~ والتعبير بالايتاء والتنبيه من اول الامر على كمال
تمكنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل
لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اى رسخت فى عقولهم ومن متعلقة بمحذوف
يدل عليه الكلام اى فاختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما فى قولك ما قام
الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اى اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين
امنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفى ابهامه اولا
وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان
اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقى الانبياء ومن معهم من قبلهم من
مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد
اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اى
اى والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة
وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل
مستهم البأساء اى الشدة من الخوف والفاقة والضراء اى الالم والامراض وزلزلوا اى ازعجوا از
عاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه اى انتهى امرهم من الشدة
الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشئون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون
المقتدون باثاره والمستضيئون بانواره متى اى متى ياتى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة
والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من
الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اى فقيل
لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزمانى وفى ايثار الجملة الاسمية على الفعلية
المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره
ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها فى حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على
حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هو
واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكى وفيه رمز الى ان الوصول الى جنات
القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون اى من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما شرطية

عن الانزال صح

الجنة صح

واما موصولة حذف العايد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان
لما في السؤال الا انه جعل من جملته ما في حيز الشرط والصلة وابرز في معرض البيان المصارف حيث قيل
فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه
في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله
ماذا ينفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل
ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى
وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الاية
ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال مبنيا للمفعول ورفع القتال
اي قتال الكفرة وقرئ بنيائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة
والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول
مبالغة او بمعنى المفعول كالخبر بمعنى المخبور وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى
الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية
دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة
وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم لا تعلمون
اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رايكم وامتثلوا
بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على
سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه
واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من
جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم
فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى
يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر و
تنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك
عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ
قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدا مع
كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كاين فيه واما بالعمل ان تعلق
وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطاء
انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت
واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله
مبتدا قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل العبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل

و الى الشهر الحرام صح

فيما بعده

فيما بعده مثله اي كفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح
العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو
ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة
اي كبائر السائلين اكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطا وبناء على الظن وافعل
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد
الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان
لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة
الدين اليهم لتذكير تاكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم
في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل واني لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد
اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في
الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر
والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم
الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام
الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها
وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن
بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان
بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء دون
الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب الاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه
لا لان في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطا رحيم يجزل لهم الاجر و
الثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر توارد في شان الخمر
اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق
المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة العقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها
آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك سعد بن وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه
هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه
انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بير فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها

فاذ اولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة من الارتداد
صح صح
صح

المراد صح

ولو وقعت في بحر ثم جف فنبتت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان
والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي بها ما عصير العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد
لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد
والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له
وصفته انه كانت لهم عشرة اقدح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح
والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة
هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل
ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم
رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشئومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه
ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عن حكمهما وعما
في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا
مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصادقة الفتيان و
تشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمهما ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعهما
مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد
المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون عطف
على يسالونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا
سال اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا عن اي
اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه فقيل قل العفو بالنصب
اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون
اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل
وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابه لشجه
ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة
الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل وكمال تميزه وانتظامه
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله
النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة

اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له
من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور
مع حرمانه وكانوا يدعون
تلك الانصباء

الاسولة

الاسولة الاتية يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام
تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات تنزيلها مبينة المعاني واضحة المدلول
لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون
لكي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والاخرة
متعلق اما بتبيين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والاخرة الايات واما بمحذوف وقع حالا من الايات
اي مبينة لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشان
التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة في الاحكام الواردة
في اجوبة الاسولة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو
المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة فذلك
اشارة الى ما مر من التبيينات كلا او بعضا لا الى مصدر ما بعده فانه فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك التبيينات
والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الايات والدلايل
لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والاخرة وتاخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم
حسبما تقتضيه تلك الايات المبينة ويسئلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما
نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزل الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك
فذكروه للنبي عم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم ولاموالهم على طريق الاصلاح خير من
مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي
هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة
على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمنه معنى التمييز اي
اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد ويميزه ممن يصلح فيها او يقصد
الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد
ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء اعناتكم اي لكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز
لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم وهو تعليل لمضمون الشرطية
وقوله عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل
على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي
لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين
الاتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي ثابتة
وروي ان رسول الله عم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان
يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت
هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي عم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل
للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة

التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة أموة حذف لامها على غير قياس وعوض منه تاء التأنيث ودليل
كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي أما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا ترامى بنو الاموان بالعار وظهورها
في المصدر يقال حرة امة بينة الأموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف
اي ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من مشركة اي امرأة
مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست
لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب
المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال
بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من
سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة
لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في
حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المعنى ولامة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها وحال
اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل
حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع
غيره اولى وقيل الواو حالية ولعله اوضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة
لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما
قبلها فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم
المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من
ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة
الى ذاته وصفاته اولئك استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اولئك المذكورون من
من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اي الى ما يؤدي اليها من الكفر
والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم
الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان
حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه
الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين آياته
المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها
فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو اولياء الله يدعون
وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في
المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين لله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه
المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستندا الى اتحاد
مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدأ لكن يفوت حسن المقابلة بين ذيني

ويعاشرهم صح

للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر صح

قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر ههنا كما في الاحكام
ويسألونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلثة بالعطف لوقوع الكل
عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من
حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونهن كفعل
اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان
الله عليهم اجمعين فنزلت قل هو اذى اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له
فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة المحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال
فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن
هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين
الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب
منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رح فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع
والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه
القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فأتوهن من حيث امركم الله
من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه
ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس
الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع
حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما
يحصل منه فأتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن
من حيث امركم الله انى شئتم من اي وجه شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها
من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتعرضوا لتحصيل ما تنتفعون به ح
واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن
القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تسر بها
القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين
حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رض حين حلف ان لا ينفق
على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون
الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم

حاجزا م

فالمعنى على الوجه الاول لا تجعل الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها
بها كما في قوله عم لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن
يمينك وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها عرفت انها
عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا
تجعل الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوا به تعالى
عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد جوز ان تكون اللام
للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل
بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك
ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بالشنع المزاتم وجعل الحلاف مقدمها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس
فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما
كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان
ما لا عقد به ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر
خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم
من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس
وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم
يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة
المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان
بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين
يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمنه معنى البعد اي الذين يحلفون
متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ
آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر
فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء
اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين
ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى
الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤوا اي رجعوا من
اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الخ
والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند
تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم

من الطلاق

عده ح

معناه مستقبلات لعدتهن ح

من الطلاق وما يتعلق به من الزمزمة والمقاولة التي لا يخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه
من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما
قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان
الامة قرآن او شهران يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتأكيد باشعار بان المأمور به مما يجب ان
يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا متحققا وبناؤه
على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على الانتظار يهيج النفس عليها
من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاتصاف بما لا يستنكف منه من كون نفوسهن
طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية
بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله
عم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم
ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن وهي الحيض الثلث
وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ
ثلثة قرو بغير همزة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف
يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه
الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث
الجمع كما في الخؤولة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا
كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى النكاح بالرجعة اليهن في ذلك
اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب ايثار قوله على قولها
لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد
الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة
عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما
هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف
احكامه حكيم تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به
الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عم سئل عن الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وهو
مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا
مرتان اي اثنتان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة
واحدة وان كان حكم الرد ثابتا فيها ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن

عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه عم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي
العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي المرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله ثم ارجع البصر كرتين
اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلث
فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك اما حكم مبتدأ وتخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب على التعليم
كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن اي
من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه
اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما اعطوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذ مما لا تعلق له بالبضع
اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر آنفا والخطاب مع الحكام واسناد
الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش
النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن
الا يقيما حدود الله اي الا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بناء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما اي الزوجان حدود
الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما
افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب
عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل
في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها
اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك
المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم
الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد
فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج
غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي
ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان
ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق من عسيلتك وتبليه يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد
من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثر
لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول
والمرأة ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على
الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة
للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا

والمحلل صح

حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها
فيما سيأتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز
كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون
وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لانهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من
البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما
يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد ههنا ليصح
ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن
من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره
اعتناء بشأنه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف
وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك
المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد الامر
بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلة او الحال اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله
لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المؤدي
الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن
بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها
دخولا اوليا هزوا او مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام
والحدود ومن قولهم لمن لم يجد في الامر انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده
اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به
النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو
معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم حيث هداكم الى
ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة
عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء
التانيث لانه مبني عليه كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم
عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة
بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول
ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اي
بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه
الواجبة عليه واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تأتون وتذرون فيؤاخذكم بانواع العقاب

على المدة يطلق صح

هن

واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان
حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها
والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى
زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه
كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل
المذكور ح وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل
لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة
اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهن ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية
الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق
فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر
العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في
استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند
الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة
النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا
فبالاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به
لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه
واستحكامه بالمعروف الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل
تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي بما يحسن في الدين والمروءة وفيه
اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من
الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد
منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
او للرسول عم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل
احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا
من عقابه وقوله تعالى منكم متعلق بكان او بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انمى وانفع والطهر من ادناس الآثام
واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم
من الاحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا آراءكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه
في كل ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن
خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب
ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن بالعنوان
المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين
التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة

والمخرج ح

اى تراضوا

اما متعلق بكاف عند من يجوز عملها
في الظروف وشبهها واما
بمحذوف وقع حالا من فاعل
يؤمن اى كائنا منكم

بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن
فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له
اي الوالد فان الولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة
المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استئجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت
في النكاح او العدة جائز عند الشافعي رح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير بالمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك
لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما
الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين
لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء
من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه
على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك
عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي
ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي رح هو وارث الاب وهو الصبي اي كان المرضعة
من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عم
واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالا
اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف
ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر
بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص عن احواله و
اجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الراي من شرت العسل اذا
استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما
على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطاء وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على
الفطام والالتفات الى خطاب للآباء لتهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف
المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الصبي و
استرضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المراة للصبي اي ان تسترضعوا
المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم
اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم
اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما
اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله تعالى وانفقوا مما
جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف
المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو

يولدم

ندبا الى ماهو الاليق والاول فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح
شئون الاطفال واتقوا الله في شان مراعات الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير
فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى
والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي
هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيت منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس
بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى
المبتدا في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح
الياء اي يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم
لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى
ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلثة
اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن
القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس
رضي الله عنهما انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم
ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على
المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم
ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح
عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا
كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه
اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل و
كثير الرماد للمضياف من خطبة النساء بالكسر كالعقدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب
والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها
شان من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب
الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن ان يقول لها انك
لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس
نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه
تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار
الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن
محذوف دل عليه ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص من التعريض
والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه
مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح

وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه
الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير
منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء
الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا
وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة
عقدة النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة
آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا
عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم
على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور
يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم
عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح
عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي عليه السلام
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن
وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية
بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط فيكون الثاني
قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين
لهن وهو المعنى ابعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا
على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما
يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة
اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل
اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى
انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال التسمية المهر فان
عليه ح نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس
فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها
على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع
وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال
كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة
بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ

على الشرط ح

او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه اى على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اى تمتيعا بالمعروف اى بالوجه الذى يستحسنه الشريعة والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين اى الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اى وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اى عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبنى للفاعل او المفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لاريب فى مقارنته لها وكذا الحال فى اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح فى ان المنفى فى الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اى فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل فى العقد والاكثر فى الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت فى انصارى تزوج امرأة من بنى حنيفة كانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام متعها ولو بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك ح بعد وجوبه وظاهر الصيغة فى نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق فى الاعتبار والتحقيق فان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذى بيده عقدة النكاح اى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذى ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمى ذلك عفوا فى صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء ح منع الزيادة فى المستثنى منه كما ان مرجعه فى الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اى فلهن هذا القدر بلا زيادة ولا نقصان فى جميع الاحوال الا فى حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفى ذلك او ينحط او فى حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثانى فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان فى صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفى القول القديم للشافعى ان المراد عفو الولى الذى بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ فلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى الخ فان اسقاط حق الصغيرة ليس فى شئ من التقوى وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشئ المنسى وقرئ بكسر الواو والخطاب فى الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اى داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشئ منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة

للمبالغة ولعل الامر بها فى تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها فى حالة الخوف ولذلك امر بها فى خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اى المتوسطة بينها او الفضلى منها وهى صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التى شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ح وقيل هى صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هى صلوة الفجر لانها بين صلوتى الليل والنهار والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهورة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث الوقوع بين صلوتى النهار والليل وهى وتر النهار ولا تنقص فى السفر وقيل هى صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين فى طرفى الليل وعن عائشة وابن عباس رض انه عليه السلام يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اى فى الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشئ من الاركان وقيل خاشعين وقال ابن المسيب والمراد به القنوت فى الصبح فان خفتم اى من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام فى قائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اى راجلا او ركبانا جمع راكب اى فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف فى الجملة وقد جوز ان فى رح ادائها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اى ذكرا كائنا كما علمكم اى كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله شكرا يوازى تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتى الخوف والامن هذا وفى ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز فى جواب الاولى والاطناب فى جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المخوف فيهما بمنزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول فى كل منهما مجرى مقتضى المقام الثانى من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولى الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اى يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف فى المبتدأ او الخبر اى حكم

الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم اي والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او ليت عليهم
وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرته والا
فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول
او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن
بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه
وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا
وعند الشافعي هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها
عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة
مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه
مصالح عباده وللمطلقات سوا كن مدخولا بهن اولا متاع اي يطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة
واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد
والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك
اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدال على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما
فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع
فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة
والشياع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن لمن راهم وسمع بقصتهم
فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجب لانه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء
على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا
الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير
كونها بمعنى الابصار بمعنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك
اليهم وهم الوف الالوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا
فقط عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل
بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم
فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله
عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس
واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر امر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد
شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف
للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لانه عبارة عن الاماتة وفيه

تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون
في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى
عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار
واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه
قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام
وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب
واعلموا ان الله سميع لمقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء
الجزاء خيرا او شرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل
طلبا للثواب الاجل والمراد ههنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل
ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في
معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة
بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة وقرئ فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه
على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان لتضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف
اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط
اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه
يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه لايذان باستقلاله في التعجب مع
ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملاء من بني اسرائيل الملاء من القوم وجوههم
واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملئون العيون مهابة
والمجالس بها ولانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى من بعد موسى وعاملهما مقدر
وقع حالا من الملاء اي كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفات موسى عم لا لجزئية اتحاد الحرفين لفظا عند
اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملاء او حديثهم حين قالوا
لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عم وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي
بن يعقوب عم وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عم
قال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا
نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ يقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال
او استيناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على اللام والوصف لملكا قال استيناف

العاجلة صح

للمبالغة صح

بالصاد صح

ابتدائية صح

الجواب صح

وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان
كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان
لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان
قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة
في بيان تخلفهم فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند
عدم فرضيته اولى ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس
القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا الا نقاتل اي اي
سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض
لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد
وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم و
هو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم
اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي
عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو
وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي
والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر
بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي
اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام
وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعد ما اوحي اليه ما اوحي
ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه
وملكا حال منه روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استئناف كما مر اني يكون له الملك علينا
اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية و
الثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق
منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط
معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عم وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود
وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا
وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد
عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم
وثانيا بالعدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب
ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده

بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل بطول
القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال
وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده
والله واسع عليم يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وقال لهم نبيهم توسيط فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر
وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل على انه تعالى
اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي
الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير
التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف تائه من تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق
التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا
فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء
والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس
وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم من اولاده وكان من عود
الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا
بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام
فكان عم يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان
توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا
اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر
ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله
عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى
ان يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم
خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل
الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا
نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده
ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت
ما تسكنون اليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس
الهرة وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا
ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى
بعد وفاة موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله

الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك وليس حمل الملائكة على
الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت
فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى
جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين
بتاويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه
عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت
بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله
محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا
من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا
ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال
لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها
ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا
مفازة فسالوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام
او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب
منه اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لان الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي
المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه
من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت
لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه
فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة
باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف
او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته
ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر
يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولي
وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه
في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع من المال مسحت او مجلف فان قوله لم يدع في حكم
لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل
والظرف متعلق بجاوزه لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول
كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم
بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم

ومقاومتهم

ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل
شاكي السلاح قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا
ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمنخزلين عنهم كانهم قالوه
اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت رأسه اذا
شقه او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية
كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة
غلب الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من
نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل
اطاقة بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب
ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم
ربما يورث الياس من الغلبة ولا التوقع لثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا
للحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى نصره وتاييده
عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان
المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه انهم انما قالوه تتميما لجوابهم
وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق له
بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم
والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله
العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان
اسمية مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين
وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا
انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول بقول الفريق الثاني
متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد الحرب واقتحام
موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ
المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال
النزال وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا
مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع
الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا
بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال
النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة

لدعائهم وايثار هذه الطريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للتلميح فقط على مضمون فهزموهم
غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة
من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار فقال له كل منها احملني فانك بنا تقتل جالوت
فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم
في المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان رجلا مهيبا فقال داود لاخوته
اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فتنحى ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض
الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه
شطر مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت
بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلمته الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فاخبر له طالوت بما وعده وقيل
انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام
واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة
ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط
والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعالى تعليمه
اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع
في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيته كالسرد بالآلة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو
ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر
منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع
الله على ان صيغة المبالغة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض
بعيثهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة
ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي
مؤلف من وضع نقيض منتج المقدم لنقيض التالي خلا انه وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني
كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان
فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض
فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من
حديث الالوف وتمليك طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه
آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبريل
اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب
على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب
التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من

المقدم صح

الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ
رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه
سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين
بها تلك الرسل استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلوة والسلام
اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي عليه السلام فاللام في الرسل للاستغراق
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل
الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بما
يقتضيه مثبتا بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله
بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب
وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل
بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل
وما بعده من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من
رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب
لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ
عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة
والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر و
والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام
حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل
عليهم السلام وآتينا عيسى بن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه اي قويناه بروح القدس بضم الدال
وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس
للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل
بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية
ناطقة بان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع
ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم
ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون
الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك من
بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية
الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل
ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها
منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال

ناش من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من
حق اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت
الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم
بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا اى ما نبض
منهم عرق التطاول والتعادى لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه
على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه فى الاستدراك
موضعه بل هو سبحانه مختار فى ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه
الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اى من الامور الوجودية والعدمية التى من جملتها
عدم مشيئة اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه
موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا
ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم اى شيئا مما رزقناكموه
على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما فى قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان يأتى يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما
فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون
على تلافى ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه وتفتدون به من العذاب ولا خلة حتى
يسامحكم به اخلاءكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتوسلوا
بشفعاء يشفعون لكم فى حط ما فى ذمتكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب
هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اى والتاركون للزكوة وايثاره
عليه للتغليظ والتهديد كما فى قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من
صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اى الذين ظلموا
انفسهم بتعريضها للعقاب او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر
اى هو المستحق للعبودية لا غير وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف الحى الباقى
الذى لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من
الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه
اى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا نوم السنة
ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع العاملى وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة
وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة
المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس رأسا والمراد بيان انتفاء اعترائهما
منها له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام
التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقى بناء على ان القادر على دفع السنة

قد لا يقدر

قد لا يقدر على دفع النوم القوى كما فى قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على
ترتيب الوجود الخارجى وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفى لكل منهما كما فى قوله عز وجل ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلرعاية الواقع اذ عروضهما
السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تاكيد
لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون مؤوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير وقيل
مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن فى القيوم له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لقيوميته
واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة
عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه
لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا من ان يدافعه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى
او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير
لما فى السموات والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذى من الملائكة و
الانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشىء من علمه اى من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على
ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات
والارض الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسى الذى هو الملبد
وليس ثمة كرسى ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة
علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسى العالم وقيل عن
ملكه اخذا من كرسى الملك فان الكرسى كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فيعبر عن شمول
علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم
بين يدى العرش محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع
مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك الثامن وعن الحسن البصرى انه العرش ولا يؤده اى لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اى
حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلى المتعالى
بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذى يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه
الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها
ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم
بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه
ما يعترى النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك
والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال

عجايبه الا وهام عظيم لا يحدق به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها
قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين
ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم
منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره
والابيات حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان
وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلى الله عليه وسلم
للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد
عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستأنفة جيء بها اثر
بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان
لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي
لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص
باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف
ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما
حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي
استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا
اي قد تميز بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو
الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية
فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه
ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتأنيث
لارادة الآلهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير
والتأنيث اي فمن يعمل اثر ما تميز الحق من الباطل بموجب الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام
او بكل ما عبد من دون الله تعالى وصد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله
وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم
الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى
اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها
الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة
اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير
المستتر في الوثقى ولها خبر لا اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة

والتذكير

الجمع

من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة
من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى
مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور
في حيز الشرط والاستمساك بها مستعارا لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع
بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما
فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين آمنوا اي متعهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى
ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي
من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي والظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية
من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه
الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم
من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون
الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وسائر
المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول
والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل
ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا
يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس
كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة
بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت
لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم
هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من
ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده
استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا رعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله
بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من
العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه
قد اشير في تضاعيفه الى ولاية الله تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من
الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي
اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم
من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على
احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية

مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه او حيث
آتاه وذلك حمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر
كما يقال عاديتني لان احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك
للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي
وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه قال ربي
الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه
في هذه المقالة القوية فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك
قال ابراهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة في الحماقة وبماذا افحمه
فقيل قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فأت بها من المغرب ان كنت قادرا على
مثل مقدوره تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد
اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول
مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص
على كون المحاج كافرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة
او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين
وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم
اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد
الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كانه قيل او مثل الذي مر واما زائدة كما ارتضاه آخرون
والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى
نور العيان والشهود اي قد رأيت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا
هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج اي انظر اليه
وتعجب من امره وفي الثاني او رأيت مثل الذي مر الخ ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة
بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل
فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة
والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن
عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت
المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر
آباد وقال السدي هي دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا
في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر
البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل

اثلاثا ثلثا منهم قتلهم وثلثا منهم اقرهم بالشام وثلثا منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير
يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه
الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل
وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت
اذا سقط او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة
مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس عنها انى يحيي هذه الله
وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث
ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى
متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد عمارتها
بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء
الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها
بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت
على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل اثر ذي اثير ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده
صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فيأباه التعرض
لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في
الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى
باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله والتنصيص على الموت
مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير فيها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها
قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب
وبقية تينه او عنبه او عصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من
موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس
ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر
ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه
من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة
من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على سرعته
وسهولته تأتيه على الباري تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما
مستعدا للنظر والاستدلال قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه
فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة
ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع
في تضاعيفه على اثر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع
على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت

والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصار المدة لبثه وأما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فرأى منها بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء انما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول يؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضى البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اي هو على حاله كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التورية كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحيوة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهب بها الطير

والسباع

والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحلها والرأس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اي ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء ومباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها يا عجوز هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التورية اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية ولا احد يعرف التورية فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر قلبه فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذي قال رب ارني لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام

على النشاط والسرور كيفا واستشعار الخوف والخشية واستعظاما لجلال الله تعا وهيبته واستقصار الجد
والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام قول معروف اى كلام جميل يقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شئ ومغفرة اى ستر
لما وقع من السائل من الالحاح في المسئلة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وانما صح الابتداء
بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اى ومغفرة كائنة من
المسئول خير اى للسائل من صدقة يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر
والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعا
بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسئول يؤدي الى ان يكون
في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقراء الى
تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم
لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة
الى السائل قطعا يا ايها الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة
في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي
في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء
الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق اى الذي يبطل انفاقه
بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأى سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه
علة لينفق اى لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اى ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعا ولا يؤمن
بالله واليوم الاخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اى فمثل المرائي في الانفاق
وحالته العجيبة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب اى شئ يسير منه فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر
فتركه صلدا املس ليس عليه شئ من الغبار اصلا لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء
ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعا فجعلناه هباء منثورا والجملة استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا
يكون حالهم ح فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبهم وهم اصحاب المن
والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله تعا عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان
المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم
الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى
من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
اى لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اى ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في
قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعا فقد ثبت بعض
نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم
فمن ابتدائية كما في قوله تعا حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين

انها

انها صادقة مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة
بالحركات الثلث وقد قرئت بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع
مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا
وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة
اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اى مثلى ما كانت
تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه
على الحال من اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها
وقيل فيصيبها طل هو المطر الصغير القطرة وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعا
لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار
ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير
فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعا زاكية
زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعا والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ منه وهو ترغيب
في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما
والهمزة لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابى لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس
جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحراق ان تكون له جنة وقرئ جنات
من نخيل واعناب اى كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين
لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة
المتكاثفة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها
والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اى تحت اشجارها
وكذا لا بد من جعل اسناد الاحراق اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما
ان قوله تعا من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات
الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدا اى صفة للمبتدا قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات
كما في قوله تعا وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل
انما هو التكثير كما في قوله تعا واوتيت من كل شئ واصابه الكبر اى كبر السن الذي هو مظنة شدة
الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى وقد اصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء حال من الضمير في اصابه اى اصابه الكبر والحال انه له ذرية صغار لا يقدرون على الكسب
وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير في الارض
ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها
وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة
عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتأسف عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب

جمعا قد مر وجهه مرارا اى مثل ذلك البيان الواضح الجارى فى الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم آياته
لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم
وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات
ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا
وقرئ بضمها وقرئ ولا تاممو والكل بمعنى القصد اى لا تقصدوا الخبيث اى الردى الخسيس وهو كالطيب
من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم
للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا
به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه
مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كانه
فى الجلد توليع البهق او للثانى وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور
اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى
ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اى تنفقون والحال انكم لا تأخذونه فى معاملاتكم فى وقت
من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة
عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على
معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها و
قيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريق التوبيخ والتقريع منه تنفقون
والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكارى فكانه قيل أمنه تنفقون
واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على
ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند
اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول
الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مرتبا على شئ من زمان
او غيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اى يعدكم فى الانفاق
الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجئ الفقر
الى جهته للايذان بمبالغته فى الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله فى تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب
ارادته او لوقوعه فى مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين
وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور
على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصى والسيئات والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة
لذنوبكم والجار فى قوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التى افادها

تنكيرها اى مغفرة عظيمة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها
كما فى قوله تعالى فابتغوا من فضل الله ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زائدا
عليه فى الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا فى الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق
ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم
او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف فى الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبله يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هى القرآن والعلم والفقه وروى عن ابن نجيح انها الاصابة فى القول
والعمل وعن ابراهيم النخعى انها معرفة معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقائق الاشياء
وقيل هى الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر فى القرآن باربعة اوجه
فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة
ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة فى تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين
الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها
من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى ضمن
الآى من الحكم البالغة التى يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول
اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على
بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اى من يؤته الله الحكمة والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار الاعتناء
بشأنها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد حاز خير الدارين وما يذكر اى
وما يتعظ بما اوتى من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوائب
الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة
فى شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم
كلى شامل لجميع افراد النفقات وما فى حكمها اثر بيان حكم ما كان منها فى سبيل الله وما اما شرطية او موصولة
حذف عائدها من الصلة اى وما انفقتموه من نفقة اى اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية
قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر كان فى طاعة
او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه
الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم
لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما فى قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا
خير الى التأويل فى قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية
للاولية كما فى قوله عز وعلا واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه
الآية الكريمة وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تأويلهما بالمذكور
ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف ونحوهما مما عطف
فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتقدير

وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا
فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات
وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم
الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم
من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين
من نصير من الانصار والجملة استئناف مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل من الظالمين
لتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية و
بيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة
وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة
العين وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان
تخفوها اي تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا
لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا
ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما
في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من
سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على
راي الاخفش وقرئ بالياء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا
على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ
مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان
خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان
بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك
الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر الحكيم
ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر
ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم
وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية
وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على
الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام
فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى
وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني
تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به

على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء
تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه
ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من
فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست
نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم
تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف
اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن
الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام
بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي
مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي
ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا
كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان ذميا وانتم
لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلقا
بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا
ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون
لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم
بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ
من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل
المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألون
شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على
لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم
فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق
رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد
منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء
على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة
على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف

على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربوا اي يأخذونه وانما عبر عنه
بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة
في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها
وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب
بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله
فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم
الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى
اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون
بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة
المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك
واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين
بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول
ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا
انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم
الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر
كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا
تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت
من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره
الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض
لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد
في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار
اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال
الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي
احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص
بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما
جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات
لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة
من مبتدأ وخبر واقعة خبر لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض

لعنوان

لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون
من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا
ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة
وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي انه كان لثقيف
مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء
وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فأذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم قيل
من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى
ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع
الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس اموالكم تأخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة
والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا
تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص من ضرورة تعليق هذا الحكم
بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في
حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رح وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم
ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم
رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنه فانه يقول من عامل الربوا
يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات
اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي
ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة
اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظرة اي فالمستحق
ناظره اي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه
بالنظرة الى ميسرة اي الى يساره وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اي ان الخليط اجدوا البين والخردوا وان تصدقوا
على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه
وهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب
للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم
القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه
على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق
الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم

هو

التاء عند الاضافة كما في قوله
ان الخليط اجدوا البين فانجردوا
واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بحذف صح

للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس
تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير
لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنه انها اخر اية نزل بها
جبرئيل عليه السلام وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما
بينهم ببيع السلع بالنقود وبعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او اخذا
وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه
الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف
وقع صفة لدين مسمى بالايام والاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس
ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية
الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل
اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي
بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي وليكن المتصدي
للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب
فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق
بالفعل اي فليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على
طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى
بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها
تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة
وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو
المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب
كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة
واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل
وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان
الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح
بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل
او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل
اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس

نزل

واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل
المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن
تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم
العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد
الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب
اخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يكفون وهذا
فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رحمه الله ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع
صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد
لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما
بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا
فيلزم الفصل بين الشرط المرتبتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف
وقع حالا من الضمير الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم
وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد
النساء والعلة في الحقيقة اي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح
ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار
ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن
توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر
وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة
عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا
اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي
هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او
مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله
الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في
حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي
عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده
وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك
الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون
تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم تتعاطيانها يدا بيد فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها اي فلا بأس ان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ بنصب تجارة

المحذوف

على انها اسم كان حاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي
هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب
ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة محتمل للبنائين كما
ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف
في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد
لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من
الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره
ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم
فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية
المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام
والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا
في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ
او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه
مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا
من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو
مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على
وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون و
قرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه واستغنى
بامانته عن الارتهان وقرئ فان أومن بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون
انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون
وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي
امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء
في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق
الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر
ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر
ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما يقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه
رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر
ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنه ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة
وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ أثم قلبه اي جعله آثما
والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض

من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان
تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه
ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع
يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على المنكرين الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على
الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او
تبدوه يعلمه الله فلان المتعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم
فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة
وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة
والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك
مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى
او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر بفضله
لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط
وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من
الشرط في قوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن والله على
كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه
على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة
ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات
الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى
والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة
حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها
من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك ما تقتضي الحكمة شرحه
عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال
الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان
الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم
التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص
عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد
وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه وفيه توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم
عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم
وتعيين لعنوانه اي آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه

من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى
واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الجهة المذكورة
وفي هذا الاجمال المجد عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى
عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اي الفريق
المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتداء وقوله
عز وجل كل مبتداء ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتداء الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب مناب
التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار
الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار
بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت
البين والاختلاف الجلي كانهما متخالفان من وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد
لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم
آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون
له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس
خصوصيات ذواتهم وانفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم
وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر
والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين من اولئك
الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان
مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان
بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه لما تلي من الآية الكريمة ولا على ان احكام
الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقية منها معتبرة بالاضافة اليها بل على ان
احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من
الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة
وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر و
الملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ كتابه على ان المراد به القرآن او جنس
الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين
الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع
تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي
المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت
ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال

احلال صح

كل صح

في المحكي

في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل
ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من
جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه
تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل في تحقيق
مقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض
عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل
ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الى آخره خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف
اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال
اجلال شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق
بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره
عليه السلام وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العلية
عليه السلام واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة
الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة
على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فتعسف بين يتعين
تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر
على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون
لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر باخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا
به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم
واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا
به من رسالته عليه السلام لاظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد
المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد
به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب
لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين
هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا
يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل
خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد
شمول النفي لا نفي الشمول في همزة احد وفي دخول بين عليه قوم تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد
منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من
كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل عن الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى
وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او
للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة

دون سائر الجنبيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية
لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا
ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا
غفرانك ونسالك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك
وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة
والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجوار واليك المصير اي
الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع
للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جئ بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه
تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن اثار الفضل والرحمة ابتداء
لا بعد السؤال كما سيجيء وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك
هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقراها القوم فانزل
الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فنسخ لهم
الغفران المعلق بمشيته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما تعم الخواطر التي
لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه
اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة
والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان
تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود
اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله
من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب
ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء
مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت
تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها
في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف
اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما
مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما

عقلا

عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطاء مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا
لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك
من اثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان وقد روي ان
اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد
بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله
وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد
به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل
حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما
كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصلوة
وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام
بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله
عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها
الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها
التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك
التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار
ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء
عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه
والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اي آثار ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا
ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة
على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او
متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى
امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى
حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه
الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما
الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل
وعنه عليه السلام من قرا آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة
فانه ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مئتان آية اجماعًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعًا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي بقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعًا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحي القيوم ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف ابن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب

وهابيل

احدهم صح

مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي عليه السلام ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوه فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا فانزل الله من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده بالحق حال من الفاعل او المفعول اي نزل محقا في تنزيله على هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله من الحجج البينة ومصدقا حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى من قبل

بالحق حال صح

نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال
واما عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار المجرور
لانه يتحمل ضمير القيامه مقام فاعله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة
تقييد التنزيل بها حث الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق
موجب للايمان بما يصدقه حتما لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة التقوية العمل نحو فعال لما يريد
اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه
اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل و
الاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزول على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع
التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافهما فمن حيث
ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم
المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشانهم وانزل التورية والانجيل تعيين لما بين يديه وتبيين
لرفعة محلة تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعه وبنايته ويزداد
في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب
الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين
لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني ويعضده القراءة بفتح الهمزة في
الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الورى والنجل تعسف من قبل
متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة والبيان هدى
للناس في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما
حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي
ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما
الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما
بما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث
النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة وانزل الفرقان الفرقان في الاصل مصدر كالغفران
اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها
وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها
حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق
على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما
جاء امرنا نجينا هودا والذين معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل
على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد
وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام و
الشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعدما ذكر باسم الجنس

تعظيما

تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا
او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة
الفارقة بين المحق والمبطل ان الذين كفروا بايات الله وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من
الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا
لامرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل
بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس
الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق
لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة
للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة ايضا بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية
تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة
بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها
لهم بسبب كفرهم بها عذاب مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان
والتنوين للتفخيم اي اي عذاب عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر
التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق به من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان
وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام
عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه
بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
استئناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها
ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد
وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات
الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وتعالى وما يخفى على الله من شيء
في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه
ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح
والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة
لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في
السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما
عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها ولتوسيط
حرف النفي للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت
بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء جملة مستأنفة ناطقة
ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة
مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى

بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف
وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب
على الحالية اما من فاعل يصوركم اي كائنا على مشيئته تعالى مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته
تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف
بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على
بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار
على مشيئة البارئ عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من
التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشئون العظيمة
الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم
على ما ذكر من النمط البديع هو الذي انزل عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشئة عما نطق
به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه
وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا
فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية
عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن
الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل
من الاعتناء بشأن بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى المنزل فان النفس عند
تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند الاشعار برفعة شأنه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند
وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه منه آيات الظرف خبر وآيات مبتدأ او
بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول وفق بقواعد الصناعة
والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من
الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب
كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به
على الفاعلية محكمات صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة
من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب
كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب
عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات
لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها
وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها
فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات
اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول من الاخر او من آخر من متشابهات

صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق
الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك
المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الامور
المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك
بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض
وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على
الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة
فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية
ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية
واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ
او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة
ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة
المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء
الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ
مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه
معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان
بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله اي وطلب ان يأولوه
حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل
وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة
اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده
الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع
بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل
في شيء وان ما يبتغونه ليس بتأويل اصلا لا انه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله
فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص
الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون
آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استئناف
موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند
ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه
ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر
الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته

وامثاله صح

لما مدح الراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله
من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبثت به
النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجي الجواب
المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا
لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل
لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على
الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي
الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر
باضافته اليه خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك
كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وهو حال من المفعول
اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان
او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة وكذا الذي
وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى
الى العصر ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله
ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف
الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعمان لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن
سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين الاخيرين رحمة واسعة
تزلفنا اليك وتفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده
لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع بالامر فاذا اورده تمكن عندها فضل تمكن انك انت الوهاب
تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ او فصل او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب
ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على
عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف
واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصود الاسنى عندهم والتأكيد
لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانية والیقین باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة
او لانتفاء الريب والتأكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ
من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين
والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو
بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد

وقوة صح

وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في
بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود
من قريظة والنضير او مشركوا العرب لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا
في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم
الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الاولاد عن الاموال مع
توسط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة نفزع اليها عند
نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى
بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله ولا
ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى وطاعته مما
لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب بما
بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله اي اولئك المتصفون بالكفر حطب
النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعير فاثبات الجملة الاسمية للدلالة على
تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال
كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل
الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على
خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيئا
وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على
انه خبر لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك
اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الدأب انما هو التكذيب
والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي المجوز ولا
لايقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي
على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استئنافا لا معطوفا
على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا
على ما قبله وقوله تعالى كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني
على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم
الذي فعل بهم اي فاخذهم وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة ايضا
كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اي دأب هؤلاء كدأب
اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا من الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم

والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال
الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية
ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخرى فاخذهم
ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل
التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل
مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي
الله عنه ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر
قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على
قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي
الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق
بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة
عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر
وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله
غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة
بدر وتحشرون الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من
وعيدهم بعبارته كانه قيل ادّ اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استيناف
لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم
قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه
والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك
التانيث كما في قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التانيث
ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم
والتشويق الى المؤخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق
اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها
معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل
النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه
صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله
اذا مت كان الناس صنفين شامت وآخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت والآخر مثن

اي في الآخرة صح

وقوله

وقوله حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة
لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة
مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه
المدار في تحقيق الآية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت
لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها
لقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر
المبتدأ المحذوف وانما لم توصف بنحو الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة
الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين
بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف
البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدأ
وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما
فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل البعض من كل وقد عرفت انه لا بد من ضمير عائد
الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل
رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كانه
قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما
كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة
على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او
مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذا كانوا قريبا من الف
كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان
فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن الفرات
عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلاثمائة وبضعة
عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث
كانوا ثلث مائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة و
ثلثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه
وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد وست
ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وثمانية من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند
التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند تراءيهما ليجترءوا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين
ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم

ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو
الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية الكل بل اقل منه
ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم
نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رأوهم عددا يسيرا اقل
من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين
اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق
بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم
القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم و
اقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد
من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستأنفة
اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل
اما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون ح فالتعبير
عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين
اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه هذا تبيين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة
ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه
وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد
في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت
الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة
ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله
كذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية
ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء اي مؤيدة من غير توسيط
الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان
في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب
والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي
العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق
التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستأنف
سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى
اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات
الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة

مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب
الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى
اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة
الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين
هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه
تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات
وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة
فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار
وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف
مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال وقيل الفا دينار وقيل
مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال
او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة
المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة
من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له
من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اي
المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي
او المطهمة التامة الخلق والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول
ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا
والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد
بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله
عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين
شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك
المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي أأخبركم بما هو خير مما فصل من
تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم
استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار مع المجرور خبره او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية
عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما قبله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض
عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب
في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار
مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير

الشريعة

ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم
ان هناك خيرا آخر لآخرين تجرى في محل الرفع والجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق
بتجرى فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في
الذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة عطف على جنات اى مبرأة مما يستقذر
من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اى رضوان واى رضوان لا يقادر قدره كائن من الله
عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها وبصير
باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكره فيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد
الذين يقولون ربنا آمنا في محل الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف كانه قيل من اولئك المتقون
الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب على المدح او الجر على انه صفة
للمتقين او للعباد او بدل من احدهما وقوله تعالى والله بصير بالعباد ح معترضة لتأكيد الجملة لاظهار
ايمانهم ناشئ من فور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الرجاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار
الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعنى واما على تقدير كونه
في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين
البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات
المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة
والكلبي اى المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوة
الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما يحيى الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود
الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا
كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
اذ العبادة ح اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات
المعدودة للدلالة على الاستقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح
الهمزة اى بانه او على انه لا اله الا هو اى بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس
وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في
اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل
الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتى وقرئ شهداء
لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدإ محذوف وماله الرفع على المدح
اى هم شهداء لله بالنصب على انه خبر مبتدإ محذوف وماله الرفع على المدح اى هم شهداء الله وهو
اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم

الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقروا بذلك واولوا
اى امنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام
وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين
الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخريين قيل بالعطف على الضمير في
شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدى الى تقييد حال المذكورين
اى والملائكة واولوا العلم شهداء بذلك وكذلك ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا في حين العطف
على المستتر على كل حال قائما بالقسط اى مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في
ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو
راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو
رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله وهو السر في
تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على
المدح وقيل على انه صفة للمنفي اى لا اله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في
المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية
من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر المبتدإ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير
للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجرى عليه قوله تعالى العزيز الحكيم
فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية
لفاعل شهد او الخبرية لمبتدإ مضمر وقد روى في فضلها انه عم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل
ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل علم
اصول الدين وشرف اهله وروى عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت
هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم
حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي
الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام
نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شئ فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك
قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية
فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضيا لله تعالى سوى
الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار
بما جاء من عند الله وقرئ ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين الخ على انه بدل من انه بدل الكل ان
فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير
قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا
الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء

بشهادة الملائكة واولى العلم
وليس فيه كثير فائدة فالوجه
ح كون ارتفاعهما بالابتداء
والخبر محذوف لدلالة
الكلام عليه
صح

الكتاب صلة له الزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتى ما يزيل ويقطع شائفته في غاية القبح والسماجة
وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اى وما اختلفوا في حال
من الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة
الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم في الضلالة ما لا
مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اى حسدا كائنا
بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله اى باياته الناطقة
بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية كانت من آياته تعالى على ان تدخل فيها ما نحن فيه
دخولا اوليا فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اى ومن يكفر باياته تعالى فانه تعالى يجازيه
ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى يأتى حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية
المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر باياته من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم
بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغى دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك اى
في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهى اى اخلصت نفسى وقلبى
وجملتى وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به
العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شئ لله لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القديم
الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت
وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التاكيد بالمنفصل اى واسلم من اتبعنى او مفعول معه وقل للذين اوتوا
الكتاب اى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفى المتعاطفين والاميين
اى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ءاسلمتم متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات
ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه
المسئلة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون
اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف
وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اى كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى
فان آمنوا بمثل ما آمنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شئ آخر بالكلية فقد اهتدوا اى
فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال وان تولوا اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام
فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت
على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا
فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال
عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا
وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله اى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام
الذى تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء

اثر تشنيع

عليهم السلام

عليهم السلام

وقتلوا انباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه
الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان
بانه كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس اى بالعدل ولعل تكرير الفعل
للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى
الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة
قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من
عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون
الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده
تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما
في قوله فوالله ما فارقكم عن ملالة ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما تغير معنى الابتداء في النسخ بليت
ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في قولك ان زيدا فاحذر عدو مبين وعلى الاول هو استئناف
واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة
الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوء
الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقى لهم اللعنة
والخزى في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من بأس الله وعذابه في احدى
الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى
وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من
حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم
بحقيته اى الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب
الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التعريف ح يكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما
هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم
فيها من العلوم والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام
والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التى تجب مراعاتها والعمل
بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب
الله الذين اوتوا نصيبا منه هو التورية والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم
الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجب مبنى على سؤال نشأ من
صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم
بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اى دين انت قال عليه السلام على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال
صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه

قوله

وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على البناء للمجهول فيكون الاختلاف
بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم
بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون
بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى التولي
والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب
وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهى مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم
الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء
يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا
ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما يحيق
بهم من الاهوال اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اى لجزاء يوم لا ريب فيه اى في وقوعه ووقوع
ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد
ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما
وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شئ واحد وفيه دلالة على
ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل
دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة
عذاب او نقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء
ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخولها عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول
تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اى اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك اى يا مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك
وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذى
هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اى ايتاءه اياه وتنزع الملك
ممن تشاء اى نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكية حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما
الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد بالملك النبوة و
نزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء اى تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق
وتذل من تشاء ان تذله في احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم
وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما
يقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتضى بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر
جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير
ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق

عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق
صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام
واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا
في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا
تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح
لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شئ قدير تعليل
لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اى فتدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار
في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اى تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن
من الكافر وتخرج الميت من الحي اى تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء
بغير حساب قال ابو العباس المقرى ورد لفظ الحساب على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء
بغير حساب وبمعنى العدد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال الله تعالى
فامنن او امسك بغير حساب الباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة
على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك
من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتان من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب
قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل انى حلفت انه لا يقرؤكن احد دبر كل صلوة
الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين
مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم
وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم
رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى
وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اى متجاوزين المؤمنين
اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار والايهام للاستهجان
بذكره فليس من الله اى من ولايته تعالى في شئ يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين مما
لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية

وقوله تعا الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا
الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم
تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة ح مع
اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية
ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا
مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات
الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر
من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم
من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه
وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
وقوله تعا يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف غير معطوف
على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعا ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة
المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات
متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس
اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعا وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا
وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر الخير للاشعار
بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف
والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه
اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها
عمل سيء اولا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم
انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود حالا من
من كل نفس او استئناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا
وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك
فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من سوء ولا تكون شرطية لارتفاع تود
وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لافادة
ما يفيده قوله تعا والله رؤوف بالعباد من ان تحذيره تعا من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان
رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو

من خير وتود خير ما عملت م

مع

مع تحققها ايضا كما في قوله تعا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم
الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها
اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى
الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة
الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله
اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه
ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه
بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم
الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن
ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعا وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه السلام انهم يحبون الله تعا فامروا ان يجعلوا قولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها
بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعا لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل ان كنتم تحبون الله تعا وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله
فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك
الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية
الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المأمور بها اطاعته عليه السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته
ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة
المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعا فهي صيغة
الغائب وفي ترك ذكر احتمال الطاعة كما في قوله تعا فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب
الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر
وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين
لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي و
والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كافة واتباعه
ذكر مبدا امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه
اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام ودعاهم الى عبادة
الله عز وجل وحده وطاعته منزلين عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين
وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله
صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سيأتي تفصيله
وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني

وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فيهم ابنا لخليله
اقتداء الرسل عليهم الصلاة والسلام م

اي الطاعة
اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم
وايثار الاظهار على الاضمار
لتعميم الحكم لكل الكفرة
والاشعار بعلته
فان سخطه
تعالى عليهم م

ودعاهم الى الاسلام الى الملة وزنه
ساحة العلية على انهم
عليه من اليهودية و
النصرانية ثم نص
على ان جميع الرسل
عليهم السلام
مصحح

وانما ذكر آل ابراهيم للترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف
باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين
الاخيار وانما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام
لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحقيقه في الآل وهو الداعي الى
اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل
به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة
للرسالة في نفس المصطفى كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى
آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى
نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته
هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل
واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام
فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في
الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة
عمران بن ماثان بن العازر بن الى هود بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشيا بن اموذ بن ميشك
بن حازقا بن احاذ بن يوثام بن عزريا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راجيعم بن سليمان بن داود عليهما
السلام ابن ايشا بن عويد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عميا ذب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن
يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب
عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام حينئذ بالاندراج في آل
ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام
بالانتظام في سلك آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم
اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي
اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم
ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال
العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج
قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة عمران في حيز
النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم
وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث
وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء
المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون
عطف المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام

نصب على البدلية من الآلين او على الحالية وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي صح

على المفردات صح

وكانت

وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس كذلك
فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له
وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم في شأن يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا
خالة فقيل تأويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة و
قيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت ايشاع ثم نكح
حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب لانها اخت حنة
من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت
الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس من سدنته
وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل قوله رب اني نذرت
لك ما في بطني لا بد من حمله على الشكر لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة
ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتأكيد الجملة
لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام
امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا
للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل
معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل التقرب
اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء
على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر
لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات
التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائه
عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك
تفضلا واحسانا وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لعرض
اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها
اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ
عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما
وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس
او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه
وقوله انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء
او لما مر من التأويل بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها
وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على
اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره

لها صح

اى والله اعلم بالشئ الذى وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهى غافلة عن
ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعتِ على خطاب الله تعالى لها اى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعتُ على صيغة المتكلم مع الالتفات من
الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته
من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر
فوجه الالتفات ح ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما فى الاول من تعظيم الموضوع
ورفع منزلته واللام فى الذكر والانثى للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان
يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور
هذا على القراءتين الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى فى الفضيلة
بل ادنى منها واما التفسير الاول لها فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى فى الفضيلة والمزية
وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله وانى سميتها مريم عطف على انى وضعتها
انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى
العابدة قال القرطبى معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها
ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وانى اعيذها بك عطف على انى سميتها
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اى اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم فى المواضع التى بعدها همزة
مضمومة الا فى موضعين بعهدى اوف وآتونى افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه
لابراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم اى المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة عن النبى عليه السلام ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان
يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها وان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها
اى اخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا
يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا
وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة
بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها فى حقه تعالى ما يترتب عليه
من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه
تعالى اياها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ
وتصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء
هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر
عيسى عليه السلام فى الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة
وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عم ورسب اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر
وفيه مضاف مقدر اى فتقبلها بذى قبول اى بامر ذى قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى

وتعجل بمعنى استعجل اى استقبلها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها
نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا
وكفلها زكريا اى جعله عم كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحى بل على ما ذكر من
التفصيل فان رغبته عم فى كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار
قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا
وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر فى الكل ونصب ربها على الدعاء اى فاقبلها يا ربها وربها
تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عم لها محرابا فى المسجد اى غرفة يصعد اليها
بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت
مساجدهم تسمى المحاريب روى انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على
التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف
والعامل فيها جوابها اى كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اى نوعا منه
غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة الشتاء وفى الشتاء فاكهة
الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عم عند مشاهدة هذه
الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اى من اين يجيئ لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب
مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالة
عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لذكريا عم فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام
بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة
قالت استيناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب
فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اى بغير
تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى محل
النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روى ان فاطمة الزهراء رضى الله عنها اهدت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رغيفين او بضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا
هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال عليه السلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت فى تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة
الارتباط وشدة الاشتباك مع ما فى ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء
آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على
البعد والكاف للخطاب اى فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت
اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما راى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه

لما رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل مولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا
فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني
فاقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب
للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف
قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب
رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا
اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف
وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا
ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت
خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة
وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لتحريك سلسلة
الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبرائيل والجمع كما
في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا
الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس
لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية
من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم
او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول
بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن في قائم قوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم
متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم
الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على
تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي واياما كان
ينبغي ان يكون هو الكلام الآخر محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك
والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول
الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه
من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا
يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن
الفعل روي عن ابن عباس انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان
قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان
التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه
وجد بكلمة كن من غير اب فشابه قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت

الى بعيادات التي هي عالم الامر ومن
لابتداء الغاية مجاز متعلقه
محذوف وقع صفة
لكلمة اي بكلمة كائنة
منه تعالى
ح

ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني
يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضي الله عنه ان يحيى كان اكبر من عيسى
عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قبل رفع عيسى عليه السلام بمدة يسيرة وعلى
كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهي بنت ثلاث عشرة
سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا
عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة
ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسنادها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس
وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت
ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب
الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد
بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان
عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا
عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له بملابسته انه المباشر للخطاب ودون كان ذلك
بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى
واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف
وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها انى يكون
لي غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى
بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من
غلام اذ لو تأخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو
الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في كقولهم
ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان
ادراكا بتركه قيل كان له تسع وتسعون الى سنة وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل
سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات
عقر وهو ايضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال اني
وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة
الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجبا
وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك استبعادا حيث
كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما
عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل وقوله عز وجل الله يفعل
ما يشاء اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف

اثنان وتسعون ح

في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب
والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة
الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقدم تحقيقه
في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل
كائنا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدأ اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما
يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له
قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفي لا يوقف
عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا
معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى
وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد
عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل الابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر
من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي
لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم
الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ قال آيتك الا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلثة ايام
اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته
ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة
ان تحبس لسانك الا عن شكرها وحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اي اشارة بيد او رأس
او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان
الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز
من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على
انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا واذكر ربك اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان
الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اي سبحه او افعل التسبيح بالعشي اي من الزوال الى
الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلوة
بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد
بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع
في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني امامهم
اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة
جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر الناصب لاذ الاولى عطف القصة على القصة
وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر اي واذكر

السابقة

من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام
الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام الاولى فانها من الاحكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر
مريم عليها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها
كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموا ان الله
اصطفاك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربّاك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك
من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفك به
اليهود بانطاق الطفل واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب
ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة
على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير
ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير
للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل الاصطفاء على ما
ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على
الطاعات والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة
عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود
بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان لتمهيد ذكره وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك
اي ذري في الصلوة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب
الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها
وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك
واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي
كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من ليس في صلوتهم ركوع
ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا التوجيه وتجريد الامر بالركنين
الاخرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول
منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا و
قائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت
بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور
البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب
اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحي من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب
وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا
في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ

وما كنت ثاويا في أهل مدين الآية فإن طريق معرفة أمثال هاتيك الحوادث والواقعات إما المشاهدة وإما
السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم إذ يلقون أقلامهم
ظرف للاستقرار العامل في لديهم وأقلامهم أقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة تبركا أيهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ينظرون
أي يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها وما كنت لديهم إذ يختصمون أي في شأنها تنافسا في كفالتها
حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يلقون كما في قوله
عز وجل نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى للدلالة على كل واحد من عدم حضوره
عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عم لاسيما أو أريد اختصا
تنازعهم قبل الاقتراع فإن تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له إذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عم
وهو بدل من وإذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها
على استقلاله وكونه حقيقا بأن يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء
على اتحاد المخاطب والمخاطب وإيذانا بتقارب الخطابين أو تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف
على ناصبه وقيل بدل من إذ يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في
طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب إشعارا بإحاطته عليه السلام بتفاصيل أحوال مريم من أولها
إلى آخرها والقائل جبريل عليه السلام وإيراد صيغة الجمع لما مر يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها عبارة
عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه أو عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف
وقيل منصوب بإضمار أعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عمن سواه
فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة إذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه السلام
وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتعسف
لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بأنه عليه السلام مسح بالبركة أو بما يطهره من الذنوب
أو مسحه جبريل عليه السلام أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرأ وبأنه
كان في لونه عيس أي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وإنما قيل ابن مريم مع كون الخطاب
لها تنبيها على أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها
في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فإنها
وإن كانت نكرة لكنها صالحة لأن تنتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة
والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين أي من الله عز وجل
قيل إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الأولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس
في المهد وكهلا أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به
ما يمهد للصبي أي يسوى من مضجعه وقيل إنه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر أحواله المختلفة
المتنافية إشارة إلى أنه بمعزل من الألوهية ومن الصالحين حال أخرى من كلمة معطوفة على الأحوال السالفة

أو من الضمير في يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت
فقيل قالت متضرعة إلى ربها رب أنى يكون أي كيف يكون أو من أين يكون لي ولد على وجه الاستبعاد
العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بأنه بالتزوج
أو بغيره ويكون إما تامة ولي واللام متعلقتان بها وتأخير الفاعل على الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر ويجوز أن يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد إذ لو تأخر لكان صفة له وإما
ناقصة واسمها ولد وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر أو خبر وأنى نصب على الظرفية
وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد أي والحال أني على حالة منافية للولادة
قال استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى أو جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في إعرابه
كما في قصة زكريا بعينه خلا أن إيراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك لما أن ولادة العذراء من
غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع
أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل إذا قضى أمرا من الأمور أي أراد
شيئا كما في قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا أصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية
القطعية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فإنما
يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتي المقدورات
حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي
المطاع وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الأشياء مدرجا بأسباب ومواد معتادة يقدر على
خلقها دفعة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد ويعلمه الكتاب أي الكتابة أو جنس الكتب
الإلهية والحكمة أي العلوم وتهذيب الأخلاق والتوراة والإنجيل إفرادهما بالذكر على تقدير كون
المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وإنافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك أو على
وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف اللائمة لما علمت
أنها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا إلى بني إسرائيل منصوب بمضمر يقتضيه المعنى
معطوف على يعلمه أي ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل أي كلهم وقال بعض اليهود إنه كان مبعوثا إلى قوم
مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف
وآخرهم عيسى عليهما السلام وقيل أولهم موسى وآخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى أني قد جئتكم معمول
لرسولا لما فيه من معنى النطق أي رسولا ناطقا بأني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف
على يعلمه أي ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الأحوال السابقة ولا يقدح فيه
كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها
ورسولا ناطقا بأني الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف
وقع حالا من فاعل على أنها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها
وذي بآيات أو بجئتكم على أنها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لآية أي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم وآتيتكم بآية عظيمة كائنة

والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب
الامتثال بما سيأتى من الاوامر
وقوله تعالى صح

قوله تعالى انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى انى قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه
والفراء والجر على راى الخليل والكسائى او بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر اى اعنى انى اخلق وقيل
مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اى هى انى اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدر لكم
اى لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياى من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف
اى ذلك الشىء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اى اخلق لكم من الطين
هيئة كهيئة الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار
بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روى انه عليه السلام لما ادعى النبوة
واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض
قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى
قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهى
تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر فى ضوء
النهار ولا فى ظلمة الليل وانما ترى فى ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر
وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اى الذى ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص
لم تكن العرب تنفر من شىء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيى
الاطباء وكانوا فى غاية الحذاقة فى زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روى انه ربما
كان يجتمع عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويهم
الا بالدعاء واحيى الموتى باذن الله كرره مبالغة فى دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبى كان عليه السلام
يحيى الموتى بيا حى يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله
فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقى وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك
تحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحى لنا سام بن نوح فقال
دلونى على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام
كيف شبت ولم يكن فى زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت
ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتى
وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبى فآمن به بعضهم وكذبه
آخرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله وانبئكم
بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم اى بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال و
التخفيف ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتى
دالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اى انتفعتم
بها او ان كنتم ممن يتأتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتى والايمان بها ومصدقا لما بين يدى من التورية
عطف على المضمر الذى يتعلق به قوله تعالى بآية اى قد جئتكم ملتبسا بآية لكم ومصدقا لما بين لها او على رسولا
على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما فى رسولا اى وجعله مصدقا ناطقا بانى اصدق الكم

باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا لما وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا
واما من ضميره المستتر فى الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر فى الظرف او نفس الظرف لقيامه
مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اى وجئتكم لاحل لكم وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم
جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق ولاحل لكم وقيل عطف على بآية اى جئتكم بآية
من ربكم ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم اى فى شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك
ولحوم الابل والعمل فى السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف فى احلال السبت
وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا
يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لان النسخ فى الحقيقة
بيان وتخصيص فى الازمان وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ما ذكر بسر المخاطبين
والتشويق الى الآخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وقرئ بآيات فاتقوا الله فى عدم
قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هى قوله ان الله
ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية
بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله تعالى
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اى قد جئتكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير
وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتى بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن غير ذلك والاول
لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات
الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما دعوتكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان
الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان
الله ربى وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه
اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام
قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع فى بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف
منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة
الى الفعل حسبما شرحته كما فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا
بعدم الخلف وثقة بما فصل فى المواضع الأخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام فى سلك النقل فاما
للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد
ومعاناته للمكائد والمراد بالاحساس الادراك القوى الجارى مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه
وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل فى
امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما فى قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا
هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبنى اسرائيل اى ابتدأ الاحساس من جهتهم

واطيعون صح

وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقه محذوف
وقع حالا من الكفر قال اى لمخلص اصحابه لا لجميع بنى اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى
فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة لبسر نحن فى توجيه الخطاب الى الكل بل يكفى فيه بلوغ الدعوة اليهم
من انصارى الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من
انصارى متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصارى متضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون
انفسهم الى الله عز وجل ينصروننى كما ينصرنى وقيل الى بمعنى فى اى فى سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع
قال استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا فى جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون
جمع حوارى يقال فلان حوارى فلان اى صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات
للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم و
قيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع
طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعته لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك
فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه فتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون
وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام
فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتمونى صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال
عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا
فامره عليه السلام بالقائها فى الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع فى الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل
سفينة اخرى وملاء السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثنى عشر رجلا اتبعوا
به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها
لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون
فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب
بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له
عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب
فجعل عليه السلام كلها فى حب واحد وقال كونى باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع
فقال افسدت على الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج
الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال
القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثنى عشر من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم
من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه
والمخلصين فى طاعته ومحبته نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله آمنا بالله استئناف
جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه
واشهد بانا مسلمون مخلصون فى الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام
الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة

الاحوبة

الاخروية ربنا آمنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة
فى اظهار امرهم واتبعنا الرسول اى فى كل ما يأتى ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع فى النصرة دخولا
اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اى مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا
ومكروا اى الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان
رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
ان ملك بنى اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه
جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء فقال ملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت
فالقى الله تعالى عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين
ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت
اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لى ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم
عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا
الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان
صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من
الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك
فقال ان الله تعالى رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شئ شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين
بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا
من بنى اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل
فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى فاخبروه
فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بنى اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما
ومنه ظهر اصل النصرانية فى الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام
بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك فى مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة الى
الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوريشلم
لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على رأس ثلثين سنة ورفعه
اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد
رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث
لا يحتسب واظهار الجلالة فى موقع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قال الله ظرف
لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى اجلك مؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع وهو نائم وقيل مميتك
عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت او متوفيك بعد النزول من السماء ورافعك الآن

ابراها الله

وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من
غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما
واصل القصة ان اليهود لما اجتمعوا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل
عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة آلاف رجل فاخذوا باب
الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى
عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازة والقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود
فقتلوه وصلبوه واما عيسى فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب
وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت
فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء ثم
رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله
اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي
ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من
اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية
المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء
والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في
الظرف لا على معنى ان الجعل والفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم
الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريده ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم
الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على
تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم
الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين
كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية لبيان حال الكفرة
لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم
لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما
يومئذ وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل و
الرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت
شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخر الخلع عن الاعادة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم
من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين امنوا
بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة ولعل

الالتفات

الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم
جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان نفي المحبة كناية عن البغض في جميع اللغات
جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون
للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام
وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر
ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وجل وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك
متعلق بنتلوه وقوله من الآيات حالا من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة
او ذلك خبر لمبتدأ مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على
معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن
فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى
اي شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل آدم اي كحالته العجيبة
التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه
وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام
بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن
اي انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي
الاخبار لا لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء
البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون
ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى
فكذا حال عيسى عم الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عم
وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل مبتدأ وخبر اي الحق المذكور من الله
تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى المخاطب تشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه
الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك
والخطاب اما للنبي عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء في
المحذورية بحيث ينبغي ان ينتهي عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما
لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى
وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات
البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا
بالراي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء
فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي

من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه
صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في
تقديم جانبه ع م على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم
تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك
من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر
صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا
الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم
اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا
الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة
فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه
وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين عليهم فابوا قال فاني انا
جزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا
على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من
اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل
المبتدأ وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر ان وما
من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في
الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق والذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين
الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد
والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت الحجة افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب
ام بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا
من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم

اربابا

فيكون قولوا بانا مسلمون
تعريضا لهم بانهم كافرون

اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون
بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا
اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تواردوا عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا
الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه
عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته
تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه ع م كان منكم وما انزلت التورية
على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام
الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي
الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من
مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الحمقى
الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم
به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل
ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل
فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقائد
الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان
من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم
على ملته عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه
وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب
عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى
لايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا
انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المؤمنين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما
يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لانه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم ويأباه
قوله وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت
به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون

انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة
محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون اي حقيقته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم
ومفسدوهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار
اي اوله على المؤمنين واكفروا آخره اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره ترائين لهم انكم
آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي
المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا
في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون
فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى
الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم او بما تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه
الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله
اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان
يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد ما دبرتم وقرئ ان على انها
نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اي
يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن
اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على
الابتداء حسبما تحقيقه في تفسير قوله ومن الناس من يقول الآية خبره قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا لكونهم ذوات المذكورين كانه قيل
بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه
قريشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن
عازورا آخر مجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل
اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات

استودعه قرشي صح

اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام
قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب انهم
قالوا ليس علينا في الاميين اي في شأن من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة و
يقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك
انهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو
تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور
لمن او لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام
عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون
ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا
اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي
بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة
عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ
بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم
متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعار نظر عينيه
ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر
ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار
ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي من قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة ابي الحقيق وحيي بن اخطب
حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت
في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف
على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى
المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم
تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى
يلوون الى آخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب

محرداً المعنى الاحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر صح

حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر ولا في اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللي
والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله اي منزل من عند الله
وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في
تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا
عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تاكيد
وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود الذين قدموا على كعب بن
الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما
كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال
نصارى نجران ان عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم على
الله سبحانه وابطال له اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية
للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي عن الاشراك
والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر
من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف
هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية
ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا اتريد ان
نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى او ان نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا
بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا
نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني
والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافادة
الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل
وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني
لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الدراسة بمعنى التدريس
كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله تعالى
ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ الكفاية اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من
العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار لما نفي عن البشر والضمير له وقيل
لله سبحانه بعد اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له عليه السلام
واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي ذكر وقت اخذه تعالى

فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل
ان ابا رافع القرظي والسيد
النجراني قالا يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم
صح

وتوسط الاستدراك بين المعطوفين
للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق
بشانه وتحقق صدوره عنه اثر
تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع
صدوره عنه وا ما
ما قبل من
النفي

فيقتضي بفساده ما ذكر من توسط الاستدراك بين المتعاطفين

ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره
واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغني
بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي
واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف
وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان
ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به و
لتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم
او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله تعالى
بعد ما اخذ الميثاق أأقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم
الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا
ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لانهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد
والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اي اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة
ومعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى
باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد
اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من
الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي
ايتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة
لمؤكدة الانكار طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام
ككشف الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم واليه يرجعون اي من فيهما والجمع باعتبار
المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستأنفة
سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه
ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن
لما انه نزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل
او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره
بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم

بوصر

والايذان بانه عليه السلام اصل فى ذلك كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من
فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف
الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك الآية وقوله آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا الآية وانما قدم المنزل على الرسول صلى
الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه
والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم
فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتى موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة
بايديهما كما ينبى عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى
والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اى وبما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من
الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة
نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم فى زمانهم وعدم التعرض لنفى التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه
وقد مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن
يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه
كما فى مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه
باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيره كما فى قول النابغة فما كان بين الخير اذ جاء سالما
ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبينى ونحن له مسلمون اى منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا
فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اى غير التوحيد والانقياد
لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب
على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لانه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول
ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ذلك ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وهو فى
الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استئناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين
فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة
التى فطر الناس عليها وفى ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن
بذلك اقطع وافظع واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل
دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدى الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا
بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم
بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان
يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له
وذلك يقتضى ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية
كما فى قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الآية فانه فى قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير
كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين

اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما تقدم من الصفات الشنيعة كافية
من معنى البعد لما تقدم ذكرا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله و
الملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى
جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون
عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق
والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام
عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد
الارتداد واصلحوا اى ما افسدوا او دخلوا فى الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل
عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل
الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد
ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا ب
محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا
كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا
بقولهم نتربص به ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة
حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء
واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء
ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف
ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به فى الدنيا ولو افتدى به من
العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شىء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم هو لم اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره
ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب عنهم
او فى تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد
لن تنالوا البر من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع
المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة
ولا يقبل منهم اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا
بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمة ورضاه وجنته حتى تنفقوا اى فى

حيث كفروا ح

حال ح

في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض
ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم
كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد
بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم
اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انه لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان
احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال
رابح او رايح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان
يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في
نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك
وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته
فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز
كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة
زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها
من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت
من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان
يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها
كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا
منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا
كائن من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب
على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط
واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا لا يخفى عليه
شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد
والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل
اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع
النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة
الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتداء
من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق
بحرم وفيه ان تقييد تحريمه بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل

ان تنزل

ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة
مما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت في منع النسخ والطعن
في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل
فاتوا بالتورية فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم حادث مترتب على ظلمهم
وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم
اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا
عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور
عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي
انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى
على الله الكذب اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول على بني اسرائيل ومن تقدمهم
من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت
والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم
حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا
محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخل تحت القول
عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتورية قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل في شان التحريم
وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الخ او في كل شان من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا
وفيه تعريض بكذبهم فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم
عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم
الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية والدنيوية والزمتكم تحريم طيبات
احلها الله تعالى لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع
وترك ما كانوا عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اي في امر من امور
دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة
دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام في الاصول
لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها
ان اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم
بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء

ما حرم عليهم لحوم صح

او صدق صح

بسبب بين صر

وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة
على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصيصها
بالاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة
لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم
موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمده واغبطت الحمى واغمطت وهي علم
للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق
الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت
وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف
وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عليه السلام سئل عن اول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول
من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة
وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه او اعتمره واعتكف
دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة
هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه
آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف الطيور
عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرام من غير تعرض لها
وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم
اي اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة
عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له
امراة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه
الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسل شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه
عليه وهو اما مبتدا حذف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف
بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة
ابراهيم عليه السلام كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان
كل واحد من اثر قدمه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون
سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة
على التوحيد وان بما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا فانه وان كان جملة مستانفة
ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على
مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات
اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله

اولم يروا

اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل
هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص
او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر
الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث الله يوم القيمة
آمنا وعنه عم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث
الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة
بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام
ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدا هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما
تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار
ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف
هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا
مساغ له بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت
للعهد وحج قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ
بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد
الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع
فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز
النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس
اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير
المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما في قوله
عز وجل هل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضال والايصال كيف لا وهو
عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رحمه اخذ بظاهره
فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه
لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا
لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه
ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد

عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك
اذا كانت ظرفا او حرف جر
وعاملها كذلك صح

وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا
على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروى على بن ابى طالب
رضى الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال فى خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع
اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اى حال شاء يهوديا او مجوسيا او نصرانيا فان الله غنى عن العالمين
وعن عباداتهم وحيث كان من كفر من جملتهم واخلافها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط
والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة من فنون الاعتبارات والمعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على
تاركه ما لا مزيد عليه حيث حث اورثت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت فى صورة الجملة الاسمية
الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه فى ذمم الناس لا انفكاك لهم
عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل
لما فى ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذى لا قبيح وراءه وجعل جزاؤه استغناؤه
المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة
الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب
وقال ابن عباس رضى والحسن والعطا ومن كفر اى جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن
المسيب نزلت فى اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت
به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر
وعن النبى صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء فى الثالثة وروى
حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضى الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت فى البادية شجرة
لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضى الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب
هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة فى
تقبيح حالهم فى كفرهم بهما وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب
من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد باياته ما يعم الآيات القرآنية التى من
جملتها ما تلى فى شأن الحج وغيره وما فى التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله
والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار
الجلالة فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة فى شهيد للتشديد فى الوعيد
وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هى على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاى سبب تكفرون
باياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع اعمالكم وفى مجازاتكم عليها ولا ريب فى ان ذلك
يسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر
توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة فى حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق
للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد
من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة فى استتباع الاثم والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان

اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعى الايمان بما
هو مصدق لما معهم يستدعى ترغيب الناس فيه فصدهم عنه فى اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم
فى بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالايات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تُصِدون
من اصده عن سبيل الله اى دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام
من آمن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين و
يحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست
فى كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان
بينهم فى الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار
وايصال الفعل الى الضمير كما فى قوله • فتولى غلامهم ثم نادى • اظليما اصيدكم ام حمارا • بمعنى
اصيد لكم اى تطلبون لسبيل الله التى هى اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان يلبسوا على الناس
وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفى النسخ وتغيير صفة الرسول عليه السلام عن وجهها ونحو ذلك والجملة
حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده
بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اى والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة
اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضى اى شهداء ان فى التورية ان دين الله الذى لا يقبل غيره
هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وعظائم الامور وما الله
بغافل عما تعملون اعتراض تذييلى فيه تهديد ووعيد شديد قيل ولما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية
ختمت الاية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالى لما كان بطريق
العلانية ختمت الاية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين وتحذير لهم عن طاعة اهل الكتاب
والافتنان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم
للمبالغة فى التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه فى قوة ان يقال لا تطيعوا
فريقا كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة فى الزجر وللمحافظة على سبب النزول فانه روى ان
نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى وكان عظيم الكفر شديد
الحسد للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأى بعد ما كان بينهم ما كان
من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك
يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر
القوم فتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك
جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدى
اصطفوا للقتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبى صلى الله عليه وسلم حتى قام

١٤٠ الخامس عشر

كافرين

عطفه

بين الصفين فقرأهن ورفع صوته ولما سمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له
وجعلوا يستمعون له ولما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى
كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد
بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال
من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض
بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين و
استحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر
وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كأنه
قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى
انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه
الى نفسه بان يقال أتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي
جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى
عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها
من الشئون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف
عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن
يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد
المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل
فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع
للندا الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد
على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام
به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض
الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها
الذين آمنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من
الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام
بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو
ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تأخذه
في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازات وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى

معنى صح

كالتؤدة

كالتؤدة من اتأد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا
وانتم مسلمون اي مخلصون انفسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال
من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين
لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد
بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده
الذي هو الكون على حال الاسلام ح وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام
الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن المقيد فان امثاله نهي عن القيد ورفع له عن اصله
بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة
في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك
الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة وان الصلوة
بدونها لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام
او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به
صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة
من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون
الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب
والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين
في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في
الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله
مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم
ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم
اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين
سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف اخوانا
خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق
وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا
اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة
وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك
الحالة لوقعتم فيها فانقذكم منها بان هداكم للاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا والتأنيث
للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر و
شفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث

صدره
وتشرق بالقول الذي قد اذعته صح

كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح
يبين الله لكم آياته اي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها
بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمراجبها ويحافظ
على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام
الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل ومن كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي تؤمها
فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة
داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها
على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا
جميعا لا بحيث يحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة
الآية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب
الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام
اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لم يزده الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الى الخير
كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد
من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح
ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى ويامرون الناس بالمعروف
وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما
على سائر الخيرات كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال
الثلثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس
الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واولئك
اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عن عداهم
وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير
مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال
الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد
من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما دائما كثيرا انه سئل عن خير الناس

فقال آمرهم

فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه الصلوة والسلام
والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهي عن المنكر
فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو
على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل
الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات الزائغة وكتم الآيات
الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الآيات الواضحة
المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى
اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه
الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية
وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة
او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصابه فله اجران ومن اخطا
فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم
خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره
والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم
ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء
تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف
للاستقرار في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم
عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ
وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء
لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى
ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال
لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع
الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح و
الدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء في قوله تعالى

قد ذوقوا العذاب اى العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على
طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح فى ان نفس الذوق
معلل بذلك والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه فى الدنيا
واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اى الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان
المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ
اسوادت هم فيها خالدون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السباق كانه قيل كيف يكونون
فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى تلك اشارة
الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها فى الشرف
وهو مبتدا وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة
او هى الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان
جبرائيل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك
متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسئ او بالعقاب من غير جرم
بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما
للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفى الى ارادته
بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا
بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اى ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من
افراد العالمين فى وقت من اوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار فى الاثبات
يفيده فى النفى بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند
دخول حرف النفى تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفى سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض
بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما فى قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون ولله ما فى السموات وما فى الارض اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما
من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب
غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام بيان عظمته تعالى والى الله اى
الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اى امورهم فيجازى كلا منهم بما وعد له واوعد
من غير دخل فى ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون ما ورد فى جزاء الفريقين وقيل هى معطوفة على ما قبلها
مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعى ارادة الخير بهم كنتم
خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم
من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصيغة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق او لاحق
كما فى قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك فى علم الله تعالى او فى اللوح او فيما بين الامم
السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم

وقيل

وقيل بخير امة اى كنتم خير الناس فهو صريح فى ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج
لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضى الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس
تأتون بهم فى السلاسل فتدخلونهم فى الاسلام فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر استيناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او
خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد
الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى
الترمذى عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى والظاهر ان المراد كل
امة اوايلهم واواخرهم لا اوايلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة فى الحكم وكذا
الحال فيما روى ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
فيهم ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضى الله تعالى عنهم فقالا لهم
نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم
كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى عن الضحاك انهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله
اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا
لظهور انه الذى يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شئ
من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى فى شئ قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك
عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس
اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لو آمنوا كما ينبغى
لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم
بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر
فالخيرية انما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور
انه الذى يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل
لربما فهم ان لاهل الكتاب ايمانا فى الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك منهم المؤمنون
جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم
كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم
الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضررا اذى لا يبالى به من طعن
وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر

وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر نبى قبله بالقتال فهم يقاتلون
الكفار فيدخلونهم فى الاسلام

ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه
تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا
يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة
امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي نصرتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا
ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شأنهم الذي اخبركم عنه
وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق
ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت
عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من
الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع
الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع
سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل
وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت
ايدي المسلمين او النصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم
بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اي في
اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال
احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي
الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا
واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم
مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد
محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب
جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد
بنفي المساواة نفي المشاركة في الاصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب
الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب
امة قائمة استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق
من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير
العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من
من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم
الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا

بها مع تحقق المشاركة في اصل
الاتصاف بها اي ليس جميع اهل
الكتاب متشاركين في الاتصاف صح

من اهل

من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما
السلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة
والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة
ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى
يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها
بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه
خبرا لامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع اني بزنة
عصا او اني بزنة معى او اني بزنة ظبي او اني بزنة نحي او انو بزنة جرو وهم يسجدون اي يصلون
اذ لا تلاوة في السجود وقال صلى الله عليه وسلم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص
السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم
آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة
بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد
صلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار
حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم
الجنس المتبادر منه الصلوة المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج
فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة
غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم
وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة و
المعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة
من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع
كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة
لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى
عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع
قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان
على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة
اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائل
المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس
وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة
جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب
في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في

الوهم صح

بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم
ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع
جواز اطلاق الايمان صح

في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور
وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل
الخير متقلبون في فنونها المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك
اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلية الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك
الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل
واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اي لن يعدموا ثوابه
البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بصورة
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء
للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة
وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى
المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين
كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت
لاجل المال وقيل هم مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق
مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث
قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء و
اولئك اصحاب النار اي مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه
الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع
ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه
الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة
كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر
وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد
وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه
بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه
من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك
لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك
ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما
ينفقون ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية

الفواصل

الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث
باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له تصريحا واشعارا
وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن
انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر
جفونك يعشق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره
ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه
الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى
واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهي صفة المنافق وايا ما كان فالحكم عام
للكفرة كافة من دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة
اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم
او صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك
جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم
اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة
الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب
عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم
وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه
جمع فم واصله فوه ولامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي
وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب
الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل العقل
او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من
مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم هؤلاء الخاطئون في موالاتهم
وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك
انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده
وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم
والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم
اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
اي من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام
الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلككم ان الله عليم
بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول

اى وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب
من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به
من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبهم سيئة
يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر و
شدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة
ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اى على عداوتهم
او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التى
دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره
يضره وضمة الراء فى القراءة المشهورة للاتباع كضمة مدّ شيئا نصب على المصدرية اى لا يضركم شيئا
من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المتدرب بالاتقاء والصبر يكون
جريا على الخصم ان الله بما يعملون فى عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء
الفوقانية اى بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستأنف
سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على ان وجه مما يستتبع لما
وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام
خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه الصلوة والسلام
اى واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم
ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه
من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة ب
تفاصيلها كما سلف بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربك الخ والمراد به خروجه عليه السلام
الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضى الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اى من عند اهلك تبوئ
المؤمنين اى تنزلهم او تهيئ وتسوى لهم مقاعد ويؤيده قراءة تبوّى للمؤمنين والجملة حال من فاعل
غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اى ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان
الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو
الذى هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ ح وقت
التبوئة التى هى العمدة فى الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما لقيهم لامر النبى صلى الله عليه وسلم
وتزايلهم عن احيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا تبين خلل راى من احتج به
على جواز اداء صلوة الجمعة قبل الزوال واللام فى قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اى لاجل القتال
واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة ومقاعد للقتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام
بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما فى قوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روى انهم
نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابى بن

سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه
فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الا
كلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام انى قد رايت فى منامى بقرا مذبحة حولى فاولتها
خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورايت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ
اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصارى رضى لا تحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق لادخلن
الجنة ثم قال بقولى اشهد ان لا اله الا الله وانى لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه الصلوة والسلام
حتى دخل فلبس لامته فلما راوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى ياتيه
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال ما ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة
بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة فمشى
على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر فكان نزوله
فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم
بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغى صدوره
عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى
جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر فى ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت
قال الفراء معنى قولك ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طائفتان
منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة اى بان تفشلا اى تجبنا وتضعفا وهما حيان
من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفتح ان صبروا فلما فارقوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة الاف انخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس
فقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى فقال انشدكم الله تعالى
فى نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن رضى الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد
فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس قلما تخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما
اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضمير تفشلا
مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما مع كونهما فى ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما فى قوله تعالى
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه استقلالا او اشتراكا فليتوكل
المؤمنون فى جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات

التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا أوليا وفيه إشعار بأن وصف
الإيمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى
بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله بتذكير
ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر
واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة
اثنتين من الهجرة وأنتم أذلة حال من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليل وإنما جمع جمع قلة للإيذان باتصافهم
حينئذ بوصف القلة والذلة إذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية
خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان
لمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست درع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس
وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للإشعار
بأصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على
الإخبار بالنصر إيذان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم
يومئذ لعلكم تشكرون أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل
أو لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام إذ تقول
تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفه والإيذان بأن وقوع النصر كان
ببشارته عليه السلام والظرف لنصركم قدم عليه الأمر بالتقوى لإظهار كمال العناية به والمراد به الوقت
الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق بوجود
النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين أظهروا
العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن كرز بن جعفر الحنفي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين

جابر صح

فنزل حينئذ ثم حكى ههنا ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر والإمداد
في الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والإعانة يقال فيه أمده يمده
إمدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة أبحر وقيل المد
في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والإمداد في الخير كما في قوله تعالى
وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين
لإظهار العناية بهم والإشعار بعلة الإمداد والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة
لن للإشعار بأنهم كانوا حينئذ كالآيس من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة
بيان أو صفة لآلاف أو لما أضيف إليه أي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة آلاف وقيل حال
من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج قيل أمدهم الله تعالى أولا بألف ثم صاروا
ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين أي منزلين النصر بلى إيجاب لما بعد لن وتحقيق
له أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال
إن تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام ويأتوكم أي المشركون

من فورهم هذا أي من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر أي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة
ثم أطلق على كل حالة لا ريب فيها أصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم إتيانهم
بسرعة في سلك شرطي الإمداد المستتبعين له وجودا وعدما أعني الصبر والتقوى مع تحقق الإمداد
لا محالة سواء أسرعوا أو أبطأوا والتحقيق سرعة الإمداد لا لتحقيق أصله ولبيان تحققه على أي حال
فرض على أبلغ وجه وآكده بتعليقه بأبعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الأولى فإن هجوم
الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الإمداد إيذانا بأنه حيث
تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى كما إذا أردت وصف درع بغاية الحصانة
تقول إن لبستها وبارزت بها الأعداء فضربوك بأيد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها
قطعا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو إظهار سيماء الشيء أي
معلمين أنفسهم أو خيلهم فقد روي أنهم كانوا بعمائم إلا جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامة صفراء على مثال

بعض صح

الزبير بن العوام وروي أنهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم
عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عمائم صفر وقال قتادة والضحاك
كانوا قد أعلموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه رضي
تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه
وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الإسامة وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول
مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وأن حقيقة النصر مختص به عز وجل
ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه وأماراته معطوف على فعل مقدر يستدعيه
عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن الإخبار بوقوع النصر على الإطلاق وتذكر وقته وحكاية الوعد
بوقوعه على وجه مخصوص هو الإمداد بالملائكة مرة بعد أخرى وتعيين وقته فيما مضى يقتضي لوقوعه حينئذ
اقتضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ الأمارات والمخايل وإيذانا
بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير أو عن إيهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كأنه قيل عقيب
قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فأمدكم به وما جعله الله الآية والجعل
متعد إلى واحد هو الضمير العائد إلى مصدر ذلك الفعل المقدر وأما عوده إلى المصدر المذكور أعني قوله
تعالى أن يمدكم أو إلى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لأن الإلهية
البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الإمداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه
أن يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في أن المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود و
الوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان أحكام وجودهما بل الأول معتبر من حيث الكفاية
والثاني من حيث الوعد على أن الأول هو الإمداد بثلاثة آلاف والواقع هو الإمداد بخمسة
آلاف وقوله تعالى إلا بشرى لكم استثناء مفرغ من أعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين
والإيذان بأنهم المحتاجون إلى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الأسباب الظاهرة وأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني أي وما جعل إمدادكم بإنزال

الملائكة لشئ من الاشياء الا البشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اى بالامداد وتسكن اليه كما كانت
السكينة لبنى اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد
الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقى الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا
الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وفى قصر الامداد عليها اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم
بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو راى بعض السلف رحمه الله وقيل الجعل متعد الى
اثنين وقوله عز وجل الا البشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء
الا البشارة لكم فاللام فى قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر
اى حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج فى حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اى الا كائنا
من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان
سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التاثير وانما قصارى
امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اى الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته واجراء هذا
الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اى الذى يفعل
كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان
ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان
لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على
الوجه المذكور فلا يقدح ذلك فى تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر فى قوله عز وعلا
وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة
والاطمئنان انما هو الامداد الصورى لا ما فى ضمنه من النصر المعنوى الذى هو ملاك الامر واما تعلقه
بنفس النصر كما قيل ففيه ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف
لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة
النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة
الا ثابتا من عند الله ليقطع اى ليهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اى طائفة منهم بقتل واسر
وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم
اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب من كبته بمعنى كبده
اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين
فالتاء ح غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اى فينهزموا منقطعى الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشئ كما
فى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شئ اعتراض وسط بين المعطوف عليه
المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص
النفى برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى
وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله عليه السلام

وان مباشرى القتال مدخل فى الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم
على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شئ انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد
الاخروى المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروى متحقق فى الفريقين الاولين ايضا
ونظم التوبة والتعذيب المذكور فى سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه فى الوجود من حيث ان قبول
توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم العذاب
المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابى وقاص
شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه
وسالم مولى ابى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام
لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب
عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من
تعذيبهم شئ او ليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانبارى
ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى
منهم واياما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض
ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبنى على اختصاص الامر كله بالله تعالى
ومبنى على سلبه عن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت
وان ما حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا
بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط
بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الآف لا بثلاثة الآف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد
واما ثانيا فلانه كان ينبغى حينئذ ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى
ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا
فلانه لا سبيل الى جعل الضمير فى قوله تعالى وما جعله الله لاحد الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين
علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم
ولا تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم صريح فى انه قد وقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان
وقد حصلا واما النصر الحقيقى فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استثناء مقررا لعدم وقوع
الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتسافه
مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى
من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية
مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار

وجود النص قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس
فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله تعالى او تقول ظرف لنصركم وان ما حكى في اثنائه
الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون
تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات
وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص
طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا
تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
اي يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء اي يعذبه بعدل مشيئة كذلك
وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على
التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات
سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي
له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة في تخصيص التذييل
به دون قرينة من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة كما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا
كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة [illegible]
من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد
المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة
فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة
كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد
النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في
سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب
ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد
بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة
ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل
فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق
بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم
عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت
للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن
حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما
امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته
عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار
بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين

حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اي بادروا
واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل
الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور
المأمور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة
وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في
العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت
للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة
اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون
في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على
المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك
يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها
اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل
او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار
واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال
كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تأويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته
وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي عليه السلام
من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله
فلا يقوم الا من عفا وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام
عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم
عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن
بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو
الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما
قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين
وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين
من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت

الاذى ح

اي التاركين ح

اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اى فعلة بالغة فى القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اى ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون
يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
فى عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه
تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له
اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبى عليه السلام وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصارى
وامرأة ثقفى كان بينهما مواخاة فندم الانصارى وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح
فى الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبى عم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما
اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه او عقابه فاستغفروا
لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب
استفهام انكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها يحتمل ما
هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن
فى يغفر اى لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه
بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه
بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير
الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه
مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة
اليه عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اى ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اى ما فعلوه من الذنوب
فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد فى
اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك
لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين
آخرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو
طبقتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم
مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ
على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب فى سلك الجزاء او على الوجهين
الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين
والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر فى مطلع الجزاء الشامل لهما
المغفرة وتخصيص الاشارة بالآخرين مع اشتراكهما فى حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من
ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اى كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار

بعلة الحكم والتشريف وجنات تجرى من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونهما
ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير فى
جزاؤهم لانه مفعول به فى المعنى لانه فى قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا
من جنات فى اللفظ وهى لاصحابها فى المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص
بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما
بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر عن المعاصى
والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك بمضمونهما دليلا على ما بين
الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله تعالى وبين العاملين
الجائزين لاجرتهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادى الرشد
والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضى والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما
متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اى قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع
سنها الله تعالى فى الامم المكذبة كما فى قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا الخ والفاء فى قوله تعالى
فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر
او الامر بهما وقيل المعنى على الشرط اى ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل
النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما
سلف من قوله تعالى قد خلت الخ بيان للناس اى تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن
لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اى هذا ايضاح
لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل
بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا فى عواقب من قبلهم
من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى
وموعظة اى وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار
كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى و
الهدى والموعظة على ظاهرهما اى هذا بيان لمآل امر الناس وسوء مغبته وهداية لمن اتقى
وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى
والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له
على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة
آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان
بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العارى عن الهدى والعظة والاقتصار
عليهما فى جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلى ويجوز ان يكون تعريف الناس
للجنس اى هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا
اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان

منهم صح

وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعراض لا بد ان يكون مقرر المضمون ما وقع في خلاله و
معاينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلثة للمؤمنين وان كان باعثا على
الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع
للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل
يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله عم
وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي عليه السلام وعثمان شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنهم ومن الانصار
سبعون رجلا رضوان الله عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من
قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون
عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصرة والغلبة
بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون بغاية علو الشأن لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل
وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون
حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما يتعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا
فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعا وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين
فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعا فانتم الاعلون
وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني
اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح
الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد
فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق
بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا
منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله عم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم
وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم
الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها
والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس ونصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء
اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال
داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما صفة له او
بدل منه او عطف بيان له ونداولها خبره او خبر ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر
بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة
فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله تعا وليعلم الله الذين
آمنوا اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من

غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان
من غيرهم كما في قوله تعا ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه
فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه
للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى الاسم الذات المستجمع
لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعا باعتبار منشا معين
من صفاته تعا مغاير لمنشا الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعا
نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه
المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما
والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها
لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم
وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية
وكذا الحال في باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد
من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعا في ذلك من الالطاف
الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه
من تاكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة
دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها
ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها
له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك
الافراد وليعلم الى آخره فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الافراد والثانية
باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا
فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن
ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ
منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد
الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين
فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما
لا يخفى وقوله تعا والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي
ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعا لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير
من حيث ان بغضه تعا لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم
واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها
مختصة باوليائه تعا بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعا وليمحص الله الذين

مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل النبي عليه السلام فقال قتلت
محمداً وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمداً قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم
يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت
باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا اماناً من ابي سفيان
وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراماً على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام
مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل آية ليس يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك
المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم
وقام في الناس فقال ان رجالاً من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان
رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم
رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال
ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد
الا رسول الآية قال الراوي والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه
يتلو فعقرت حتى ما يحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله مات صلى الله عليه وسلم ومن ينقلب
على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل
بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب
شيئاً من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على
دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه
ايماء الى كفران المنقلبين وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من
المهاجرين والانصار وعن على رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين
ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم وما كان
لنفس ان تموت كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذراً من قتلهم وبناء
على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشية الله عز وجل لا يكاد
يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وقد اشير
بذلك الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم تفلحوا لاحجامهم عن مباشرة
القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله

استثناء

استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلاً لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشية
الله تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام
مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل
ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه
للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه
وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى
كتاباً مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتاباً مؤجلاً موقتاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر
ولو ساعة وقرئ موجلاً بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة
محض مشية الله تعالى عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلاً اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال
دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا
نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات منها اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه كما في قوله تعالى
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ
وقد مر تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف
حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم
الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله تعالى عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف
اصلاً والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم
داخلون فيه دخولاً اولياً والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها
بالسين وابهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه
البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلاثة بالياء وكأين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء
صنيعهم في صدورهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم
السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث
في كذا وكذا والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احديهن و
الثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيأن بياء ساكنة بعدها
همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كإن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع
بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوباً كما في قوله
اطرد اليأس بالرجاء فكأين آلما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير
خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل
على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة وربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من
تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضاً على الاصل وقيل منسوب الى الربة وهي الجماعة
اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات
كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالاً من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين اذ لا احتمال

اى للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في
انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغفرون و
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم
وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم
استيمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى
لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذا التقادير الى ما مر من البيان بل الله مولاكم اضراب عما
يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به
عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له وهو خير
الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن
الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين
وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير
سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا
منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا
فلا بد من كون نزول الآية في الخراب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب
بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات
خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة
سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها
في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب
هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم في الآخرة اثر
بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى
الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم
ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وجعلها
مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى
فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا
وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا
هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال
للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان
فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان ذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم
والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك
قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى
باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى

ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيفا والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال
الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي
والتبشير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير بان القاء الرعب
كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان
فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص
من ضعف القلب وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين
والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه
لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون
للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو
فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه جميعا
فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم
نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم
على قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب
ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون
اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد
اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل
لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا قوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك
عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم
حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة
من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم
من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك
العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اي شأنه ان يتفضل عليهم
بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار
بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض وقرئ
تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين وقرئ
يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف
واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا
وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله
الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وابرازه عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان

وعلى الاول صح

بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعاً في توبيخ المنهزمين في اخراكم
في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فأثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غماً موصولاً
بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول عليه السلام وفوت الغنيمة
فالتنكير للتكثير او غماً بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما
فاتكم ولا ما اصابكم اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر آت وقيل لا زائدة
والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل
الضمير في اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل به
ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيساً عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح
وغير ذلك والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى
فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقاً من بعد الغم اي الغم المذكور والتصريح بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه
وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية
امنة اي امناً نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاساً بدل منها او عطف بيان او هو المفعول وامنة حال منه
متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار
وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من
الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم
عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا
تحت الحجف متأهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنه
آمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه
كنت مع النبي عليه السلام حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة
رفعت راسي يوم احد فجعلت لا ارى احداً من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت
ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه
وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة
منكم وقال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال
للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاساً وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة
حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود
ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اوقعتهم في الهموم والاحزان
او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اي كان من همتي وقصدي والقصر مستفاد
بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو
الحال كما في قوله • سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا • محياك اخفى ضوؤه كل شارق • او لوقوعها في موقع
التفصيل كما في قوله • اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول • واما صفتها والخبر محذوف

ولها

اي ومعكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب
بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبنية لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في
قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم واما مستأنفة مسوقة
لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة
او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اي يظنون
به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص
بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم
كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من
الامر اي من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من
شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع
على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية
ما لا يبدون لك استئناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض بين الحال
وصاحبها اي يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار و
التكذيب وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل اي شيء يخفون
فقيل يحدثون انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد
من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا
ههنا اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه
فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما رآه ابن ابي ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو
كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم
القتل اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم اي الى مصارعهم
التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعاً
فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على
تحقيق نفس القتل كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضاً ولا ريب في تعين زمانه ايضاً
لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان
عليهما السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام
ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رأيت منه مرأى هائلاً فامرها عليه السلام فالقته
في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليهما السلام فقال كنت امرت
بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هو اليها
وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله تعالى في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء
من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد

على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص
والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان
بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها عللا لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى
المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض والفعل مقدر بعدها اي
وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن
هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات
الصدور اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما
اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين
او حال من متعلق الفعلين اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد
ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايتهم
انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من
الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فمنعوا
التأييد وقوة القلب وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة
ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب
والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر
في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقولهم تعالى
وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة
لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال
الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل
يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها لا بالتحقيق
انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزا جمع غاز
كعفى جمع عاف قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء
على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه
في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض
اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء
ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا و
دليل على ان هنالك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا وليس
المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كانه المنكر
على قائله الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا

استزلال الشيطان تولاهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وفيل حم

لم يكن معدودا ان يخطب بها / ذو عزم غير متخاذل يتطرق / ناقص عمدي دون ناقل واو

والنهي بذلك كما نقل عن الزجاج اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا
ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في
قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد
بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما
اشارة الى ما دل عليه قلوبهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم و
يغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحيوة والممات وحده من
غير ان يكون للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف
ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان
يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وبما يعملون عام متناول لقولهم المذكور
ولمنشأه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في
في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من
القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال
ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء
والتنوين في الموضعين للتعليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدا وقد حذفت صفة رحمة لدلالة
المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب
الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين
من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعون انتم لو لم تموتوا
والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على
استحالة التخلف منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل لا بد من حذف آخر اي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ
ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير
الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد
ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة
على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا
في النطق به واضلال الناس ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة
الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة
الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لالى الجملة كما مر في اختها
فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب

مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او
من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد والجرة
ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة
لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم
بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو
ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال
الواحدي هو الغليظ الجانب السيئ الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في
الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى والفاء في قوله تعالى
فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك
كما عفا الله عنهم واستغفر لهم فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم
في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا برايهم
وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت
اي عقيب المشاورة على شيء واطمانت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد
لك واصلح فان علمه مختص به تعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به
فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب
المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى
وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا
للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجا اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان
ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب
ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان
نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فيهما قطعا
هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه
فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا
اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة
هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر
يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا
جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق
المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر

على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم
بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون
فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان
الايمان اشتراكا او استقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا
وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم
فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد
اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا
في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى
ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم
بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي
عليه السلام بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان
يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة
بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما تفوه به بعض المنافقين اذ روي
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن
يغلل يات بما غل يوم القيمة ياتي بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي
انه عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي
يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او ياتي بما احتمله من اثمه ووباله ثم توفى
كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه
تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية
الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيمة
من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه
حين وفي كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان
لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم
بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله
وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع
بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه
والمراد تاكيد نفي الغلول من النبي عليه السلام وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال
حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بالسخط والاتباع بالبوء وجيء
بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال

كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل
فى موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأويه جهنم اما كلام مستأنف مسوق لبيان
مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية
واياما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلى والمخصوص بالذم محذوف اى
وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثانى
هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اى طبقات متفاوتة فى علمه وحكمه شبهوا فى
تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذووا
درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم
محذوف اى والله لقد من الله اى انعم الله على المؤمنين اى من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين
على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وفى ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقرئ من انفَسهم اى اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله
على المؤمنين اذ بعث على انه خبر لمبتدأ محذوف اى منه اذ بعث او على ان اذ فى محل الرفع على الابتداء
بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر
لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اى كائنا من انفسهم
وقوله تعالى يتلو عليهم آياته صفة اخرى اى يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم
شئ من الوحى ويزكيهم عطف على يتلو اى يطهرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد واوضار الاوزار
ويعلمهم الكتاب والحكمة اى القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على
التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد
من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد
الجميع نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه
باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فى ذلك شمول الحكمة لما فى مطاوى الاحاديث الكريمة من
الشرائع كما سلف فى سورة البقرة وان كانوا من قبل اى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته
وتعليمه لفى ضلال مبين اى بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من ان المثقلة وضمير
الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثانى خبرها
وهى مع خبرها خبر لان المخففة التى حذف اسمها اعنى ضمير الشان وقيل هى نافية واللام بمعنى الا اى
وما كانوا من قبل الا فى ضلال مبين واياما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب فى يعلمهم او مستأنفة
وعلى التقديرين فهى مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى
هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة

منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها
ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم فى محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم
يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر
سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود
انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح فى غير وقته اقبح والانكار
على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم
وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور
ذلك القول عنهم فى ذلك الوقت خاصة بناء على كونه مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه
فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم
ولما اصابتكم غايلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم
لسببها وتذكير اسم الاشارة فى انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل
ونحوه بل لان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه فى المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم
تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هى عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند
انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق
فساده بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على
الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده الآية وان عمل النبى صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الحظر عنه وخفف
جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ واين هم
من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر
الاوفق لما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى
المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه
كان اشد تأثيرا ان الله على كل شئ قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة
وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر
وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام بما يقتضيه وارشادهم الى حقيقة
الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى
هو من عند انفسكم من استقلالهم فى وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة
التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اى جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اى فهو
كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى
فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين
نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام فى قرن
المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه

السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار
والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليتميز الثابتين على
الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدا
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انفرقوا يوم احد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم
ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي ادفعوا
عن العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم
تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو القتال
وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين
فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء
وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة
للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا
انما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود
بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا المقدم مستحيل الوقوع
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدا واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة
به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف
او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثيتي عملها واما افعل التفضيل فحيث
دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم
للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم
للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم
فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن المظنون بهم واقتربوا من الكفر
وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية
للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستانفة مقررة لمضمون ما
قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم والعبارة
عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت
والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشاه
الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون
بقول لا وجود له او لمنشائه في قلوبهم من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم
اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير
العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد

وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما
يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض
ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون
على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه
بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدا محذوف وقيل مبتدا خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره
قل لهم او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور
على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي
واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء
وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال لو اطاعونا اي فيما
امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا
واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء
وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان
والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم
ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة
قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب الشرط قد حذف تعويلا على ما بعده
من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين
فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي
كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة
بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى
ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم
فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات
يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم
لو اطاعوكم وقعدوا ما قتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت في استهزاء
بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في
زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستانف مسوق لبيان
ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس
فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ لا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء
احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب
وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير
من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند

عند القرينة والتقدير ولا تحسبنهم الذين قتلوا امواتا اى لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد
من توجيه النهى اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة
السنية والنعيم المقيم لكن لا فى جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار
تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء اى بل هم احياء وقرئ منصوبا اى بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما فى قوله
حسبت التقى والمجد خير تجارة • رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا • او على انه وارد على طريق المشاكلة عند
ربهم فى محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او فى محل النصب على انه حال من الضمير فى احياء
وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفى التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اى من الجنة
وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدى الاصح فى حيوة الشهداء ما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم فى اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر تدور فى
انهار الجنة وروى ترد انهار الجنة اه وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوى
الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن
ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس
الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب
فتلتذ وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة
الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين
لم يلحقوا بهم اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم
لم يلحقوا بهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اى لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم
باقين فى الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم
بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية
اى يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحيوة
ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فانه عين
الحيوة التى يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون
الخبر فى الجملة الثانية مضارعا فان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه
من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل فى قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق
بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من الله تعالى

وفضل

وفضل اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
بالفتح عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم
بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان
من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة
فى الدين وقرئ بكسرها على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر
بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى الشهادة والبعث
على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين
احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل
لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روى ان اباسفيان واصحابه لما انصرفوا من احد
فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم
ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود
الاشجعى واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب
وما له سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم روى ان اباسفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى
نزل مر الظهران فالقى الله تعالى فى قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بنى عبد قيس
يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود
وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم
فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد
فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هى الكلمة التى قالها ابرهيم
عليه السلام حين القى فى النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به
نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان
ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضى الله تعالى عنهما
قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اى محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه

بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص
بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي
انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء
في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين
بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها
الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة
فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير
في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا
بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في
هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل
رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم
مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء
وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله تعالى عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلك
عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط والى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى
الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية
واما صفته والجملة خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس
المستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه ابو سفيان
واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويؤيده قوله تعالى
فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا
عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب للفريقين الخارجين
والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي
عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر
الشيطان واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريف
تخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون في الكفر اي
يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة الآية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى
اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي
المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة
والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما

عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشعار
بان ما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه واغراره لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنوك
بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى جهتهم مع ان
المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله
ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وقرئ
لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه
اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن
انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك
اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم مضارته سبحانه وفيه مزيد
مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتأكيد
ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه
تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم
وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم
وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب
بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم
حين حيث تعلقت بها ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام
الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم
في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره
قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم
رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة
لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا شيء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله
حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه
رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله
عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر
غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول
عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من
الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة
كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع
فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى
غيرهم اصلا كيف وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم

فيه من الانهماك في الكفر
وفي ذكر الارادة من الايذان
بكمال خلوص الداعي
الى حرمانهم وتعذيبهم

وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير
من مضادة حزب الله تعالى وهي اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجرى الموصول
على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر
بدلا مما ينزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق و
ملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون
ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول
عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة
شأن التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما ما لا يعرف حاله من الكفرة
الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسنادها والمسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه
عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر
غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند
كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل
مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق
الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية
او موصولة حذف عائدها وكان حقها في الكتابة الانفصال لكن وقعت متصلة في الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان
ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة
وماله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر
بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة
بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول
اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار
الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم
وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا
الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المقتضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن
بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى منه
الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم الخ بدل منه وحيث كان
التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على
مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان بتقدير مضاف اما في
اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال
الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا

انما استيناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة
ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء
بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم
بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن
الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون
جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي
الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه
لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفاوت في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه
اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين
وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومقاتل والكلبي رض واكثر
المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين
في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز
نسبته الى كل منهما الا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه
وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب
للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه
صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف
القولين الآخرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق
ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث
الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام
في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان
الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست
في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك
زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده
النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى
يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار
بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما
اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية
ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة
عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء

او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط
تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم
من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد
اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان
فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على
طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى
كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله
ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك
باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك
وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكى عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد و
يخلصكم من خبث الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك
الاسرار الغيبية لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه
على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه عليه السلام
في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام
وتعميم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي عليه السلام لايجابه
بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم
شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام
فيما اخبر من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد
جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي
لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله
فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض بطريق الاستدلال
لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك
باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد قربتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف
على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي
الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان
الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط
ابدا كما تركهم كذلك الى الآن لسر يقتضيه بل ليفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة
وشأنهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على
رؤوس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وان تؤمنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك
الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم

بيان لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به
بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله
في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول
محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله
من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير
النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني
ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك
والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة
بينهما وروي عن النبي عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه
وتقول انا مالك ولله ميراث السموات والارض اي وله وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ما
يتوارثه اهلها من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم
وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد
غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه
عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض
فلطم ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضى الباقين
بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه
من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد
والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه
ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه
واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم
والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد
منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بغير حق متعلق

والله يعلم المفسد من المصلح واعلم انه يجب
عدم الترك المعلوم لانه يشعر بالاعتناء
بشأن من نسب اليه فان المنافق
منه عدم الترك بمعنى حالة
غير ملائمة كما يشهد به
الذوق السليم
وقرئ حتى يميز
من التمييز
قوله تعالى
ح

الايمان صح

بمحذوف وقع حالاً من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب
على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم
منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات
ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى
البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت
ايديكم اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير
عن الانفس بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى
ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب
ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى
عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال
باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة
لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم
فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت
وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده
ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما
ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها
اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه
لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج
الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب
او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن صيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب
بن يهوذا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله
النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل
نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل
النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم
الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق
الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة
المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحات وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تأكله فلم
قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان
زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم
تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم

اثر ما اوحي اليه

اثر ما اوحي اليه ما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب
رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة
رسل اي كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر جمع زبور وهو
الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته و
الكتاب المنير قيل اي التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ بالزبر باعادة الجار دلالة على انها
مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكرا الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اي تعطون اجزية اعمالكم
على التمام والكمال يوم القيمة اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم
يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب
بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلام
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتي
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها
الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم
عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر
والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للمكروه مما يهون الخطوب
واصل الابتلاء الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته
او مفارقته وانما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير
فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا
هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة
المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء
تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ و
الاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في
سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف
وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد
ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق
والايذاء بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد

وذلك

الينا الخ والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول الكتاب بهم مما يؤيد
تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام
الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه
من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على ذلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها
بحسن التحمل وتتقوا اي تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى
عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد
منهما المخاطبين واما لان المراد مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من
عزم الامور من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد
لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة
من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل
وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ
ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز
بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف
سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها
واذ به منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب
الشامل له عليه السلام وللمؤمنين لكونه من الوظائف الخاصة به عم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير
قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب
وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما
خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه
للناس ولتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم
وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون
لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو
حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول
الواو على المضارع المنفي عنده وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان
اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام
وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ
الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوة وراء ظهورهم
ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه

بالكلية

بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين
ما سنح من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من
الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار
وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت
نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت
على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن
كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه
كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان
الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب
كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا
اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها
وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطى
والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة اليه
وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة
والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد
الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ذلك
الثمن ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا
يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له
الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون
بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود حرفوا التورية
وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه
وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم
متبعون ملة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع
ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج
فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم
لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة
الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم
اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب
بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان

واظهاره

بما كتموه

بكتمانهم فيه

وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويتحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون
محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين
وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشئ من
الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويودّ ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين
انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد له والفاء زائدة والمفعول
الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها
بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجال النصر منك ورهبة عقابك
قد كانوا النا بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة
كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب
مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا
وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه
كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل
والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد للاول والفاء
زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس
في قوله باي كتاب او باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة
مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل حاسب ومفعوله
الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول
والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة
وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة
حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه
كان مبني فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان
من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم تعيد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب
حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي
والوصف ولله اي خاصة ملك السموات والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف
فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره
شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شيء قدير
تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل
بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته
اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء
فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم
نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان

شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير
ان في خلق السموات جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر
والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي ان في انشائهما على ما هي عليه في ذواتهما وصفاتهما
من الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار
اي تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات
السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده
باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة
اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات
في بعض الاماكن ليلا وفي مقابلة نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل
قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح انه مفرد ولا
واحد له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع
كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء
ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه
في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه لآيات
اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها
دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة سبحانه و
عدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود
ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك
فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل
والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته
ووحدته لاولي الالباب اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن
العلائق النفسانية المتخلصين عن العلائق الظلمانية المتاملين في احوال الحقائق واحكام النعوت
المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع
حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة
سر الحق في كل وجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث
انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل من ظهر في مظاهر الابداع و
حضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد
ناطق بآيات قدرته فهل من سامع داع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس
على قدر عقولهم ويزجرهم بحسب مقولهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف
اشاراتهم واعيا في الجوار انها مهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فقائل

العقول هم

في هذه الشئون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب
قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي
فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه
فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله
اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما
لي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم
يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الخ الذين
يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما
مفعول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع
على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما
كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان
قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه
فلا يخلون حالا من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ولا في الافاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شئونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى
مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني
اولا واما ما حكي عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد
الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا
يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا
به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال
حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد
كصيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين
وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم
الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا
يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه
في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم
في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي تؤدي اليها من معرفة
احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآيات الكتب فكما انها آيات تشريعية هادية للخلق
الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى

منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير
محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها
فان من تامل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت
به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل
والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون
ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم
المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات
والمخائل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو
اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني
كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية
القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب
عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظر
التفكر فيما ذكر من شئونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه
كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام
لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقق ما جاءت به الشريعة الحقة والا لما فسر النبي صلى الله
عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه
موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فحيث تصادق الآيات التكوينية وتوافق
الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة
في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية
ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف
الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة
لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض
الآيات من غير حاجة الى بعض آخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون
فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا
كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي
للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى
المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقته خلقا باطلا او المخلوق البديع
النظم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن
ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدار المعايش
العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية

كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي
الالباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع
تخصيص الآيات المصوغة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات
تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب
عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة
صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه
هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما
في حيز الصفة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم
لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات
والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من
نتايجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال
من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف اذ لا
اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض
الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى سبحانك اي ننزهك تنزيها
لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى
فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام
بما تقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق
بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني
الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا
سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء
للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف
واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية
فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل
فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته
خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار
بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من انصار تذييل لاظهار نهاية فظاعة
حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع
الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء
في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد
به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية
دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال
الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء
وتعديتهما بالى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى
الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة و
تبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك
سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول
ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع
والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله واستحضار
صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي
ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام
والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم
ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا على انها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي
اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا اي فامتثلنا
بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته
مع الايمان به والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا
اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم
معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه و
الابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم
مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود
الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك
او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا
على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل
مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد
وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد
اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز
الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيمة قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ
وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في
تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة

لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان
به تعالى والاقرار بربوبيته
فان ذلك من دواعي
المغفرة والدعاء
بها صح

عن جعفر الصادق

الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة فمؤدى الكل فرحها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والمبا
الوعد وعن ابن عباس رضي انه الميعاد بعد الموت وفي الآثار من حزبه امر فقال ربنا ربنا خمس مرات
انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال
تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله
فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية
كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به ثم
قيل الآية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد لهم
كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة
على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما
لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سلف
ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب لهم واما على تقدير
كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان
الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على
اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول
نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حقها في حيز الصلة ان يكون
من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة
المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم
من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني وهكذا قرأ ابي رضي والباء
للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة
على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف
الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد
الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات
المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي
قائلا اني الخ فلا التفات ح وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل
كائن منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة
مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد
او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام
سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر
النساء فنزلت قوله تعالى فالذين هاجروا الخ تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده

على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من
ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا
في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار
في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او
لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد المذكور بكل واحد مما ذكر
في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف
المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين
كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض
وقرئ قتّلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية
خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما
وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما
وعدتنا على رسلك وتفخيم له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى
الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له للتشريف اي لاثيبنهم اثابة كائنة او ثوابا
كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على
الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة
عن الاختصاص مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة
احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب
او لا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من
لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد
بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما
اوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو
عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم
والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب
اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في
المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش
فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله
تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فان لا يجدي
وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه ثم مأواهم اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه
جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها

مبالغه

ما جنته انفسهم وكسبت ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اى بئس المهاد جهنم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين
عقب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم فى الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم و
بتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى فى حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب
التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصى فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على
الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اى فى الجنات
حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما فى الظرف من معنى الاستقرار نزلا
من عند الله وقرئ بسكون الزاء وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبى وكنا
اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها
بالوصف والعامل فيه ما فى الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من
عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدأ وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اى ما عنده
تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اى مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل و
التعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى
والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل
الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب
جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشى فانه لما مات نعاه جبرائيل
الى النبى عليهما السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع
فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلى على علج نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل
الظرف بينهما كما فى قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن فى الذكر مع ان الامر بالعكس فى الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما
فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من
حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما
هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسيطها فى سلك محاسنهم
ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما فى الكتابين من شواهد نبوته صلى الله
عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى
البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
لهم وقوله اجرهم اى المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى
يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك

وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب
لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تأمل والمراد بيان
سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين فى تضاعيف السورة الكريمة فنون
الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اى على مشاق الطاعات
وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اى غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر فى مواطن الحروب واعدى عدوكم
بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق
ورابطوا اى اقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله
كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله فى
مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر فى تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون
كى تنتظموا فى زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل مكروه عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ
السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس الحمد لله رب العالمين

سورة النساء مدنية وهى مائة وست وسبعون آية اجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم من الموجودين ح
والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا
يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الآخرين
واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجى فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به
اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لسانى الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لسانى
الى يوم القيمة وقد فصل فى موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم فى الخطاب
لاختصاص الاوامر والنواهى بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم فى خطاب ما عداهما مما له دخل
فى تأكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة
واما صيغة جمع المذكر فى قوله عز وجل اتقوا ربكم فوارده على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة
للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن فى الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجى وان كان فيه مراعاة
جانب الصيغة لكنه يستدعى تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التى هى التجنب
عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اى اتقوه فى مخالفة اوامره
ونواهيه على الاطلاق او فى مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به
على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى

اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم
وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران
نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات
الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا
مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بها على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات
الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين
من نفس آدم عليه السلام حيث كان بوساطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والامهات كان
التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض
لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لاسيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع
ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع
من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها
اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبدا وبيان كيفية خلقهم منه
وتفصيل ما اجمل اولا وصفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر
ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان
الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام
روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء
من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم
ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار و
المجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها
بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها
المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة و
الافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة
وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة
فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدا اي وهو
خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال
فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسالك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي
الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة
في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته
وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين
لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى

اسالك

والارحام

ويقولون نسألك بالله وبالرحم
او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام

والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر عم يتساءلون على وجه
وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد
وعمرا او ينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل و
الارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي
والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء اي الزموا الارحام وصلوها
وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه
كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا
وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا
مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم
بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور
لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها
امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم
ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم
من ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء
جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على
يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما
قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده
حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة
عن اخذها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده
من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به
قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم
بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص
بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية
بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك
عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم
والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سياتي من الامر به وقيل
المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق
الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزال
عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويأباه ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ

فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرط فقط كما
هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا
وللايتاء مالا وتعميم الخطاب للاولياء كل الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه بالفعل
وان من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب بما تقدم
من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدي من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء
بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر انفا واما ما روي من ان
رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله
واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق
وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان
ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى
اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى فبدلناهم بجنتيهم جنتين
واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة
اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب
ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل
معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر
وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصريحا
لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ
الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري
والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها
بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديلة او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا
في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم واعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتري
كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه
اي لا تأكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك
مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اي ذنبا عظيما
وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في
بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا
يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما
في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي
لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على

الجور ولا المخافة وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة
وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول
ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن
لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا
قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة
نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء
وهو قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن
كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ
يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة
او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على
من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على ان الاناث
من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن ابي عبلة من طاب ومن
في قوله تعالى من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي
فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى
مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت
منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب
فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب
مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع
والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية
المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه
شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم
مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في
غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن حمل قوله تعالى حرمت عليكم الخ
دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص مثنى وثلاث ورباع
معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها
وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر
من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب
فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي
عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض اخر كما في قولك اقتسموا

بنوع البدل درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك
الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل
في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء
يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل
في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من
تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا
وهم يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما
على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا
السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة
كما خفتموه في حق اليتامى او كما لا تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد فواحدة
اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة
او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان
اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك
على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سياتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى
في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عددهن لقلة تبعتهن وخفة
مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم واما في القراءة المشهورة فللايذان
بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا
العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل
للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا
لانتفائه راسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر
فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل
كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال
بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري
مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك
المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء اي اللاتي امر بنكاحهن صدقاتهن
جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن
جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه تعالى فالنحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها

على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها
على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا
منه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اي اعطاه
اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على
الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة
بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم
او على الحالية من ضمير آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات
اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور
بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك
اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به
الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد
روي عن رؤبة حين قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان يقول كانهما
قال لكني اردت كان ذاك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء
صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع
موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا تمييز
والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه
نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم
لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب
النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن
وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الاكل والمريء ما يحمد عاقبته
وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمرؤ الطعام
فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما
صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ ومرأ وهي عبارة عن التحليل والمبالغة في
الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه
اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل
ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني
نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث
المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان

او على انهما حالان من الضمير اي
كلوه وهو هنيء او كلوه مريئا
او وقف على كلوه وبدا
بهنيئا صح

ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها
بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين
اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن
قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش
الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول
الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم
وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية
الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج
وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة
كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة
بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما
بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم
وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا
حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه
عن ان يفوض امواله الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك
مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن
جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم
اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته
لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في تعيين وقت تسليم اموال
اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها
سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفاهة قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين
والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة
فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم
فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين
لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم
اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال خلا ان العتاق من المطايا
احسن به فهن اليه شوس منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير
وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاعتداد بمبدئيته
له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما
فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول

الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها
الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية
جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة
ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد
وقال ابو حنيفة رحمهم الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانية عشر سنة
فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه السلام
مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ولا تأكلوها اسرافا
وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون
في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تأكيد
للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اي من كان
من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا
على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فليأكل بالمعروف
بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام
ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي
ان ولي اليتيم قال له افأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب
يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما
يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر
ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب
واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت
اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا
دفعتم اليهم اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
للاهتمام فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد
من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا
فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا
اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان و
الاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث
والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب

كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر موكد لقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاذب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في النسخة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمومنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها

ويقولوا

ويقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يودي الى تجاوز الثلث ان الذين ياكلون اموال اليتامى استيناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان اكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهم الاباء والاولاد والازواج فهولاء قسمان والثالث الكلالة اي يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اي اولاد كل واحد منكم اي في شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكرا ولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين

وقوله نعم صح

لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى
وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله
تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها
في الاستحقاق فلان يستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى
لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص
حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وتوسط بين المبتدا الذي هو قوله تعالى السدس
وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا بالتفصيل
بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف
وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او
ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور
ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه
الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه و
عين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على
دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقها اتم واوفر ولان استحقاقه
بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث
ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب
مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب
فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار
التثليث سواء كان من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين
وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه
فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنه انه لهم على
كل حال فان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة
اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة لما تقدم جميعا لا بما يليها وحده
اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا مبنيا
للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية
الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة
وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين
ومفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها
مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره و
نفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم قرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب

بلا تدرون

بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون
لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من
لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم
وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الآخر كما
في قوله عليه السلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب
في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا
على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا
لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير
الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع
ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما
من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب
للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا في شانهم ما
اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان
ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية ح
مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر اقربية النفع مع ان العلاقة النسبية
فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى
يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما
قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع
في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن
لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا
كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات
او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء
للترتيب بعدها ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه
فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه
وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية فائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية
وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار
وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم
الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم
ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات
او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي
فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام

فيه كما فصل في نظرية فرض للرجل بحق الزواج ضعفا فرض للمرأة كما في النسب لمزية عليها وشرفه الظاهر
ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه
الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحد والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع
في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت
وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة في الاصل
مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها
بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين
بمعنى ذي كلالة كما تطلق على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على
انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة
ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها
حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث
ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة
تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وفيه
تأكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت
اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة
والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير
المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما
جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ
والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك
اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر
احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمون بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض و
العصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد
به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد ولا ولد ولذلك
الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك
اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فمعزل
من السداد اما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث
من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة
وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد من ادعى
اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه
من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت
هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا ان

الكلالة ح

القرابة ح

او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل يورث ذا كلالة ح

فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ح

الرجل

الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة
كما نبهت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك
والا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت
من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه
يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما
ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد
عن الاخ والاخت بقي ح غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه
كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما
رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث
مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين ههنا
موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور
على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين
يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان
رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ
عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما
ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او يكون الوصية
لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام
لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه
للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم
بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما الاشعار
بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب
تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول
به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة
اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن
الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى
تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث
والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على
الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة
امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار
حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو
المعطوف على وصية مع انه لا يتحتم به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه والله عليم

للاجماع

بالمضار وعيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال
الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث
وغيرها حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر
والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على
الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة
حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب
المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة
بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم
عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث
وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة
المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية
المهابة ويتعد حدوده شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله
وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل
ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في
دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب
الوحشة وله عذاب مهين اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو
العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع
في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى
دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحها
والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها
وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي
يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء
للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال
المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها
واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الى ان يستوفي ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في
صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع
لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه
اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق التغليب
قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع

التكرار

التكرار فلانه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاجة باحد
الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط فآذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال
ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر
آنفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية ~~او التوبيخ~~ وقوارع التوبيخ
كما ينبئ عنه اللقاء واصلحا اي عملهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة و
الصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على
هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما
ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر
من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي عليه السلام قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن
سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت
عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير
منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد
اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما
لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في
اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة
وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر
باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغا في قبول التوبة
رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان ان قبول
التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق
به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله
متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في
جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم
الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على
التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد
من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة التي
اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله تعالى صفة للتوبة بتقدير
متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى
والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق
بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول
من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول

الا ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا لا غير الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ كانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال الله تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى

من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية ح للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون الفداء معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وثمة قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها لغيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب ح يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول ونحو ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهية النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا

فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة
استلزامها اياه كانه قيل فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما

فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه
كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى
تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان
النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه
خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني
للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه
بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة
في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف والجملة
حالية وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح
وقيل الالفة والمحبة وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امراة ترغبون فيها مكان زوج
ترغبون عنها بان تطلقوها وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس
والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا
فلا تاخذوا منه اي من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا عن الكثير اتاخذونه بهتانا واثما مبينا
استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اتاخذونه باهتين
وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه
ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف تاخذونه
انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه لا سبيل
له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن للشيء حال اصلا
لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تاخذونه مفيدة
لتاكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال
منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا
غليظا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة
او ما اوثق الله تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه
النبي عليه السلام اخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم
في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء
ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس
النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل
واللمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او

بالوجه

بالوجه المحرم تثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من
للذهاب الى الوصف وقيل هي مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح على
الوجهين الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال
على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل
آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم
الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى وقيل هو استثناء منقطع معناه
لكن ما قد سلف لا مواخذة عليه لا انه مقرر ويأباه قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل
للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله وعلمه موصوفا
بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يتوسط بينهما ما يهون امره من ترك المواخذة على ما سلف منه
وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير
مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله
بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه و
سبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية
بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل
ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح
العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى
ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه
المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم و
بنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن
وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك
اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض سياق المعطوفات على تقدير رقهن
فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة النظم
الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة
سببه الذي هو العقد وما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان
مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له محل ملك
النكاح فانه حيث كان مورده وذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة
في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة
النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل
الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان
علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات تنتظم الاخوات من الجهات الثلث وكذا

فانه معفو عنه ح

الباقيتا والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبًا او بعيدًا
وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القرب والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من
الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة امًا للرضيع والمراضعة اختا وكذلك
زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم
اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته
واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابيه لام وام ام ابنه وام عم
وام خال لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تخل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من
جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة
موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جدة الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان
المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات
على الطلاق سواء كن مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل
تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر
وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن
عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روى عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم
انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه
اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت
في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة
فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم
الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه
يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب
المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك
تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن
بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه
بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما
روي عن علي رضي الله تعالى عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تعالى
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم
او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات
من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لا سترة به لامع
ما ذكر ولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات
او نسائكم يستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة للمعنى الابتدائية والبيان او جعل الموصول

صفة

صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سنح في اسكات ما نطق به النبي عليه السلام
واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على
النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها
وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظايره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا
فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة
حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري
مجراهن من الممسوسات ونظايرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد
والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع
عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطئ بملك اليمين فليلحق
به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه
في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطئ ولا مستلزما له
ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطئ احديهما حتى يحرم عليه وطئ
الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطئ احديهما حتى يحرم عليه
الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان
يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل عن
الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها
ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله به ان يوصل وذلك متحقق
في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة
على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير
وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى
لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر في ما سلف لان قوله تعالى
ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه
الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف ولا يساعده
التعليل لان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنه
كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن
عبد الله عن محمد بن الحسن رح انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين
نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف
وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين والمحصنات
بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففهن عن الوقوع
في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن

وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيره ملقح ومسهب
من القح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية
الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة
على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء
وفائدته تأكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم الا
ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي ملكتموه واسناد
الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما
في اناثهم وهي المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر و
التعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها
فالاستثناء ح ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم
لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس
من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا
حسب اختلاف الرأيين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات اللاتي سبين
فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص
لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة
بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه
الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين
او بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي
عن ابي سعيد الخدري رض من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن
فسألنا النبي عليه السلام في رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن
وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى
عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض
فاباح وطئهن بعد الاستبراء وليس في ترتب الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها
مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة
او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين
فنهى عن نكاحهن والمحصنات ح عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام و
المهاجرة لذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن
بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية
وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما يفصح عنه قوله

توهمه مكي

عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية كتاب الله
مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل
مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر
مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب
الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع
والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط
قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة
المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان
مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما
بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة
اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه
وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم
الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها
وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال
للاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها
وبين خالتها بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة
على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة
وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب
ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل
ههنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار
ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن
ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء
باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال
من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال
ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض
منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان
المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او ما يتعلق
بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها
واياما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف
وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط على تقدير كونها
عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة

ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاى فرد استمتعتم به او فالفرد الذي
استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا
واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة
بالاستمتاع والعائد الى المبتدا محذوف والمعنى اى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او
فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او لمقابلته والمراد بالاجور
فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا
او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة اى حق عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اى لا اثم عليكم
فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه
اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح
من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة
الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى
من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي
هي النكاح الى وقت معلوم من يوم واكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها
بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك
الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه رجع عن القول بجوازه
عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد
حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم
من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
يستطيع اى حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اى غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل
مفعول ليستطيع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات واما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر
المنون شايع ذايع كما في قوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه ومن لم يستطع منكم ان ينال
نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب
صفة لطولا اى طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس
الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه
والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول
ليستطيع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اى ومن لم يستطع
منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة
من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن
احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت
ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف

مفعوله

مفعوله وما موصولة اى فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف
وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اى فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة و
الموصول مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على
الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت
متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اى فلينكح فتياتكم
كائنات لبعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل
المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عموم
عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا
كما هو رأي اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رحمه الله تمسكا بالعمومات فمحل الشرط والوصف
هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله على
هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة
معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل
ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز وجل يا ايها الناس انا
خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى
اعلم منكم بمراتبكم في الايمان به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد
ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله بعضكم من بعض ان
اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان
اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب في
الموضعين اما لمن كما في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى
والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول
الترغيب بخطابهم ايضا وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه
من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن
وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن
مواليهن ولا ترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن
وآتوهن اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار
والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن
الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل آتوا مواليهن فحذف المضاف
والحاقه اوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفايف عن
الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات
ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن والصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة
والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحد منهن خدن لا على معنى

اصله م

ان لا يكون لواحد منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنا ، ولا متخذات اخدان اذ كان
وكان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اى بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل
اى احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة وهى الزنا ، فعليهن فثابت
عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اى الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذى هو جلد مائة
فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت
حد الحرائر فالفاء فى فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثانى مع جوابه مترتب على وجود
الاول كما فى قولك اذا اتيتنى فان اكرمتك فعبدك حر ذلك اى نكاح الاماء ، لمن خشى العنت منكم
اى لمن خاف وقوعه فى الاثم الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر
فاستعير لكل مشقة وضرر يعترى الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة الماء ، ثم
بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هو بها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال
المؤمن دون الثانى لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين
كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصى خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض
الولد للرق قال عمر رضى الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة
من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها
كيفما يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه
ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هى اللائقة
بالمؤمنين فلان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال
عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ فى المغفرة فيغفر لمن لم
يصبر عن نكاحهن ما فى ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ فى الرحمة ولذلك رخص
لكم فى نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها
جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم
فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة
السباق والسياق اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما
تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم
والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها
ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهى وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان فى
فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى
يريدون ليطفئوا نور الله وفى موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفى موضع وامرت
ان اسلم وفى آخر وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون
وقالوا ان وظيفة اللام هى الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اى امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون
ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له

كان تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى ان تسمع به ويعزى هذا الرأى الى بعض البصريين ويهديكم
سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عما يقع
منكم من التقصير والتفريط فى مراعاة ما كلفتم به من الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعى
تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة
لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة
معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ فى العلم بالاشياء التى من جملتها ما شرع لكم
من الاحكام حكيم مراع فى جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتدأة
مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى التوبة عليهم
حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة
ولم يفعل ذلك فى قصده تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة
بين مضمونى الجملتين كما مر فى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعى الشهوات الفجرة فان
اتباعها الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم
اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما
حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات
الاخ وبنات الاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اى
بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص
اى فى عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا
عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات
ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات وعن الحسن رح ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام
فان الجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة فى نكاح الاماء ، وليس لضعف
البنية مدخل فى ذلك وانما الذى يتعلق به التخفيف فى العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه فى امر
النساء ، خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بنى آدم قط الا اتاهم
من قبل النساء ، وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل
وعنه رضى الله عنه ثمانى آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس
وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع فى بيان بعض المحرمات المتعلقة
بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار
كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار و

كلفتم صح

قعد ابي علي ثمانون سنه وذهبت
احدى عيني وانا اعسو بالاخرا
وانا اخوف ما اخاف
على سنة الناسخ

وعقود الربوا وغيره ذلك مما لم يبحه الشرع اى لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعى الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون
التجارة تجارة صادرة عن تراض كما فى قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما
او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اى ولكن اقصد
والكون تجارة عن تراض اى وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها
بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعها واوفقها لذوى المروة
او المراد بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال المبايعة وقت الايجاب
والقبول عندنا وعند الشافعى رح حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اى من كان
من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رح لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم
بالانفس للمبالغة فى الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او ولا تهلكوا انفسكم
بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى اليه فانه القتل الحقيقى لها كما يشعر به ايراده عقيب النهى عن اكل الحرام فيكون
مقررا للنهى السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدى الى القتل
من الجنايات وقيل بالقائها فى التهلكة ويؤيده ما روى عن عمرو بن العاص انه تاول به التيمم لخوف البرد
فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع فى التوصية بين حفظ النفس
وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم
النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهى بطريق الاستيناف اى مبالغا فى الرحمة
والرأفة ولذلك نهاكم عما نهاكم فان فى ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصى وللذين هم فى معرض التعرض لهم
بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم
ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى
القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الفساد
عدوانا وظلما اى افراطا فى التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدى
على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اى متعديا
وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اى ندخله وقرئ
بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك
من حيث انه سبب للصلى نارا اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اى اصلاؤه
النار على الله يسيرا لتحقق الداعى وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اى كبائر الذنوب
التى نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون
العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة اى نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى
الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر

واختلف

واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التى حرمها الله وقذف
المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن على رضى الله عنه التعرب
بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ان رجلا قال له الكبائر سبع قال هى الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروى عنه الى سبعين اذ لا
صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها
بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما و
وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له الامران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو
الجنة كريما اى حسنا مرضيا او مصدر ميمى اى ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان
والمصدر ونصبه على الثانى بفعل مقدر مطاوع للمذكور اى ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما فى
قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اى عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادى عن المواجهة بما
يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهى عما
يؤدى اليه من الطمع فى اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض
لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم
من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى
صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من
المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر
المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده
ما سياتى من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق لان المنهى عنه تمنى نصيب الغير لا تمنى ما زاد على
نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى فى الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن
احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب
المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهى بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح فى جريان التمنى بين فريقى الرجال والنساء ولعل صيغة المذكور
فى النهى لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين فى الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب
استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء
حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث
لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمنى المذكور وقوله تعالى واسئلوا الله
من فضله عطف على النهى وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب

أي الامتثال بالأمر كأنه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسئلوا الله تعالى من خزائن نعمه التي
لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم أي واسئلوه ما تريدون فإنه تعالى يعطيكموه أو لكونه معلوما
من السياق أي واسئلوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسئلوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين
أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم أعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج وحمل
النصيب على الأجر الأخروي وإبقاء الاكتساب على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي أن أم سلمة رضي الله
عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم على أن المعنى
لكل من الفريقين نصيب خاص به من الأجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلة ما يليق بهم من الأعمال كالجهاد
ونحوه وللنساء أجر بمقابلة ما يليق بهن من الأعمال كحفظ حقوق الأزواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوص
أجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الأجر لا يساعده سباق النظم الكريم المتعلق
وفضائل الرجال إن الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض
درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الأبية ولكل
جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا
قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا أي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصباءهم
بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه
كما فصل في قوله تعالى قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض بين لفظ الجلالة وبين صفته
بالعامل فيما أضيف إليه أعني غير أو ولكل قوم جعلناهم موالي أي وراثا نصيبا معينا مغايرا لنصيب قوم
آخرين مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إليه محذوف والكلام
مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ منه وأما ما قيل من أن المعنى
لكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا منه على أن من صلة موالي لأنه في معنى الوراث وفي ترك ضمير
مستكن عائد إلى كل وقوله تعالى الوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي كأنه قيل من هم فقيل
الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لأن بيان الموالي بما ذكر يفوت الإبهام المصحح لاعتبار التفاوت
بينهم وبه يتحقق الانتظام كما أشير إليه في تقرير الوجهين الأولين مع ما فيه من خروج الأولاد من الموالي
إذ لا يتناولهم الأقربون كما لا يتناول الوالدين والذين عقدت أيمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث
السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وعند أبي حنيفة رض إذا أسلم
رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله إرثه إن لم يكن له وارث أصلا وإسناد
العقد إلى الأيمان لأن المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم فحذف العهود
وأقيم المضاف إليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم أيمانكم وماسحتموهم
وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر أعني قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء أو منصوب
بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه أو مرفوع معطوف على الوالدان والأقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ

بالمواريث ح

جملة مبنية للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي إن الله كان على كل شيء من الأشياء التي من
جملتها الإيتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف
مسوق لبيان سبب استحقاق الزيادة في الميراث تفصيلا إثر بيان تفاوت استحقاقهم إجمالا وإيراد
الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإيذان بعراقتهم في الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه
أي شأنهم القيام عليهن بالأمر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين موهبي وكسبي
فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون أو بمحذوف وقع حالا من ضميره
وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن
أو متلبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة
إلى التصريح بالمفضل والمفضل عليه أصلا ومثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفاته كمال التي هي
كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة
والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك
وبما أنفقوا من أموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الأولى وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها من الصلة
ومن تبعيضية أو ابتدائية متعلقة بأنفقوا أو بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف أي وبسبب إنفاقهم
من أموالهم أو وبسبب ما أنفقوه من أموالهم أو كائنا من أموالهم وهو ما أنفقوه من المهر والنفقة
روي أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار رض نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها
فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال الرسول عليه السلام لتقتص منه
فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل
أحوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن أي فالصالحات منهن قانتات أي مطيعات
لله تعالى قائمات بحقوق الأزواج حافظات للغيب أي بمواجب أي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج
من الفروج والأموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها
أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم وإضافة المال إليها
للإشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية بما حفظ
الله ما مصدرية أي بحفظه تعالى إياهن بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو موصولة
أي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على حذف المضاف أي بالأمر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي
تخافون نشوزهن خطاب للأزواج وإرشاد لهم إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند
حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أي تظنون عصيانهن وترفعهن عن
مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الأرض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب
واهجروهن بعد ذلك إن لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع أي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف
ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة أي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي
المضطجع واضربوهن إن لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فإن أطعنكم

الرجال ح

بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية فازيلوا عنهن
التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا
فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم و
يتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم
احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يتحقق او يفرض
تحققه وان الذى يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان ما كان من الزواجر هو الاطاعة
ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعنى عدم الاطاعة
المؤدى الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا
منهما فى شق اى جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رض والجزم بوجود الشقاق
لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان
لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما فى قوله يا سارق
الليلة او مجرى الفاعل كما فى قولك نهارك صائم اى ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج
على ازالتها فابعثوا اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح
من اهله من اهل الزوج وحكما على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب
للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا
ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك
لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت
نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى فى نفوسهما
المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى
ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب
للحكمين فى الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة
بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين
للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين
اى ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح
نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق
الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل
التى هى آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها فى سلكها كما فى سائر المواقع و
شيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا
من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما احسانا وبذى القربى اى بصاحب

القرابة

القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذى القربى اى
الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما
لحق الجار ذى القربى والجار الجنب اى البعيد والذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة
فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق
واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر
حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد
او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هى المرأة وابن السبيل هو المسافر المنقطع
به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يأنف
عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما و
الموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى
من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التى بينها لهم فى التورية وهو انسب بامرهم للناس
بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر
موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله
عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار
بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على
الكافرين وانما شاركوهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من
حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء فى القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف
بناء على اجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب
فى المزدحم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه
وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره و
استغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما
فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان
يقرن بهم فى النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى على من ذكر من الطوائف
ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضى
ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم او واى تبعة ووبال عليهم فى

في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو
عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة و
تنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم
الايمان بهما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم
ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم
وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة
فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال
مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص
او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر
المحذوف نائب منابه اي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو
الانسب بمقام المبالغة فان قلته في الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رض انه ادخل يده
في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان تك مثقال ذرة حسنة
انث لتانيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا
لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة
لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما واحد وقرئ نضاعفها
بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رض بلغني عنك انك تقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة يعطيه الف الف حسنة
قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد
الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده
في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها
اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه
او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم
بما كانوا عليه من فساد العقايد وقبايح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر ومن متعلقة
بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم
لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد
عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
استيناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول للاشعار بعد الاشارة اليهم بهؤلاء

فيهم ح

لذمهم

لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان
الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى
وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول ح الجنس المنتظم
للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر
قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم
ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة
لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول او الذين كفروا وقد عصوا
الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية
فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا
او لم يخلقوا وكانهم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها
فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية
ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه
لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا
ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله
تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين
آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف من الاشراك به تعالى نهوا
ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا
حين كان الخمر مباحة فدعى نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء
وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف
النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد
هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد كقوله عليه السلام
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة
السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤونه في
الصلوة وحمل ما تقولون على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم
على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلوة تطويل بلا طائل لان تلك
الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤون ح يكون عاريا عن الداعي
وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد
مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
كانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الآية
لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر

وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة
سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر
الا عابرى سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار
تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهى اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى حال من الاحوال
الا حال كونكم مسافرين على معنى ان فى حالة السفر ينتهى حكم النهى لكن لا بطريق شمول النفى لجميع صورها
بل بطريق نفى الشمول فى الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنتفى ولا على بقاء خصوصية
البعض ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل الا على ذلك عبارة ثم يتبين الحال فى
حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها فى المقامات الخطابية لا فى اثبات الاحكام الشرعية فان
ملاك الامر فى ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا
بمعنى غير اى لا جنبا غير عابرى سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها
وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون فيه الماء او الطريق فيه
وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا فى المسجد
فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهى عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء
عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهى فى هذه الصورة ليس على الاطلاق كما فى صورة السكر تشويقا
الى البيان وروما لزيادة تقرره فى الاذهان وفى الآية الكريمة اشارة الى ان المصلى حقه ان يتحرز عما يلهيه
ويشغل قلبه وان يزكى نفسه عما يدنسها ولا يكتفى بادنى مراتب التزكية عند امكان اعاليها وان كنتم مرضى
شروع فى تفصيل ما اجمل فى الاستثناء وبيان ما هو فى حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على
استثناء السفر مع مشاركة الباقى له فى حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبنى على الضرورة التى
عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه يرجع ما قيل من انه جعل عابرى سبيل
كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه
او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى اى كنتم او على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق
ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعى عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة
على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا
توجد فى غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو المكان المطمئن و
المجئ منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه عن اعين الناس واسناد
المجئ منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادى عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيا منه
او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح
بالجماع ونظمهما فى سلك سببى سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببى وجوبها ليس باعتبار
انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب فى الحقيقة وانما
ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى
كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب

الباقى صح

المكان صح

استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر فى صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعها فيهما واستغنائهما
عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة
فى حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او مرضى الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء فى حق المسافر
غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه فى حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد
راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجئ من الغائط والملامسة معتبر فى الكل مما لا يساعده النظم الكريم
فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابى حنيفة رحمه الله وعند
الشافعى لا بد من ان يتعلق باليد شئ من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى الى المرفقين لما روى انه عم
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل للترخيص
والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا
لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترفه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن
موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى
الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها
والرؤية بصرية اى الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية
على ان الى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعله ياباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها فى سلك الامور المشاهدة
والمراد بهم احبار اليهود وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان
راس المنافقين عبد الله بن ابى ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضى الله عنه ايضا انها نزلت فى رفاعة
بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا بلسانهما وعاباه والمراد
بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتب المنتظم لها انسب ما اوتيناه تطويل للمسافة وبالذى اوتوه
ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى عليه السلام وحقية الاسلام و
التعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التى يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال
ركاكة آرائهم حيث ما ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمى مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير
عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوى ذكره فى المعاملة
المحكية عنهم من الهدى الذى هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة
لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اى نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل
يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب فى ان اعتبار تقدير اشترائهم
المذكور فى الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اى الم تنظر اليهم حال اشترائهم
والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين
من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبنى على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر
اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوى ذكر المتروك لغاية ظهوره

وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشترا المذكور وما عطف عليه صح

الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة
بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشيا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة
التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على
سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى
تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل ان يخل بمعنى الاشتراء المنبي عن تاخرها بل هو فردها
الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا شأن النبي عليه السلام وتيقنوا حقيقة دينه وانه هو النبي
العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد قرر في اول سورة
البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك لهم في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما
للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه
وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم
ان تضلوا انتم ايضا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم
جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم
او هو اعلم بحالهم وما آل امرهم بل جملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله وليا في جميع اموركم
ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره
او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء
مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة
في مقام الاضمار لا سيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل في كل
من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة من الذين هادوا قيل
هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم
لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كالاشتراء
وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع
نصرته عز وجل لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر
وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا
او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق الثاني بمعزل من التعريف الذي هو المصداق لاشترائهم
في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين
قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين
وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى
يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم
طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده
الكلمة ككلم وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر
الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية

خاصة واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يحمل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا
الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف على سره فان اريد به الاول كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن
مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي عليه السلام اسمر ربعة عن موضعه
في التورية بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله
الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان
يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين
العقل والدين كمواضع غيره ولما كان قولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد
بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه
عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التورية فان من لا يتفوه بتلك
بتلك العظيم لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والا فحمله على ما قالوه في مجلس النبي عم من القبائح
خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التورية مع انه
معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف
لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا
وعصينا عنادا او تحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت
القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته عليه السلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان
يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع
كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها
كانوا يخاطبون به النبي عليه السلام استهزاء به مظهرين له عليه السلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون
في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم
له عليه السلام هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلث في موقعها وهو ايضا كلمة ذات جهتين
محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها
مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبون بها
بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين
الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان
ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك
ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به ليا بألسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى
نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا سمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا
في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه
بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية

اى لا دين وطاعنين فى الدين ولو انهم عند ما سمعوا من اوامر الله ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان
الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق فى كلامهم وانما الحاجة
الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم
سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من
ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اى لو قالوه عند مخاطبة النبى عليه السلام بدل قولهم
اسمع غير مسمع وانظرنا اى ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم
شرا وفسادا اى لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم
مما قالوا واقوم اى اعدل واسد فى نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل
فى المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم فى البيان حاله
بالنسبة اليهم على حاله فى نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اى
ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب
كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا قيل اى الا ايمانا قليلا لا يعبا به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل
او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم الكلية على طريقة قوله
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو
فى المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل بمعزل ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا الافصاح
الى التكليف بالمحال الذى هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم
بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعد ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت
الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا بجعل المستثنى منه ضمير الفاعل فى لا يؤمنون
لافضائه الى وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار بل بجعله
ضمير المفعول فى لعنهم اى ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان
وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام واضرابهما كما ستعرفه يا ايها الذين اوتوا الكتاب
تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بعدما حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم
تارة بايتاء الكتاب اى التورية واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود
فيما سبق بيان اخذهم الضلالة مما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا
بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذى يعقبه والتحذير
عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثانى مقتض للكفر بالاول قطعا
ولا ريب فى ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن
مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما
واما اليهم والى غيرهم قاطبة وايا ما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا
عليه من الضلالة عقيب ذلك لام بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد

واراده صح

وهو الاظهر صح

على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما فى حيز الصلة وتحقيقا لكونه من
عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال
فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما فى تضاعيفها
المؤدى الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا
لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما
ما يتراءى من مخالفته لها فى جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة
بل هى عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع
حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال
عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مقيد لما رغبه الى
الامتثال به والجد فى الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث
لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غنى عن الاخبار به وانه
على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفى تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفى ابهامها لطف بالمخاطبين
وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل
ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضى الله عنه نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة
والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها
فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى
موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء
على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم
صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤا منه وهى اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بنى النضير
ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف
فى ان الوعيد هل كان بوقوعه فى الدنيا او فى الآخرة فقيل كان بوقوعه فى الدنيا ويؤيده ما روى ان عبد الله
بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتى اهله فاسلم
وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى الى قفائى وفى رواية جاء الى النبى صلى الله عليه
وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روى ان عمر رضى الله عنه قرأ هذه الآية على كعب
الاحبار فقال كعب يا رب اسلمت مخافة ان يصيبها وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من
طمس فى اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا
اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذبوها وفى التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد
ثم نزوله على من وجد بعد مائة من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين
الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم
المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم اذا لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم

بادبارها منه صح

التكبر والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون
سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ
ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في
عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما
عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم يكون
زجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما
تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي القوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون حكما لهذا
الوعيد او مزجرة للعبيد عنه وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر
وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام
وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين
بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبني ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد
هو الثاني والله تعالى اعلم واياما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة
بينها وبين ما وجها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ما امر به كائنا
ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا
فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل
الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير
ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا
يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق
الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى
بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم
وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز
مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة
التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر
والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يحجب لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون
ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للايذان ببعد درجته
وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه و
احسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه
فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية
فان اختصاص مغفرتها للمعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر

ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل
سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر
المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع
على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة
والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع
حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه
جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية
لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب
قال عليه السلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا
بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم
العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير
من اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل
هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من
المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي
وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول
ولا يظلمون عطف على جملة وقد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بانها غنية عن الذكر
اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو
وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا
ينقص من ثوابهم اصلا ولا يناسبه مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف
نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل
يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة
تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر
التعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف
بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن
لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول
جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه
لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا
للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم
هذا من حيث افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام
اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في

استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير زعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حالهم اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر
عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال
ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من
دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة و
الطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين
خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد
الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى تطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما
فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام
محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت
نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون
للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد
طريقا وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة
لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر
للاشعار ببعد منزلتهم في الضلالة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته
وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته
فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم
مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يصلح له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه
بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية
ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب
والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم
البالغ والهمزة للانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال لما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا
لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا
من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية
لشرط محذوف اي جعل لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة
يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم
ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ
عليه اي لعده منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى
ألهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس
نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذا تاكيد

له بلا استحقاقهم صح

للانكار

بالنصب صح

للانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل
فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال
عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لاسيما على ما هم بمعزل من استحقاقه
واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم
للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين
الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا
يطمعون ان يكون النبي عليه السلام الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل
ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى
فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم و
استبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له
بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية
بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين
هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما
لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه
مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم
انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام
لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنه الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان
عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة
ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك
تشريف للكل لاغتنامهم باثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك
بالعظم وتنكيره التفخيمي من تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور
ائمة التفسير لكن الظاهر ح ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم
عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين
وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل
ابراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم
عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله
وكذا جعلهما لرسول الله عليه السلام اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة
لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم و
توبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم
وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون
به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم

من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا
مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا باياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله
عليه السلام فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس
المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء
عليهم الصلوة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب
عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم
احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل
يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق
صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها
حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيه جلودهم فمعنى
قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه
جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضي الله عنه يبدلون جلودا
بيضاء كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقاري
اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة مائة
مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار
كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد
وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان
ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث ان القوة الذائقة اشد
الحواس تاثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك
العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان
النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن
عن التألم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا ينازعه
احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار
الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط
لجميع صفات كماله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال
المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا باياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو
مبتدا خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم
الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز
وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس

فيها

انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة
او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه
او للتنبيه على شدة تاثيره
من حيث صح

الطبيعية

الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة
او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه شمس
اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد
كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه خبر الا دخال الاولى بالذات
بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر
على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه
وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى
وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار
سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب
الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي عليه السلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان
يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه
فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا فقرأ
عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبرائيل عليه السلام واخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس
لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله عز وجل
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث
كان المامور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت
اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف
بالظرف المعمول له عند الكوفيين والمقدر بدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي
ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة
موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به
ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة
لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر انفا
فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين امنوا بعد ما امر الولاة بطريق العموم او
بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا
بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما

وآما امرآء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعا والرسول عليه السلام لوجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع
لقوله تعا ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه ويأباه قوله تعا فان تنازعتم
فى شئ فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولى الامر بطريق الالتفات
وفيه بعد تصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولى الامر عند موافقتها
لطاعة الله تعا وطاعة الرسول عليه السلام يستدعى بيان حكمها عند المخالفة اى ان اختلفتم انتم واولو الامر
منكم فى امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اى الى سنته وقد استدل به منكر
القياس وهو فى الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء
عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعا وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل
على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الاخر متعلق بالامر الاخير الوارد فى محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط
محذوف عند جمهور البصريين ثقة لدلالة المذكور عليه اى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ
فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعا فظ واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة
ذلك اى الرد المامور به خير لكم واصلح واحسن فى نفسه تأويلا اى عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على
احسنيته فى نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه فى نفسه بالخيرية الكاملة و
الحسن الكامل فى حد ذاته من غير اعتبار فضله على شئ يشاركه فى اصل الخيرية كما ينبئ عنه التحذير السابق
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى الرسول
عليه السلام تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما امر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء
الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعنى التورية لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال
المباينة بين دعويهم وبين ما صدر عنهم وقرئ فعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت استيناف سيق لبيان محل التعجيب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون
وقيل يريدون الخ روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى
لليهودى فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضه فقال اليهودى قضى لى رسول الله عليه السلام
فلم يرض بقضائه فقال عمر رضه اكذا للمنافق قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل
على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت فهبط جبرئيل وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله انت الفاروق
فالطاغوت كعب بن الاشرف سمى به لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبى عليه السلام
على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن
الشعبى ان المنافق دعا خصمه الى كاهن فى جهينة فتحاكما اليه وعن السدى ان الحادثة وقعت
فى قتيل بين بنى قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبى عليه السلام وابى المنافقين

والحسن صح

اهكذا صح

منها

منها الا التحاكم الى ابى بردة الكاهن الاسلمى فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار ح فى معرض التعجيب والاستقباح
على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغى
ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتورية فانه
كما يقتضى كونهم من منافقى اليهود يقتضى كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان
بالتورية وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعا وقد امروا
ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره فى الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته
كالكهنة ونظائرهم لا من اعدائهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت
يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن
يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما فى قوله تعا فانبته
الله نباتا حسنا اى اضلالا بعيدا واما مصدر لفعله المدلول عليه بالمذكور اى فيضلون ضلالا ما كان وصفه
بالبعد الذى هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعا ورسوله عليه السلام اثر بيان اعراضهم
عن ذلك فى ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما فى قولهم
ما باليت بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا فى آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد
اللام فى تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمرأة تعالى بكسر اللام وعليه قول ابى فراس
الحمدانى ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالى اقاسمك الهموم تعالى رايت المنافقين اظهار المنافقين فى مقام
الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعا يصدون عنك
حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعا
صدودا مصدر مؤكد لفعله اى يعرضون عنك اعراضا واى اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذى هو الصد
والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدى يقال صد عنه صدودا اى اعرض عنه وصده اى منعه
منه وقوله تعا فكيف شروع فى بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها اى كيف يكون حالهم
اذا اصابتهم مصيبة اى وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم
بسبب ما عملوا من الجنايات التى من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار
عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويلهم من الخطب واعترائهم
من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجئ للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا اى ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد
مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه
حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعا
فقالوا ما اردنا اى ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضى الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه
وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والنفاق
وهو مبتدا خبره الذين يعلم الله ما فى قلوبهم اى من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك

جمع كما فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت

ضلالا صح

تخاطب بها جارة تغرد فوق الاغصان
وهو مسجون وقبله
ايضحك ماسور وتبكى طليقة
ويسكت محزون ويندب سالى

وتهويلهم صح

من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اى اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم و
قيل عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما فى بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر
وعظهم اى ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم فى انفسهم فى حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على
الشرور التى يعلمها الله تعالى او فى انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها فى السر انجع قولا بليغا
مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سبق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل
متعلق ببليغا على رأى من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اى قل لهم قولا بليغا فى انفسهم
مؤثرا فى قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال
والايذان بان ما فى قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد
العقوبات وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق
وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله كلام مبتدأ جئ به تمهيدا لبيان خطائهم فى الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل
وعدم تلافيها بالتوبة اى وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى
فى طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته
معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه فى طاعته ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تأخير كما يفصح عنه
تقديم الظرف متوسلين بك فى التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية
بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا
فى التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على
طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته
فى حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا فى قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر
الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه
فضل ترغيب للسامعين فى المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك المنافقين على ما
صنعوا لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة
لكمال الرغبة فى تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اى فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم
لا لتأكيد النفى فى جوابه اعنى قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد فى الاثبات ايضا كما فى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
ونظائره حتى يحكموك اى يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جئ بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله
ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما
شجر بينهم اى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر
ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اى مما قضيت به او من
قضائك وقيل شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره ويسلموا اى ينقادوا لامرك ويذعنوا له
تسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره اى تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم تعالى سلم لامر الله واسلم له بمعنى حقيقة

سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اى ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل
نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل فى شأن الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب
الانصارى وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأى فيه سعة له و
لخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على
المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودى كان مع المقداد
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد
اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا
سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم
منى الصدق لو امرنى محمد ان اقتل نفسى لقتلتها وروى انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار
بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان من امتى رجالا الايمان اثبت
فى قلوبهم من الجبال الرواسى فنزل فى شأن هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم اى لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم
من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا
ما فعلوه اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدرى الفعلين الا قليل منهم
اى الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال والله لو
امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل
بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا
وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اى فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا واجلا
واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذن لاتيناهم
من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال كانه قيل وماذا يكون بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لاتيناهم
لان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم
ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستأنف
فيه فضل ترغيب فى الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهى اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه
اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم فى جواب الشرطية
السابقة وتفصيل لما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهى
فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه
من معنى البعد مع القرب فى الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدأ خبره مع الذين
انعم الله عليهم والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه

من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعته نبينا
عليه السلام بجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم
لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت
احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت
موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي عليه السلام
فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه
فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عم عن حاله
فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى
القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة
كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال عليه السلام والذي نفسي
بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك
عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عم
المرء مع من احب والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال
والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق رض
والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم
في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول
الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة
وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة
قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم
وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد
منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم
لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون
السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم
او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى
الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله
متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى
لا ان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين

آمنوا

آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه وتيقظوا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها
نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها
اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل
فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تاء التأنيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا
يثبو كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على
ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية
او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن
اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم من المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن
غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده
واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه
صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه قد انعم الله علي اي بالقعود
اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها
على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ
وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل
اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة
التنزيلية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم
اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا
على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يفهم من مطلع
كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص
على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة
التشبيهية حال من ضمير ليقولن متشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي يقولن
المثبط لمن تثبط من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة
حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه
عليه السلام وتأكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء
والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب
على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه
معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام

به الذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر
اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها
ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق
وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة
التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن
نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في
استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى
لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي
خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه
وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدا وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من
معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك والمستضعفين عطف
على اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف
المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص
ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين
او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلابا للرحمة وتنبيها على تناهي ظلم
المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي
واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك في الحث على القتال
وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على
الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين
او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير
ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث
بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم
المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله
فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم
فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه
لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى
واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنه اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم
بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله تعالى دعاءهم حيث يسر
لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يد نبيه عليه السلام فتولاهم

المقاتلة م

فتولاهم

اي تولى ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها
وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة
في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدا سيق لترغيب المؤمنين
في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون
في دين الله الحق الموصل لهم الى الله تعالى وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى
فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على
ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله
وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة
والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء
الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد ذاته فكيف بالقياس
الى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه
المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله عليه السلام من احجامهم عن القتال مع
انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي
فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب
النبي عليه السلام منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن اسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي
وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنه كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا
فيشكون ذلك الى النبي عليه السلام ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي عليه السلام كفوا ايديكم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي عليه السلام
للايذان بكون ذلك بامر الله تعالى ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال و
كونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على
طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصيته الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك
الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه
بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا
من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على
قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه
يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله
اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتدا ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة
له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية آثر ذي اثير من غير تلعثم
وتردد اي فاجا فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية

عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله
مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين لاهل خشية الله تعالى
او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية
ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله
واياما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام
على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم
مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية
الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه
بل على طريق تمني التخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا
عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا
قل اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي
متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك
الاجل والآخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته
وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب
التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء
من اجور اعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من
الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من اينما تكونوا يدرككم
الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله عليه السلام
الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه السلام فلا محل له
من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المأمور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت
الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه
وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام
مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا
في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور
محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه
وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة و
مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة
ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها
اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو

اوجملة

الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من الاشتمال
على الاسناد وما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان
قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي عليه السلام المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم
بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه
وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله وان
تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه فامر النبي عليه السلام بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه
على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة امر الله تعالى حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحد من النعمة والبلية
من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع
الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا
الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم
او سبب اصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء
القوم الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم
والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى
الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف
مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا
يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا
هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى
بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد ولا سيما النص الوارد عليهم
في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا اجابة انفسهم الى غيرهم
وقوله تعالى ما اصابك من حسنة بيان للجواب المأمور به واجراؤه على لسان النبي عليه السلام ثم سوق البيان
من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء
به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام
الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم
فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف وان كل ما
يفعله المرء من الطاعات التي يفرض كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة
لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن استيجابها بالنعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام
ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من
من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه

من المناسبة ح

تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله
عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله عليه السلام بل لبيان حال الكفرة
بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من
استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه عليه السلام
ومكانته عند الله تعالى بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف
الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل
الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد
جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي
بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق
والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد
اطاع الله بيان لاحكام رسالته عليه السلام اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة
هو الله تعالى وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله تعالى روي انه عليه السلام
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل
لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى
ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب
الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص
الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف
والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا
مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به وقدم
عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان
معاملتهم مع الرسول عليه السلام بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشأننا طاعة
او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك
اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اي زورت
طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما
يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي
وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات
والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما
يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا

او يثبته

او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف
عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر لا سيما
في شأنهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم
لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه
افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات
الايمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر
ونظر والفاء للعطف على مقدر اي يعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بشهادة
ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان
اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع
اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقة للواقع تعين
كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره
المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء
المنافقين كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام
على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله لما اطرد فيه الصدق فيه
ولو وقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم
واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني
وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه
الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه
على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الحكم والمصالح المقتضية لذلك
فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه
وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى
يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على
معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا
اذا اخبرهم الرسول عليه السلام بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم
لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك
مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف
فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رأيه عليه السلام
مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد
والمراجعة الى رأيه عليه السلام والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله عنهم
لعلمه الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان
بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون

الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول عليه السلام واولي الامر
من صحابته رضي الله عنه ولما فعلوا في حقه ما فعلوا فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل
لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها فكلمة من في منهم بيانية
وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل
اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لعلمه
لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب
ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله عليه السلام واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء
او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون
فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه
فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر وقالوا لو نسكت
حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذكورون
وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فمساق النظم الكريم
لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم
الى الطريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول عليه السلام واولي الامر لاتبعتم الشيطان
وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر
الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم
ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم
قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة
الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل
وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التواتر
والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات
القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق
اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في
سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط
محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين
في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى لا تكلف الا نفسك اي الا فعل
نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات
مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل
هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب

الامر

الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر
السابق داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض المؤمنين والتحريض على الشيء
الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في
القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا
عدة منه تعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته تعالى
وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله عليه السلام واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي
القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين
راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله عليه السلام
وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل
عمران والله اشد بأسا اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة
ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال
الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها
جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة
هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها
حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير تضمن غرضا من الاغراض الدنيوية والاخروية واي منفعة اعظم
مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه مساق آية
التحية الآتية روي انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها
اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا
من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه و
الجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة
اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية
ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية
من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى
في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء
وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام وقال الله تعالى
تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام
مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في
الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا
سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة

واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين
بتحريضه عليه السلام والسلام على الجهاد
من المنافع الدنيوية خ

الله ان أقصر المسلّم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلّم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب
التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردّوها اي اجيبوا بمثلها روي ان رجلا قال
لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم
واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله
عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم المسلمين فيسلّم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم
روح القدس وردّت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند
دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلّم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير
الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلّم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلّم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلّم عليكم اهل
الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي
بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية
بالاحسن عند كون المسلّم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على
كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو
مبتدأ وخبره وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب
يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر ولا
اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه
ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالة
كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب
لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق اما بمتعلق الخبر اي شيء
كائن لكم فيهم اي في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من
معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل
صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب
فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة
معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين
شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر
في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلّين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم

أوجدوا

فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق
الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين
اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة
بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم يقع في
امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد
وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو
اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى
قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا اي بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى
اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددة وركسهم ايضا
مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين
وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى
وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع
الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار
الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه
وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن
قدر خلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح
عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه
بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم
الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي
مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية في يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين
اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم
لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع
ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان يكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على
يكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان يكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على
بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك
فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي
ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى
يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بالهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض

من اغراض الدنيا فان تولوا اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرام فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا اى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم
بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اى الذين يتصلون وينتهون واما قوم عاهدوكم
ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمى
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل هم
بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اى الذين جاؤكم كافين عن قتالكم
وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين و
الآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتى من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه
صريح فى ان كفهم عن القتال احد سببى استحقاقهم لنفى التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة
او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قد قرئ حصرة صدورهم
وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم
قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم كراهة ان يقاتلوكم الخ ولو شاء
الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل
ونظمهم فى سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدنا كالطائفة
الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم
عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف
والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل
والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان تقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم
كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم
من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا العهد وهم ليامنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اى
دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير
فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوا
اليكم ويكفوا ايديهم اى لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى تمكنتم منهم واولئك
كم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى الايقاع بهم قتلا
وسببا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا
حيث اذنا لكم فى اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اى وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق

فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية
وانتصابه اما على انه حال اى ما كان له ان يقتله فى حال من الاحوال الا حال الخطأ او على انه صفة للمصدر اى الا قتلا
خطأ وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان
نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد
الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى
صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روى ان عياش
بن ابى ربيعة وكان اخا ابى جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم
فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد
بن ابى انيسة فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك
على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده
كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان
اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث
وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فموجبه تحرير
رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية
مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمرنى ان اورث امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها الا ان يصدقوا اى يتصدق
اهله عليه سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف
صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت
تصدقهم عليه فهو فى محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل
فان كان اى المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان
اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة
اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم محاربون وان كان المقتول المؤمن من قوم
كفرة بينكم وبينهم ميثاق اى عهد موقت او مؤبد فدية اى فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام
ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تاخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا
عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه
فى حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه
كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمى او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث
بين المسلم والكافر وقد عرفت لزومهما فمن لم يجد اى رقبة يتحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها
من الثمن فصيام اى فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين منهما افطار توبة نصب
على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك توبة اى قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف

اى تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى
من الله متعلق بمحذوف وقع صفة توبة اى كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها
حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه ومن يقتل
مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطاء وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا ان
حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني
وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم بتسليم
القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى
الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا
ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي
معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل وساق
بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت
ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح عن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل
وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم قوله تعالى خالدا
فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها
وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما بعده للحال
او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه
ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجازاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه
واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف
تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاؤه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه ولعنه اى ابعده من الرحمة
بجعل جزاؤه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى
ونفخ في الصور ونظائره اى فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر
قدره ولا ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تايدت
بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله
من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه السلام
من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع
تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم فيها لا لما قيل من انها
في حق المستحل كما هو راي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت
حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر
النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا توبة لقاتل

المؤمن عمدا كذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى
في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ان يجعل لقاتل المؤمن
توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر القاتل المؤمن
توبة فقال نعم فقيل له قلت ذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل
وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى
فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي عليه السلام انه قال
هو جزاؤه وان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان
فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل
في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث انس رض انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجز له ومن اوعده
على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى
بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا
بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارض قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين امنوا اثر ما بين حكم القتل
بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطاء شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة
في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اى سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا
بالفاء اى فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اى
اطلبوا اثباته قوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة
من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اى لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم
بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت
ما اظهرته متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا
لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها
مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والتنبيه على كمال ظهور خطائهم
لبيان ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة
بهما وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك
التاني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما
جميعا اى لا تقولوا ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله
مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله
مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله
عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تاخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في
قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر

المقيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصوف باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء
في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم
للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم
واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك
فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال
من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه
فخامة شأنه الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة
فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة
والاشتهار بالايجاز والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم
وان تعتبروا ظاهر الاسلام في الكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين
الدماء والاموال حكم ترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه
عليه في حقهم تقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يأتي بتفسير منهم
عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله
ايضا بحكم الشركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب
تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول فحصنت دماؤكم واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب
تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكره بصدد التفسير
وان كان امرا مستفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته
في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بأمر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين
فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم
مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حاله نظرا
الى حالتكم هذه بل اعتدوا به نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه
بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان
قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة
الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق
غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال
اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن
قلبه وفي رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف
بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ
ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم
الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقتلت

اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه ان الله كان بما تعملون من الاعمال
الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل
واحتاطوا فيه والجملة تعليل بما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بالفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على
حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم
في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط
رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء
بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون وهو الظاهر الموافق لتاريخ
النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال
اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من
القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود
بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون
لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه
او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين وبدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج
او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال كنت الى جنب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم
سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم
وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان
دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي وكذا تقييد المجاهدة
بكونها في سبيل الله باموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة
مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان
القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء
بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك
واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة
المفضول وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استئناف
مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته
وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقديم ما لهم لا يستوون
فانما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء سوقا لاثباته وفيه تكلف ظاهر فان الذي
يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما
فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فتقييد كون الجهاد في سبيل الله

معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل
اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين
اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر
تاكيداً للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى
وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة
اعتراض جيء به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل
وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما
عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على انه
بمعنى آجر واثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم
او مفعول ثان له لتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل
هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين
لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة
قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس
الجواد المضمر سبعين خريفا قال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رض ان النبي عليه السلام
قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض
ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم
تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي
مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد
من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار
فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة و
تقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه اللام ويستدعيه
حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف
الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين
على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان هذا اللون البعيد منهما مبهما كان
القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين
وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا
من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة
من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد
بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط

بينهما في الذكر لما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية
المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فلم
يساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من
لا يقول بذلك فلا ولانه لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله عليه السلام لقد خلفتم في المدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم
وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة
لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة حبسهم
العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه
من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين
بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين
توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون
ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على
حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع
وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها
ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى
على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة
وثاني عطفه اي محلين صيد وبالغ الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة
واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم
واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار
الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة
عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة
واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب
العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم
تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم
ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن
الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم
وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة

بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم
اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك
الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماويهم اي في الآخرة جهنم كما ان ماويهم في الدنيا دار الكفر
لتركهم الفريضة المحتومة فماويهم مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان
والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترط
او هو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه
وبما في حيزه من قوله تعالى قالوا كنا الخ وقوله تعالى قالوا الم تكن الخ وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم
وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب
كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له
الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام الا المستضعفين استثناء
منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء و
الولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك
او المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها
غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب عليهم كما بلغوا حتى كانها
واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى
امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام
ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف
واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر
اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله
ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد
تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا
وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا ترغيب في المهاجرة وتانيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب
لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم
انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج
من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج
بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله
من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا
فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله

صلى الله

لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست
من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة
فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد
او نحو ذلك وهي هجرة الى الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله غفورا
مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج
رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة
عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة
وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به
المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال
قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء
لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا
تقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا
كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر
معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي
الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار
وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة مسيرة
ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي مسيرة يومين وظاهر الآية
الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر
وعن عائشة رضي الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا
يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة
ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر
رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس رض خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
فكان يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان
عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اربع ركعات
استرجع ثم قال صليت ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه
بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن تمامه بانه
تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه مع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة

صلوة

حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيدت في صلوة الحضر واما ما روي عنها
من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث صلت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح
لما انهم الفوا الاتمام وكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم
ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع
ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رح وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم
جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده في صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق
القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيتها حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر
الطحاوي في شرح الآثار بسنده الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما
قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس
فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق لا يحتمل التمليك اسقاط
محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهمن انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل
على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده
والا بقي على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الادلة الواضحة واما عند
القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدمه اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا
مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق
مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر
فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف و
بالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه
مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال
بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين
من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في
مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة
مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه بما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية
ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم
ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام

كانه

كما في قوله خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك
بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن
سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة
منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به
لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ
للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة
فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد
وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك
الركعة الباقية ولم يبين في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة
حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف
صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الآية ثم جاءت طائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة
العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى
بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر
بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي عليه السلام
في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال
بالصلوة
مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا
لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور
والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم
شدة واحدة والمراد من الامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم
في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل
وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو واحدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله عليه السلام
لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه السلام وبين اصحابه
فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك
ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه
وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل
ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ل
ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله واني محمد عبده

ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك
منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر
باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا بامور كم ولا تهملوا في مباشرة
الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه
نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة
الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا على
ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف
وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها
بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء
الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح
فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي
وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى
فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروح وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر
ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في
طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون
من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك
بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله
من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة
اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله
عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب
حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق
درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد
بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا
اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته
وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة و
ارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل
مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل

دعه فانه قد لجأ اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم
وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير
فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحي به اليك ولا تكن للخائنين اي
لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبراء
اي لا تخاصم اليهود لاجلهم ومن النهي معطوف على امر يستحب عليه النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا
تكن الخ واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما
لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه
فانهم شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها
اثيما منهما كافيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس
لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من
ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه
وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله
بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء
تلوين للخطاب وتوجيه اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ
والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا
ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلة له والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى
هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ
عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل
سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعله طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب
وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة
الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب
لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لاثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر
ومن يكسب اثما من الاثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن
تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة
في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه
من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان
عن عمد ثم يرم به اي يقذف به وتنسبه وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب
الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول

عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبة العاجلة كما فعل طعمة بزيد
فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه
لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة
لاثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا
على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارتان عن امر واحد هو رمي البريء بجناية
نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي
البريء بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما
فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه
ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم
واثم لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لا لانضمام جنايته المكسوبة
الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا
لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء
واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس
تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى
رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلامك بما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من
بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس
وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا
نكسر اصنامنا ولا نعشر فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع
علمهم بحقيقة الامر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفي انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره
بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك
وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاقتصار
وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف
عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر لانه تعالى عاصمك
واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة
على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد
بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من
امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرئاسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي
الناس الا من امر الا في نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز
وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى

لكن من امر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف
الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد
بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز
في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف
هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا
وتقرب بينهم اذا تباعدوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي
الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر
فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني
الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان
ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي
هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن
الامر ومبجه حسن المامور به وقبحه فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه
تحريض للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتب الوعد
على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها
واستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات
وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات
وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة
لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير
سبيل المؤمنين الى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى
اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله
جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة
على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره
فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي
ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني
لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على
الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى
فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة
وابعدها من الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه

الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه
ان يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا هي اللات ومنات ونحوها عن الحسن انه لم يكن من
احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل لانهم كانوا يقولون في
اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في
الاصل الجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه
على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا
على انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع
وثن كقولك اسد واسد واثنا على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون
وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت
طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد
وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطان وقال لاتخذن من عبادك
نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول
الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل
بان ما يعبدونها منفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل
عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك في الغي
لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله
فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم
فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض
من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان
لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري ويشقنها
من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن
ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد
والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان
الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم
والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار
ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع راس
ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجز ويمنيهم اي الاماني
الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول

لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده
والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه
من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى مأواهم مبتدأ ثان وقوله تعالى
جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا
عدل وقيل خلص ونجا وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا
اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه
لا يعمل فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدأ وخبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة
اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة
الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب
وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر
ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل
مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز
وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب وانما يحصل
بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها
للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف
وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل
وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى
بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت
وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة
ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا
ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض
اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزا
لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
اي بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان او من الصالحات ومن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في

استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة اليهم بعنوان اتصافهم
بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من
معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة
وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب
اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى
كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لله تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل
اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره الى الله تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن
فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف
المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه
اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على
التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة
جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت
بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل
اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقوله حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة وهو
حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره
عليه السلام في موقع الاضمار لتفخيم شأنه والتنصيص على انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة
من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو
الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض
جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان
يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو اليه حدق الامم قيل انه عليه السلام بعث
الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها
للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها
الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم القصة
فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر
فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من
اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله
ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان
جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا
وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه اليه

لم تكن تراه فانه

لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم
بوعده والجملة اعتراض وعدم احتياجه سبحانه الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار
خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن
رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا
يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقهرا وعلما وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على
الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم
مما يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية
لا في حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما
سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله
يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى
والى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ
او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار
التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه
ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة
مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب
مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول للمتلو وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على
القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب
فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم
في شأنهن وعلى الآخرين بدل من فيهن والاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ
ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره
وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن
بتأويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا ان يراد
بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن
بغير اكمال الصداق وذلك لما روي عن عائشة رضي الله عنها من ان اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في
مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال
الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك لما روي عنها رضي الله عنها ان اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها
فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها
اشركته في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته
فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى
اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم على الوجه الباطل

صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما
لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث
من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى
بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم
الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصى هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على
تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل
اي يامركم وهو خطاب للولات او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير
حسبما امرتم به او وما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله
كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في بيان ما لم يتبين فيما سلف من الاحكام
اي ان توقعت امراة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها
او اعراضا بان يقل محادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما
حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة
بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان
تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من تصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا
اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم
المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور
اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس
من جانبها الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي
والآخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير
من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي
جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل
يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر
الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المراة على
بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع من قبلها
بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز و
الاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن
الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه
ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي
خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن

نفسه فان ذلك يستدعي التنادي
في المماكسة والشقاق بل
بالنظر الى حال صاحبه

كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة
ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما
علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك
وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها
فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي
فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما
الى جانب احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه
فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك
يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا
كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة
العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي
ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له
امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن
وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته
وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما
من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه
وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله
واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات والارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم
وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن
متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان
اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول
فقوله تعالى وان تكفروا فان الله ما في السموات والارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم
ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اي امرناهم
واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة
واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا
فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة
عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك
بقوله وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر
بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقويهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات

وما في الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت المقول المحكي اي له سبحانه
وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا
في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ يذهبكم ايها الناس
اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت باخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة
محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه
من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم
لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة
مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب من الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد
ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت
بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى
انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا
يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في
الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر
عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق
تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة
على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه
او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين
اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه
او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف
لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى
بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان
يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم عن
شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي
اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها رأسا فان الله كان بما تعملون من الامور
والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو على
القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب

لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم
اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان
بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من
الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب
ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها
بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة
ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث
انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة
وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام
وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نؤمن بك وبكتابك
وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب
المتناول للتوراة مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات
عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض
بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم
السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما
يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون
بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين
فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة
الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع
الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكلية وتقديم الرسل فيما سبق لذكر الكتاب
بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل
وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم
العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد
وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا وتمادوا في الغي لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان
فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء
وادونه لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم

نزل على رسوله والكتاب الذي

وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا
في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم
الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل
نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا
متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم
فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال وبيان لخيبة رجائهم لاطماعهم الفارغة
والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي يطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل
اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا
تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد
العزة في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط
محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله
لاعتماده على المبتدا وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي
يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال
من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا
ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم
للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل
تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك
قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم
في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف
عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر
بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان
المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم
هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض
اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم
بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستانفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت
التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه
كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع
وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب

على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم
في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع
ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا
اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون
بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبايحهم وهو اما
بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب
على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح
من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس
التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في
الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم
نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم
ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما
اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين
وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب
واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او
في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدا
سيق لبيان طرف آخر من قبايح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه
والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم
في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا
كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان
يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري
غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون
بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن لها او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن
اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل
او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل
وقليل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل
يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام
اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين
مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما

كما جاء صلصل يعني تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة
وكان المعنى أخذتهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين
ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير
مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية
والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن تهديه اليه والخطاب
لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين
نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير
أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي تريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون
متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته
فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم الخ ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا
الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان
صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ
مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ
بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه
والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر و
اصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا
دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين
اي المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم
في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استئناف مسوق لبيان مدار
تعذيبهم وجودا وعدما انما لكفرهم لا لشيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما
استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ايتشفى به
من الغيظ ام يدرك به الثأر ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني
المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب
لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه
من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط
محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضاء باليسير من طاعة
عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها

لبيانه
هو

شكركم

شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشيء
كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد
بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره
بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم
ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت
وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى
فيجهر بالسوء وكان الله سميعا لجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع
المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا
اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء
والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه
بطريق التشبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض
جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على
المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى
وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا
قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه
رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان
يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما
يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت
اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله
وتفريق بين الله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي
من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقيقة دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر
بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك
ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما
قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم
الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد
لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا
كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر
ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا
سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا
بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه

فالجملة هو

اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم والتصدير
بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما بالقاء الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام
وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا
الينا باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصودهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن
ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب
شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وقيل تعليل للجواب
اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسئلة وان صدرت عن اسلافهم
لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك
عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه جهرة
اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي
جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضا وفلق
البحر وغيرها لا التورية لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا
احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا
عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفوا عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث
امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب
ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور
فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل
فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا
غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب
قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية
وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا
اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ
لا تعتدوا ولا تعدّوا بفتح وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج
وبعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذ
الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم
باي انواع العذاب الذي اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها

والباء

والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ
روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا
على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم
انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متاخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون في صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل في جاره وكفرهم بايات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا و
وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه
الصلوة والسلام او هو تخفيف غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته
ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه
الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا
بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع
عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا
لا يعبأ به وبكفرهم اي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما
بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل
هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى
ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره
حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله نظم قولهم
هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل
النبي والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع الذكر
الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا عليه السلام
ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك
وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره
الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب
ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق
عيسى صلى الله عليه وسلم فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه الصلوة والسلام
فرفع عليه الصلوة والسلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه
عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى
عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة
وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع

وغيرها من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم صح

لعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولانبائهم على ذكرهم له عليه الصلوة والسلام صح

الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوه على الناس واظهروا لهم انه هو
المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند
الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال
لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم
مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اى في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا
عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني
الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا
اى قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه يقينا كما في قول من قال كذاك
تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا
تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله
اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل
فيها تدبيره تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اى من اليهود والنصارى
وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني
والاول لعيسى عليه السلام اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه
بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم
بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه
رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع
قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في
نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه
ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا
فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه
عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت
حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم
هنا وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل
كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به
قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به
حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامنة حتى ترتع الاسود

مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله
عليه وسلم ويوم القيامة يكون اى عيسى عليه السلام عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود
بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا
لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا واتابوا من عبادة
العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي
اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها
يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم
وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه وتعالى ويقولون لسنا باول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عز وجل
في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية
قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اى في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه
السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا
فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اى ناسا كثيرا او صدا كثيرا
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه
المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما
سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم استدراك
من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اى لكن الثابتون في العلم
منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام
واصحابه والمؤمنون اى منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم
بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي
وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم
وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وجل والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره
واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على
ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة قال مكي اى
ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقيل عطف على الكاف في اليك اى يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم
وهم الانبياء وعلى الضمير المجرور في منهم اى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة
وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي

فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما
كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما
بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون
للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك
ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس
عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان
يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة
الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما احد اغير من الله عز وجل ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى
لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام
متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها
وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على وجه
الذكر ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول
المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على
السنتهم متعلق بالحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظرف يوصف بها الاحداث كما يخبر
بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته
الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين حكيما في افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب
فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام
انما هو لتفاوت طبقات الامم والاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى
براهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم
ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما يستدعيه
الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم
ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد لا يتعلق به التكاليف
فيتعلق على المكلف ثبوتها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية
اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد
النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال
واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا قيل انهم
لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والباء
صلة للشهادة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل
قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه

الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس
الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال
من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله والملائكة يشهدون
اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون
بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة
مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزل الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به
وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين
الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا
بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا
وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها
او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة
بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة
التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى
لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم
اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق
الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها
ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها وقوله
ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم
خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها
الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل
تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شأنه عليه السلام
في امر الوحي والارسال كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد
ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريقة الالتفات بالخطاب
بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة
قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من
ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم
والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن
ابتدائية متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم
الحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان

بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء
في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم من الحق
وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي
اقصدوا وائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي آمنوا
ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي و
ابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات
والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده
او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل
خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم
لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك
فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك
علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم
يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال
لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط
رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق
اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك
انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على
صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة
لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة
لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة
لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة
القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها
بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم قيل الجملة حال من
ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها
وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه
ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا
نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل
على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا
فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة
بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام

لكون النفخ بامره سبحانه وتعالى وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القرآن
لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد به الروح الوحي الذي اوحي الى مريم
بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما
كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى
في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل
للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله
اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصف الالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة
اي الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث
خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ
واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الالهية سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له
ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه
عن امثاله ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستأنفة
مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شيء من
الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم
الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح اي لن يأنف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي
عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب
الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل
عليه احواله وتفصح عنه اقواله الا ترى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا لوقوعه موقع الجواب عما قالت الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال
انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام
عبد الله تعالى دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام
عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم
الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى
فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف
عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي
ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج
الى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقال مساقه
لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف

عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليهم السلام واجيب بان مناط كفر
النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر
افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه
عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام
وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه
الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية ليست للرد على
النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما ذكر وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى
فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل
كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر
الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة
من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد
الجنسين على الآخر مطلقا وهل التشاجر الا فيه ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل
جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم
طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى
لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلام سوى امره تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر
لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بمعنى عد نفسه كبيرا
او اعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون
حصول المطلوب وقد عبر عن ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها
ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس
هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المبني على توهم لحوق العار والنقص
عن المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم
استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا
على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر
للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله الآية مع
عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما العقاب للآخر ضرورة شمول الجزاء
للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وغيرهم
وقيل المعنى فيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريقين المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان

حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان
الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله للتنبيه على انه المستتبع
لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله
بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
واما الذين استنكفوا اي عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم
عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم
ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب
وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم
بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة
وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم
اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على
المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام
التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه
وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم
او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها
تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه اليهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا
اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه
آنفا واخرى بالنور المبين بنفسه المبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق و
اخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين
تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه
المبني عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به احد ويجيء
على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا
له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات
لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه
عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق
فالامر هين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله
عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله
بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف

هم

بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاغراء وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر
غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة فاما الذين امنوا
بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا به اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره
فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم
بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف
وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته
صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة
على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد
الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول الفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا
مستقيما يستفتونك اي في الكلالة استغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة
وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يروى انه اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل
كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي الله
عنه انه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب من وضوئه
علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف
مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل او حال
من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلالة نفي بظهور الام ودلالة تفصيل
الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله تعالى ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست
لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اي بالفرض
والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة
ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها
اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها
وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب
السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما
الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى وقيل وفائدة الاخبار عنها
باثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر
والكبر وغيرهما وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة
والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر منهم مثل حظ الانثيين
يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق
رضي الله عنه قال في خطبته ان الآية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها
في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة

والاخوات

والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم
اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهو
راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي
ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي
لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احدكم
على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصا فيما
ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ وقيل
ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان
بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطاء والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك
والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم
فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك
وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون اية اجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد
هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده
عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على
وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم
فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز و
افرادها لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في
سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان
حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار
بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها
فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار
العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عند ما فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام
اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي

الصيد اى الاصطياد فى البر او اكل صيده ومحله النصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير
حرمته عملا واعتقادا وهو شائع فى الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اى محرمون حال من الضمير
فى محلى وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها
الظباء ونظائرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند
احرامكم واما على التقدير الاول ففائدته اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليها
فان حرمة الصيد فى حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام
مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها فى بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفى اسناد
عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد
حال احرامكم مزيد تربية الامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما
يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما فى ذلك من وصفهم بما
هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها
ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب
عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التى سيأتى بيانها يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذى هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان
حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب فى احلالها وهى جمع
شعيرة وهى اسم لما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى
والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر واحلالها
ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث فى اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج
وقيل المراد بها دين الله تعالى لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل حرمات الله وقيل
فرائضه التى حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام
اى لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسىء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل
الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدى بان يتعرض له بالغصب او بالمنع
من بلوغ محله وهو ما اهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدى وجدية ولا القلائد
جمع قلادة وهى ما يقلد به الهدى من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له والمراد النهى
عن التعرض لذوات القلائد من الهدى وهى البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية
بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا
او النهى عن التعرض لنفس القلائد مبالغة فى النهى عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها
فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة فى النهى
عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اى لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن
ذلك باى وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اى قتال قوم او اذى قوم آمين الخ وقرئ ولا
آمى البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن

فى آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين زيارته حال كونهم طالبين
ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل
او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه اى فضلا كائنا من ربهم ورضوانا
كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم
وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة ح حال من ضمير المخاطبين فى لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة
حالهم هذه للمنهى عنه لا تقييد النهى بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف
عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفى ذلك من تعليل النهى وتاكيده والمبالغة فى
استنكار المنهى عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه
تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة
من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن بقوله ليس فيها منسوخ
وعن ابى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون
خاصة لانهم المحتاجون الى نهى المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم
ثبتت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت فى الحطم بن ضبيعة البكرى وقد كان اتى المدينة
فخلف خيله خارجها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وحده وعرض ان يأتى باصحابه فيسلموا
ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان فى العام القابل خرج
من اليمامة حاجا فى حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى فسأل المسلمون
النبى صلى الله عليه وسلم ان يخلى بينهم وبينه فاباه النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق
بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى
الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه
تعالى لكن لا بعد فى كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة
لا سيما فى ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم
فى الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن
حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام
وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ بقوله تعالى
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب فى تناول الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا
واما اشتراكا لما سيأتى من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم فيتعين النسخ كلا او بعضا
ولا بد فى الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل
اى الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون
الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروى ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا

تصريح بالاشعار اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر بعد الحظر كانه قيل
واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل
عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن
احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في
المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه
خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول
من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم
بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما
قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان
صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين
للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم فقد ابرز الصد
المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون ووقوعه الا على سبيل
الفرض والتقدير ان تعتدوا اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد
الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم
واعانة لهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن
المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا
للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال
للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به
نهي مخاطبه عن الحضور ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور
تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به
بل هي باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق
الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون
امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى
فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن
التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي فقال تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج
فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا
فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة
الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو
تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها
مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى

ان الله

ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من
ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات
التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح
منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم
من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم
باسم اللات والعزى والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب بالخشب
ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو او الى بئر فماتت والنطيحة اي التي نطحتها
اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون
الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم
الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع
والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب
وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم
عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام ومعنى البعد فيه
للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج عن الحد فانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه
طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو
الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم
اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات
على العضباء وكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت وايا ما كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله
يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان
يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب
بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون اي واخلصوا الي الخشية اليوم اكملت
لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول
الشرايع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم و
مصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت
لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر اي اتممتها بفتح مكة
ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان
او باكمال الدين والشرايع او بالهداية والتوفيق قيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي

وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح
على الانصباء المعلومة
الا ان المستقسم بالازلام

عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت
لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اى آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى الآية قال عمر رضى الله عنه
قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى انزلت على النبى عم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضى الله عنه
الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروى انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال له النبى عليه السلام
ما يبكيك يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شئ الا نقص فقال عليه السلام
صدقت وكانت هذه الآية نعى رسول الله عم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر
متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق و
حرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى اى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه
المحرمات فى مخمصة اى مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم غير مائل
ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله تعالى غير باغ
ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع فى تفصيل
المحللات التى ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها
ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة
لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر حال المحكى عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكى
فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤل ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اى ما لم تستخبثه
الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما فى قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم
من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اى وصيد ما علمتموه
او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا
والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره
المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا
مكلبين اى معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب
كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام فى حق عتبة بن ابى لهب حين اراد السفر
الى الشام فغاظ النبى عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على
الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير فى علمه وقرئ
مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استئناف مما علمكم الله
من الحيل وطرق التعليم والتأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه
او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك
الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون
ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها واما على تقدير
كونها عطفا على الطيبات فهى جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف المقدر

الذى

الذى هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره وادخله تحت الامر
فى الفاء فيها كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل
كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة
بامسكن اى فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذى لم يأكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه
على انفسهن لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه
واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل فى سباع الطير لان تأديبها الى هذه
الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روى عن سلمان وسعد بن ابى وقاص
وابى هريرة رضى الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقى ثلثه وقد ذكرت اسم الله تعالى فكل واذكروا
اسم الله عليه الضمير لما فيما علمتم اى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اى سموا عليه اذا ادركتم
ذكاته واتقوا الله فى شأن محرماته ان الله سريع الحساب اى سريع اتيان حسابه او سريع تمام
اذا شرع فيه يتم فى اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم سريعا فى كل
ما جل ودق واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات
قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتأكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه
حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اى اليهود والنصارى
واستثنى على رضى الله عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها
الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعى رضى الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم
اى حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم
صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء
ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون
اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى
نسائهم ولا آكلى ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو
حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما
تقدم عليه اى حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر او العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على
ما هو الاولى لا لنفى ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف
منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابى حنيفة رحمه الله خلافا للشافعى رحمه الله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس
لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اى مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث
على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف
جوابها اى اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم محصنين حال من فاعل آتيتموهن اى حال كونكم اعفاء
بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اى غير مجاهرين

بالزناء ولا متخذي اخدان اي ولا مسترين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وسوآءا مجرور عطفا
على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على محصنين باعتبار
اوجه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرايع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام
المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمل قبل ذلك وهو في الآخرة
من الخاسرين هو مبتدا من الخاسرين خبره وفي متعلقه بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل
محذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف
لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته
حتى اذا تمعددا كان جزاي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرايع
المتعلقة بدينهم بعد ما بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها
كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها
مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها
او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب
الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي
ان النبي عليه السلام صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت
شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى
غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال و
اشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء رضي الله عنهم
من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا
كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام
المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها
ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك
قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها
في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت
القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن
بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها
احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية يقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي
الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه
الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه لو قيل وامسحوا رؤسكم
فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما ينطلق عليه

الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله عليه السلام حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع
الراس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده
السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر
على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته
التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم
جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة
الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى
مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الآية
الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة
ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق
في الامتثال به ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام
للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص
لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة
لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه لعلكم
تشكرون نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل
وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح
وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتيهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول
الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم
بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه
عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور
في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته
بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذ على المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره
وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه
صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام
واتقوا الله في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا

ان الله عليم بذات الصدور اى بمخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها
فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل
فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا شروع
فى بيان الشرائع المتعلقة بما يجرى بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله
مبيتين للاوامره ممتثلين بها معظمين لها راعين لحقوقها شهداء بالقسط اى بالعدل ولا
يجرمنكم اى لا يحملنكم شنآن قوم اى شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا فى حقوقهم
بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا
وغير ذلك اعدلوا هو اى العدل اقرب للتقوى الذى امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه
بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل فى حق الكفار
بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه فى حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء
بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير
هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل فى المشركين وهذا فى اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا
وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد
لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التى من جملتها العدل والتقوى
لهم مغفرة واجر عظيم حذف مفعوله الثانى وعدا استغناء عنه بهذه الجملة فانه استيناف
مبين له وقيل الجملة فى موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا باياتنا التى من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى
اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة
من السنة السنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة
بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر
اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذى هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله
او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثانى لما تعلق به
عليكم فى وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اى بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال
بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد
بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم فى قوله عز وجل هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا للمبادرة الى بيان كون
المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التى
اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام
النعمة وكمالها واظهار ايديهم فى موقع الاضمار لزيادة التقرير اى منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم
بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة

بضرر الخوف والانزعاج الذى قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى ان المشركين
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان فى غزوة ذى انمار وهى غزوة ذات
الرقاع وهى السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركين
الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هى احب اليهم من آبائهم وابنائهم
يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة
الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلى
رضى الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونطعيك ما سالت فاجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به
وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبرئيل عليه السلام
فاخبره فخرج عليه السلام وقيل ما روى انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه فى
العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابى فاخذه
وسله فقال من يمنعك منى فقال عليه السلام الله تعالى فاسقط جبرائيل عليه السلام من يده فاخذه
الرسول عليه السلام فقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واتقوا الله عطف على اذكروا اى اتقوه فى رعاية حقوق نعمته فلا تخلوا بشكرها او فى كل ما
تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اى عليه تعالى خاصة دون
غيره استقلالا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم فى ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة
تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل
على المخاطبين بالطريق البرهانى وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع
الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل كلام
مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بنى اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما
ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة
حق الميثاق الذى واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه
على تقدير كون ذلك من بنى قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم
قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل
الخطب فى نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعى للانقطاع عما قبله
والالتفات فى قوله عز وجل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا للجرى على سنن الكبرياء او لان
البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتى وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل
مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا فى البلاد وسمى بذلك لتفتيشه
عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روى

ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها و
جاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا
على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني
اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا
وقد نهاهم موسى عليه السلام عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب
سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام
قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف
وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وكان على راسه حزمة
حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين
يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة
رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا
عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رايهما فاخذ
بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم و
قر جمل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع
وكان معسكر موسى عليه السلام فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل
فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد
فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى
عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب
الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله
اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات
مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا
بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته
مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى
اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك بها وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد
وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل
وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام
موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة
عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة

بالصدقة

بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير و
الثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او بالصدقات
المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله فتقبلها
ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقروض وقوله
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول
ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب
بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد
العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث
لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن
رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف
بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطا خطاء فاحشا
لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم
المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم
قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد
بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية
الشيء البسيطة على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك
ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتاثر عن الآيات والنذر وقيل
املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت
كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي
ردي اذا كان مغشوشا ليبس في خشونته وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم
عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قسوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام
الله تعالى عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من
مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على انها
مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء
للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية

اى على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية بعضية وفى المعنى
ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال
ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور فى منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة
على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من
خائنة على الوجه الثانى فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اى الا فعلا قليلا كائنا منهم
فاعف عنهم واصفح اى ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية ومطلق نسخ بآية السيف ان الله
يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود و
جناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار و
المجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع فى ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا
فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع خبر المبتدأ
محذوف قامت صفته مقامه اى ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم
راجع الى الموصوف المقدر واما فى الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بنى اسرائيل اى اخذنا
من هؤلاء ميثاق اولئك اى مثل ميثاقهم من الايمان بالله تعالى والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال
الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم فى قولهم
نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى فى شىء او اظهارا لكمال
سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعى ثباتهم على طاعته
تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به فى تضاعيف
الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم فى الانجيل من ان يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا
نسطورية ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اى الزمنا والصقنا من غرى بالشىء اذا
لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا
من مفعوله اى اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل
فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء والعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون
الى يوم القيامة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث
فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اى اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك
بما فعلت اى يجازيهم بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به و
سوف لتاكيد الوعيد والالتفات الى ذكر اسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد
والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم فى ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون
حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها فى افادة العلم

بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل
للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر
على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة فى التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل
بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم
رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا
وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اى قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا
لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى التورية والانجيل
كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام فى الانجيل
وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق
الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لاسيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس
مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان فى المؤخر ضرب تفصيل ربما
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة
اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من
العائد المحذوف والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء
اى يبين لكم كثيرا من الذى تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذى انتم اهله والمتمسكون
به ويعفو عن كثير اى ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية
صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث
لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة فى
حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة
مسوقة لبيان ان فائدة مجىء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل
له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع
حالا من نور واياما كان فهو تصريح بما اشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجىء من جهته العالية والتشويق الى
الجائى ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما فى قوله تعالى وجاءك
فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتعظيم والمراد به وبقوله وكتاب
مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفى على الناس من الحق او
او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد
بالاول هو الرسول عليه السلام وبالثانى القرآن يهدى به الله توحيد الضمير المجرور
لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما فى حكم الواحد او اريد يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة

ثانية للكتاب او للنبي عليه السلام لجلالة منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة
او موصوفة سبل السلام اي طرق السلام من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تعالى
وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على
طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يتعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات
اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم
الى صراط مستقيم هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى
سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله فلما جاء
امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه
تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه
بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا
ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا
لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر الفاء
في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط
والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من
قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها ان اراد ان يهلك المسيح
بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من
شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء
منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه
والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق التحفظ والغضب واظهار المسيح على الوجه
الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها
داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق
الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد لتحقيق
الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء
المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ
وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التبكيت
بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار
كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن
دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه
اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها

في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق
هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية
من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن
في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله ولله ملك السموات
والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط
فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل
تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك
جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا
ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى
يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح
ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب
على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات
والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من
الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام
او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط
مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير
ذلك فيجب ان ينسب كله الى الله تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر
عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع
ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك
عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة
من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه
وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا
ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا
يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اي الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا
بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما بعدد ايام
عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله
تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اي من

خلقه الله تعالى من غير قرابة لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا
به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك
السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية
والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا
فاني لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي
كلا من المحسن بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب
بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثار علي
مبنيا لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن
جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي من اخبار الامم السالفة
وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيانه او يفصل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون
فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
كما قيل فيمنع كونه تقريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال
وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق
بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال
وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير
يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج
ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدأة من
جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا
معتذرين عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست
آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير
ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقضي بان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما
كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف
ينبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا
بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال
تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف
نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة
وخمسمائة وتسع واربعون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء
على ما روى الكلبي ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل
لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم
اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي
دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة

والمسيح

لانم

وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه
جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية
نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي عليه السلام
ببيانها بقوله تعالى يبين لكم كثيرا الآية ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ
نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب
وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم
وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات
للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا
بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف
وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم
وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله
او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء
ذوي عدد كثير واولي شأن خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل
من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم
ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور
الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند
المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة
من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه
ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له
بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم
الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء
بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض
هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين
وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام
التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى
لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين

فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة
قطعا اى لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا او
ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا
نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى قوله تعالى
فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهى والخسران خسران الدين و
الدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل
فماذا قالوا بمقابلة امره عم ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتيسر مناصبتهم والجبار العاتى الذى يجبر الناس ويقسرهم كائنا
من كان على ما يريده كائنا من كان فعال من جبره على الامر اى اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب
التى لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق
من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها
ليس الا لمكانهم فيها واتوا فى الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول
وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفى الامتثال بالامر قال رجلان استيناف
كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون
اى يخافون الله تعالى دون العدو ويتقون فى مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضى الله عنه
وفيه تعريض بان من عداهم لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اى منهم
فى النسب لا فى الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا من النقباء وقيل رجلان من
الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام قالوا وحينئذ لبنى اسرائيل والموصول عبارة
عن الجبابرة والى هم يعود العائد المحذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة
من قرأ يخافون على صيغة المبنى للمفعول اى المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اى
من الذين يخافون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اى بالتثبيت وربط الجاش
والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل
حال من الضمير فى يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اى قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا
عليهم الباب اى باب بلدهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى
الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فاذا دخلتموه اى باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة
الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم
واهجموا عليهم فى المضايق فانهم لا يقدرون على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من
جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى فى نصرة رسله وما عهدا
من صنعه لموسى من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا
بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير

ان

ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه اهتماما قالوا
استيناف كما سبق اى قالوا غير سالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم
على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها اى ارض الجبابرة فضلا عن
دخول الباب وهم فى بلدهم ابدا اى دهرا طويلا ما داموا فيها اى فى ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او
عطف بيان فاذهب انت وربك فقاتلا الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اى فقاتلاهم
انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة
كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته
فذهب يجيبنى كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك
يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم
او لم يعبأوا بقتالهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم
التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن
والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب
انى لا املك الا نفسى واخى عطف على نفسى وقيل على الضمير فى انى على معنى انى لا املك الا
وانى اخى لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير فى لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه
واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن
طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد
بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها
لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا
وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا للمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا
يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم
فى هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقى حسبما روى ان موسى
عليه السلام سار بمن بقى من بنى اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها
واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما
دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين فى الحقيقة تحريمها على ذرياتهم
وانما جعل تحريمها عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون فى الارض
اى يتحيرون فى البرية استيناف لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق
بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين
فرسخا وقد تاهوا فى ستة فراسخ او تسعة فراسخ فى ثلثين فرسخا وقيل فى ستة فراسخ فى اثنى عشر
فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم
من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم

واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ولم تبل الثياب عليهم مع انهم معاقبون
لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى عليه السلام وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما
روحا وسلامة كالنار لابرهيم عليه السلام وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون
مات في التيه ومات موسى عليه السلام بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر
ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد
ان ينجي بعض المدعو عليهم او دراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح
وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال انهما
كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين
روي انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك
لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه
تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به
من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل
بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة
قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة
آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل يتزوجها ففعلا فنزلت نار على
قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق
بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او من
مفعوله اي ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا قربانا
منصوب بالنبأ ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف
اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ
والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده
لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل
قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو
قابيل قيل هو كان صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه
فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي
والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه
لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين
لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما اوتيت من قبل نفسك
لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا
له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه

على

على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم
الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل
جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة
بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان
استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها
فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية
تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد
اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما
اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله
اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده
ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك
عني فما ظنك بحالك وانت البادئ العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان
هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا
حينئذ وقيل تحريا لما هو افضل حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة
المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم
عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي
لك وامتناعي عن التعرض ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط
يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم
اي على البادئ عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم
قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة
اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه
لا يرعوي عن المعصية ويأباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب
على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها
العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب
النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه
عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اجداه
ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته

وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى مقالات هابيل مع تحقق
قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي
العقوبة وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع
جديد كانه في قوته وعظمته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل
ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت
بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما
سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه
الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله
قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع راسه على حجر
ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه
وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله
فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله على ظهره اربعين يوما وقيل
سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوأة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره
ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول
متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري
والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت قال استيناف مبني على سؤال
نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة
جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضري فهذا اوانك والويل والويلة
الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي تعجب من عدم
اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع
اي فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله آدم عليه السلام عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة
لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار
قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها
وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من
جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين
مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك

بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم
المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله
مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا
جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه
واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء
فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر
اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا
واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي
فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك
من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب
بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين
المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين
بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد
الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما
حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحققه تحقق احد شيئين
مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط تحققه تحققهما معا فنقيضه مشروط
بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب
الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب
الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما
كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه
في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو
انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة
او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل
جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو لا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى
لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء او ثوب صحت صلوته فحيث
كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت
صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي
فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته
اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما
فكانما قتل الناس جميعا فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقط بعد عن توفية النظم الكريم حقه
وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه

اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل
وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم ومن احياها اي تسبب
لبقاء النفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها
عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا
وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة
به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته
ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرر ما بعده في الذهن
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتاكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية
بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه
ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالايات
الواضحة الناطقة بتقرر ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة عليه
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى
وتجديد الامر بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته
وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله
تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط الكلام بينه وبينهما لان اللام
الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي
حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون
في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان
الاحياء وجودا وذكرا وكان اقبح الامرين وافظعهما اكتفي بذكره في مقام التشنيع
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع
القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل
اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشترطه اجمالا من الفساد
المبيح للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده
عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام
فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود
النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج
في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما
لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل

المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض عطف على يحاربون
والجار والمجرور متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون
اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون
على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال
بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله عليه السلام على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم
يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت
في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما
كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال
ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت
لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير
صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين
ان يكون القتل بآلة جارحة اولا او يصلبوا اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ
بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان
شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة
التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة
دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه
او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس
فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة
الامن وعند الشافعي هو النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي من بلده
فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك
اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدا وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على
المبتدا وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية
والجملة في محل الرفع على انه خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في
الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل
والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله
لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه
في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم

استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق
الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة
وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع
الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم
شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر
المؤمنون بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها
ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد
والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه اي الى ثوابه والزلفى منه
الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر
حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة
لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة ح جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد او مطلق الوسيلة
وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات
وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة ار
عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة
لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد
وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل
انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب
فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ
لا لجميعهم اذ ليس في ذلك حسن المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف
اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف
خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند
والمسند اليه وقد اختصت من بين سائرها بحول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف
ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كون ما في
الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل
مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه
ومثله بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى
الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة
الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيدا لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في
قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر
عند من يرى تقديره الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن نحا نحوه ولا بد

في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة
بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم
الاشارة كأنه قيل بذلك كما في قوله كأنه في الجلد توليع البهق اي كأن ذاك وقيل هو راجع الى
الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله فاني وقيار بها
لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب مثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل
المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع
للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة
لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه
قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قولهم ما
لك واياك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة
متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم
من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم
لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه
لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض قدرتهم على
ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى
انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فأتى به فرآه
فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليهن ورؤيتهن له والجملة
الامتناعية بجملتها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم
منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارأيت
لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك
وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم ار
لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته ومحله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر
ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استيناف
مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف
يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب
النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك
يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها
اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال
من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية
الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها
فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته

ودوام النفي لا لنفي الدوام كما في قوله تعالى ما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج
ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه آنفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق
والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء
الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة
ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شأن الرجال
بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدا خبره عند سيبويه محذوف
تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى
فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والذي سرقت وقرئ
بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة
اخذ مال الغير خفية وانما يوجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم
فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى
كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك
ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق
فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي
يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني
باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر
بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل
القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة
فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب
معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل
الله بغيا ان ينزل الله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه بغيا على
ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي
نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه
ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه
الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو
سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته
واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب
عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق
منه وتسقط عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك
يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة

وكذا

وكذا في قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام
ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وهي مع ما في
حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام
الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب
والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر
المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء
واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان
يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما
من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان
والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع
الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب
عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى
الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون
في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها
كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك
يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير
عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة
نهي له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب
الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه
النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد نهي مخاطبه
عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون
يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه بسرعة اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة
وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف
على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان
المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب
خبر لمبتدا محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا

نحي بعموم الوعيد الاثم ومبادية للكل كما ستقف عليه وكذا اجمل قوله ومن الذين هادوا خبرا
على ان قوله سماعون صفة لمبتدا محذوف اى ومنهم قوم سماعون الخ لاداته الى
اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم
فالوجه ما ذكر اولا اى هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى
القبول واما لام كى والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماعون للكذب او فى
قبول ما تفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم و
احاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس
واحاديثهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو
ذلك مما فيه ضرر بهم واياما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهى فان كونهم سماعين
للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما
يقتضى عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما ياتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم
واضمحلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزى والعذاب كما سيأتى
وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدا
المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام فى مثل سمع الله
لمن حمده فى الرجوع الى معنى من اى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم آخرين واما
كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم
ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثانى مكرر للتاكيد
بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم ياتوك صفة
اخرى لقوم اى لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء قيل هم يهود خيبر
والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا
اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم فى الراى والتدبير ثم بعدم حضورهم
مجلس الرسول عليه السلام ايذانا بكمال طغيانهم فى الضلال ثم باستمرارهم على التحريف
بيانا لافراطهم فى العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب
الذى سمعه السماعون اى يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده وقيل الجملة مستأنفة
لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدا محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى
يقولون كالجملة السابقة فى الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز
كونها صفة لسماعون او حالا من ضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول
ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره وكيف
يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحوم حوله عليه السلام قطعا وادعاء
قول السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم ولكن

الذى

الذى لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اى يقولون لاتباعهم السماعين لهم
عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم
غيره فاحذروا اى فاحذروا قبوله واياكم واياه وفى ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء
المحرف من المبالغة فى التحذير ما لا يخفى روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان
وحدهما الرجم فى التورية والا فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبرائيل عليه السلام
اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور
يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض بما انزل الله على
موسى بن عمران فى التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال النبى عليه السلام انت
ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم ارضوا
به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى
فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم
الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن
قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان تحرقنى التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت
لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل
فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذى انزل التورية على موسى
هكذا انزل الله فى التورية على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل
علينا العذاب ثم سال رسول الله عليه السلام عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى العربى بشر به المرسلون وامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اى ضلالته او فضيحته
كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال
ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها والجملة
مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة
الى المذكورين من المنافقين واليهود وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى
الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اى من رجس الكفر وخبث
الضلالة لانهماكهم واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية
بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة فى الكفر اولا وشرح فنون ضلالتهم آخرا والجملة استئناف
مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى
ابتداء لهم فى الدنيا خزى اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما

فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية
وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا
الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم
في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة
التقرير والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة
للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ
المقدر وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند اكالون للسحت
بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله
سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وسائر
احكامهم الزائغة وشهادة الزور او ما كان يأخذ فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما
قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء وبفتحهما
وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته
السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة
لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يتفرع عليه
من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين
فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم
اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا
المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا
منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا قتلوا
القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة واحدة قتلوا
بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام
الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء
والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس
والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر
الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها
قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره
عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر
لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم
وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فآمنه الله عز
وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط

بالعدل

بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه
ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه
والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله
على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من
التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر
وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث
في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وثم للتراخي
في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد
والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما
اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى
احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم
اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في
العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه
اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا
انزلنا التورية كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التورية ووجوب مراعاة احكامها
وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام
والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها
وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع
والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها
وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور
وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء
جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون
حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة
من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من
الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل
تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على
سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان
النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى
الادنى بل لتنويه شأن الصفة فان ابراز وصفه في موضع مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف
لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك

قيل اوصاف لاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود وانهم بمعزل
من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لاستماع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين
هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم
او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه
واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين و
قيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا
وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور
كائنا للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة
النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنه الربانيون الذين يسوسون
الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح والكسر والكسر
افصح وهو رأي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف
على النبيين اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل
في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في
ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث
سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام
استخلاف لهم في اجراء احكامها من اهلال لشيء منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله
من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان
الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها من التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول
متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل
واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله
حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من
حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب
لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله
يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سأل لهم
انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير
والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله
بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار
جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله تعالى اي كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء
وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام
المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل
من حال التورية وكونها معتنى بشأنها فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار

المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة
عليها بأي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية
ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا
الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم
واخشون في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء
استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء
بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطي ونبذ
كما فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا
باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا
من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما
بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة
والمقصد الاصلي بالثمن له الذي شأنه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الآيات التي حقها ان يتنافس
فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم
في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل
الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك
مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لا
لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر
تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن
الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم
اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم
اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التورية ان النفس بالنفس
اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع
بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن
المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة
عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح
قصاص وقرئ والعين الى آخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس
بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع
عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن
تصدق اي من المستحقين به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة

في الترغيب فيه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني
اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي
يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله
ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا بينا
بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا من كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك
هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه
والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام
الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اي آثار النبيين المذكورين
يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم
بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى
عليه السلام وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور
كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا
على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من
التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في
سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص
كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه او المنتفعون بجدواه و
ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي
من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة
من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له
اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة
بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي تشهد بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل
الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد
عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على
ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم
اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة
على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه
ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون
عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه
دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع

مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي
الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب
السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على
انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب
اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى
مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل
حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل
بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات
الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها
من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور
امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ
المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول
هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى
من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان
جنس براسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا
قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية
التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن
ومهيمنا عليه اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات
ويقرر اصول شرائعها وما يتابد من فروعها ويبين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء
مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز
احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام
كونه مهيمنا عليه وقرئ مهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه وحفظ من
التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من
جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار
والامصار والفاء في قوله فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن
العظيم حقا ومصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات
الحكم المامور به اي اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند
تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية
الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول
موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل

لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه
وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا
اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما
وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة
من مجيئ الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا كلام مستانف جيئ به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد
لحكم عليه السلام بما انزل الله اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون
غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة و
الخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين
ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا
انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين
كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر
السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايتها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا
ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي
عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت
من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما الصلوة والسلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها
الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة
هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية
كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح
وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق
انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة
للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار
من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل
ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة
واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم
متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل
شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم
من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها
معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح
النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون
المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية

ايا مبعث م

ان م

المذكورة

المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا
ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو
خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا
للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد
التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق
الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيها اما المصدر
المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك
فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي
هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا
عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على
الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك
تأكيد وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن
عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل
الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان
يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا
بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه عليه السلام فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك
فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله تعالى وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا
مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض
النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون
اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون من الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول
للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب
حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية
التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم
اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى
وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي

ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة
طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى
بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره و
الراجع محذوف حذفه في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير
الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم أفحكم الج
وقرئ بفتح الحاء والكاف اي أفحاكما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار
لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة
وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون
اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم
فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم
حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم
بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فان تذكر اتصافهم بعد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم
احدا منهم ولياء بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى
لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق
من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا
على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة مسوقة
لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة
في كل ما يأتون ويذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء و
يبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم
مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في
الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك
من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم يكن موالاة
في الحقيقة وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم
الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم
تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه
وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم
والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل
يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان
ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى

بكونهم

يسارعون

يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول
هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم
فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما
مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون
عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى
بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين
في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون
في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون بانهم لا
يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك في قوله عز وجل يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة و
هو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور
علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار
وقيل نخشى ان تصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض
روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي
موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله
بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين
انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان يأتي
بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر
فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان
يأتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه
لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي
وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام
على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر
عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل
الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم
من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة
الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها
وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة
وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ
وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ان يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل فعسى ان

منها م

وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية م

وترى ... الله ان ... مخلدي

الاخبار م

ان ياتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان بهذا القول انما يصدر عن المؤمنين
عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين
لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية
المحبة وعدم المفارقة عنهم فى السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس
تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا
بهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما
حكى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدا وما بعده خبره والمعنى انكارا فعلوه
واستبعاده وتخطئتهم فى ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا
اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب فى معكم لليهود على التقديرين
الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثانى من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها
من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا لمعكم
وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله
يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه مؤول
بنكرة اى مجتهدين فى ايمانهم او على المصدر اى اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين وقوله تعالى
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل
ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى
بطلانه بالاستفهام الانكارى واما خبر ثان للمبتدا عند من يجوز كونه جملة كما فى قوله تعالى
فاذا هى حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما فى حيز صلته صفة لاسم الاشارة
فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم
والمعنى بطلت اعمالهم التى عملوها فى شان موالاتكم وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث
لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعى وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء
بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا
من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص
اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار
بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام
من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه
من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤس
الاشهاد وبطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى اعين المؤمنين ولا ريب
فى انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا
خلاف ذلك وانما الذى يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس فى ذلك علامة ظاهرة
فى الدلالة على كفرهم وكذبهم فى ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما ظهر

فى الذلة

من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد
بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم
مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع فى بيان حال المرتدين على
الاطلاق وهذا من الكائنات التى اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روى انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة
فرقة ثلث فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى
كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدى فيروز الديلمى بيته
فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد
واتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب صلى الله عليه
وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه
وكان يقول قتلت فى جاهليتى خير الناس وفى اسلامى شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد
تنبأ فبعث ابو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن
اسلامه وسبع فى عهد ابى بكر رضى الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة
بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء
المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى • امست سجاح ووالاها مسيلمة • كذابة فى بنى الدنيا
وكذاب • وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى
الله تعالى امرهم على يدى ابى بكر وفرقة واحدة فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم
جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل
فسوف يأتى الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اى فسوف يأتى الله مكانهم بعد
اهلاكهم بقوم يحبهم اى يريد بهم خيرى الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة
لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اى يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها
داخل فى حكمها قيل هم اهل اليمن لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى ابى موسى الاشعرى
وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضى الله عنهم وقيل هم الفرس لما روى انه عليه السلام سئل عنهم
فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا
بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وثلثة
الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل
اى ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو
او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة

من عباده ٥

بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه
كما في قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما
العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تاخير الصفة
الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب
اليه من لا يجوز من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام وان مبارك خبر بعد خبر وخبر لمبتداء محذوف
وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة
بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة
على ما قبلها مبنية مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم
عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين
وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون
يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم
خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز
المباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا يخفى ذلك اشارة الى
ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله
اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء اعطاءه اياه ويوفقه لكسبه
وتحصيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم
بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل الفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتاكيد الاستقلال لجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم
للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه
كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون
فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افراد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى
وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا الجر بانه مجرى الاسم او بدل منه او نصب
على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع
ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت
في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج
لاخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله رضي وفيه
دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا اوثر الاظهار

معرض صح

على ان تعالى

على ان تعالى ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى
فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر
موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم
بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث
اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف
يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة
فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان
ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم
عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين فصلوا ايضا عما
قبلهم وهو عطف على الموصول الاول ففيه اشعار بانهم ليسوا مستهزئين كما ينبئ عنه
تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر
عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين
اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم واجتنبوهم كل المجانبة واتقوا الله
في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا
ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى
الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا
بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا
لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة
في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون
فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤوا
على تلك العظيمة قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي
المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم
من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب
وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا
من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقم من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم
وهي ايضا لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد
وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب
الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن
مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول

وحزب الله هم

الذی هو الدین محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده علیه دلالة واضحة فان اتخاذ الدین هزوا ولعبا
عین نقمه وانکاره والایمان بما فصل عین الدین الذی نقموه خلا انه ابرز فی معرض علة نقمتهم و
تسجیلا علیهم بکمال المکابرة والتعکیس حیث جعلوه موجبا للنقمة مع کونه فی نفسه موجبا لقبوله
وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل ای ما تنقمون منا دیننا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله
وما انزل الینا وما انزل من قبل من کتبکم ولان اکثرکم متمردون غیر مؤمنین بواحد مما ذکر
حتی لو کنتم مؤمنین بکتابکم الناطق بصحة کتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الی اکثرهم لانهم الحاملون
لاعقابهم علی التمرد والعناد وقیل عطف علیه علی انه مفعول لتنقمون لکن لا علی ان المستثنی
مجموع المعطوفین بل هو ما یلزمهما من المخالفة کانه قیل ما تنقمون منا الا مخالفتکم حیث دخلنا
الایمان وانتم خارجون عنه وقیل علی حذف المضاف ای واعتقاد ان اکثرکم فاسقون وقیل
عطف علی ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الینا وبانکم فاسقون وقیل عطف علی
علة محذوفة ای لقلة انصافکم ولان اکثرکم فاسقون وقیل الواو بمعنی مع ای ما تنقمون منا
الا الایمان مع ان اکثرکم الخ وقیل هو منصوب بفعل مقدر دل علیه المذکور ای ولا تنقمون ان اکثرکم
فاسقون وقیل هو مرفوع علی الابتداء والخبر محذوف ای فسقکم معلوم او ثابت والجملة
حالیة او معترضة وقرئ بان بالکسر والجملة مستانفة مبینة لکون اکثرهم فاسقین متمردین
قل هل انبئکم بشر من ذلک لما امر علیه السلام بالزامهم وتبکیتهم ببیان ان مدار نقمهم للدین انما
هو اشتماله علی ما یوجب ارتضاءه عندهم ایضا وکفرهم بما هو مسلم لهم امر علیه السلام عقیب
ذلک بان یبکتهم ببیان ان الحقیق بالنقم والعیب حقیقة ما هو علیه من الدین المحرف وینعی علیهم فی ضمن
البیان جنایاتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها علی منهاج التعریض لئلا یحملهم التصریح بذلک
علی رکوب متن المکابرة والعناد ویخاطبهم قبل البیان بما ینبئ عن عظم شان المبین ویستدعی
اقبالهم علی تلقیه من الجملة الاستفهامیة المشوقة الی المخبر به والتنبئة المشعرة بکونه امرا
خطیرا لما ان النبأ هو الخبر الذی له شان وخطر حیث کان مناط النقم شریة المنقوم حقیقة
او اعتقادا وکان مجرد النقم غیر مفید لشریته البتة قیل بشر من ذلک ولم یقل بانقم من ذلک
تحقیقا لشریة ما سیذکر وزیادة تقریرها وقیل انما قیل ذلک لوقوعه فی عبارة المخاطبین
حیث اتی نفر من الیهود فسالوا رسول الله صلی الله علیه وسلم عن دینه فقال علیه السلام
او من بالله وما انزل الینا الی قوله ونحن له مسلمون فحین سمعوا ذکر عیسی علیه السلام قالوا لا نعلم
شرا من دینکم وانما اعتبر الشریة بالنسبة الی الدین وهو منزه عن شائبة الشریة بالکلیة
مجاراة معهم علی زعمهم الباطل المنعقد علی کمال شریته لیثبت ان دینهم شر من کل شر
ای هل اخبرکم بما هو شر فی الحقیقة مما تعتقدونه شرا وان کان فی نفسه خیرا محضا مثوبة عند
الله ای جزاء ثابتا عند الله حکمه وقرئ مثوبة وهی لغة فیها کمشورة ومشورة وهی مختصة بالخیر کما ان العقوبة
مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها علی طریقة قوله تحیة بینهم ضرب وجیع ونصبها علی التمییز
من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب علیه خبر لمبتدا محذوف بتقدیر مضاف قبله

ای وما

مناسب

مناسب لما اشیر الیه بکلمة ذلک ای دین من لعنه الخ او بتقدیر مضاف قبلها مناسب لمن ای بشر
من اهل ذلک والجملة علی التقدیرین استیناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الجملة الاستفهامیة
اما علی حالها وهو الظاهر المناسب لسیاق النظم الکریم واما باعتبار التقدیر فیها فکانه قیل
ما الذی هو شر من ذلک فقیل هو دین من لعنه الخ او قیل فی السؤال من ذا الذی هو شر
من اهل ذلک فقیل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجلیل موضع الضمیر لتربیة المهابة وادخال
الروعة وتهویل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبین حیث ابعدهم الله تعالی من رحمته
وسخط علیهم بکفرهم وانهماکهم فی المعاصی بعد وضوح الآیات وسنوح البینات وجعل
منهم القردة والخنازیر ای مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازیر وهم
کفار مائدة عیسی علیه السلام وقیل کلا المسخین فی اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة
وشیوخهم خنازیر وجمع الضمیر الراجع الی الموصول فی منهم باعتبار معناه کما ان افراد الضمیرین
الاولین باعتبار لفظه وایثاره ووضعه موضع ضمیر الخطاب المناسب لانبئکم للقصد الی اثبات الشریة
بما عدد فی حیز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها علی الطریقة البرهانیة مع ما فیه من الاحتراز
عن تهییج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف علی صلة من وافراد الضمیر لما مر وکذا عبد الطاغوت علی قراءة
البناء للمفعول ورفع الطاغوت وکذا عبد الطاغوت بمعنی صار معبودا فالراجع الی الموصول محذوف
علی القراءتین ای عبد فیهم او بینهم وتقدیم اوصافهم المذکورة بصدد اثبات شریة دینهم علی وصفهم
هذا مع انه الاصل المستتبع لها فی الوجود وان دلالته علی شریته بالذات لان عبادة الطاغوت
عین دینهم البین البطلان ودلالتها علیها بطریق الاستدلال بشریة الآثار علی شریة ما یوجبها
من الاعتقاد والعمل اما للقصد الی تبکیتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبیل لهم الی الجحود لا بشریته
وفظاعته ولا باتصافهم به واما للایذان باستقلال کل من المقدم والمؤخر بالدلالة علی ما ذکر
من الشریة ولو روعی ترتیب الوجود وقیل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب علیه الخ لربما
فهم ان علة الشریة هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وکذا عبد الطاغوت بالاضافة
علی انه نعت کفطن ویقظ وکذا عبدة الطاغوت وکذا عبد الطاغوت بالاضافة علی انه جمع
عابد کخدم او علی ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة بالنصب فی الکل عطفا علی القردة
والخنازیر وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا علی من بناء علی انه مجرور بتقدیر المضاف وقد
قیل ان من مجرور علی انه بدل من بشر علی احد الوجهین المذکورین فی تقدیر المضاف
وانت خبیر بان ذلک مع اقتضائه اخلاء النظم الکریم عن الالزام المذکور بالمرة مما لا سبیل الیه
قطعا ضرورة ان المقصود الاصلی لیس مضمون الجملة الاستفهامیة بل هی کالمقدمة لما سیقت
له من المقصود لتنبیه المخاطبین وتوجیه اذهانهم نحو تلقی ما یلقی الیهم عقیبها بجملة خبریة موافقة لها
فی الکیفیة للسؤال الناشی منها وهو المقصود افادته وعلیه یدور فلک الالزام والتبکیت
حسبما شرح فاذا جعل الموصول مجرورا فی حیز صلته من تتمة الجملة الاستفهامیة فاین الجملة الذی یلقی
الیهم عقیبها جوابا عما نشا منها من السؤال لیحصل به الالزام والتبکیت واما الجملة الآتیة

فمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية
وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من ثمة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة
المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة
وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته
عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات
ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل
ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من ثمة الموضوع
غير موضوعة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك بما نبأ لهم على وجه يشير بعلية ما
ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة
والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا
فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل
عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا
محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا
مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم
في اصل الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على
رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان
حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي
من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان
الرسول عليه السلام يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي
من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية
بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول
ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشي
بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى ترى
كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك
وقولهم عزير بن الله وقيل ما هو مختص بهم من الآثام والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير
او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة
في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل

للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل
والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمونهم
قبائح ما هم فيه وسوء مغبته على نهيهم اياهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم
واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون وهذا
ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم
يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه
مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنه
انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن
عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس
مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسول الله وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم
فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا
به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا
لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل
والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه حيث
لا يتصور فيه ذلك كما في قوله ❁ جاد الحمى بسط اليدين بوابل ❁ شكرت نداه تلاعه ووهاده ❁
ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال ❁ وغداة ريح قد شهدت وقرة ❁ اذ اصبحت
بيد الشمال زمامها ❁ فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة
كيف ما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية
فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران
وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي
حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة
من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على
الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء و
قيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك
بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء
ان يعطوا ما يعطونه بكلتا ايديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا
والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة
واردة لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية
جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس

لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيته المبنية على الحكم التي عليها مدار امر المعاش والمعاد
وقد اقتضت الحكمة لسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما ينبئ عنه ما سيأتي
من قوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وكيف ظرف لينفق والجملة في محل النصب
على الحالية من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيته اي مريدا وترك
ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك
من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا
الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه
مع ان حق المبتدا ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو
النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل اليكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة
اي ليزيدنهم طغيانا وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم
والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد
المرضى مرضا والقينا بينهم اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة
العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم
من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من
البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا
محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله
تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم
افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون
في الارض فسادا اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما
عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي
فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفأ نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان
اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايراده
بذلك العنوان لتاكيد التشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم
به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى آمنوا
محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اي لو انهم
مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه

المقام ٤

على طغيانهم ٣

فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباه المقام
لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا
الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان ههنا
على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي
من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة
ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه
تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت
وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من
جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك بمراعاة
جميع ما فيهما من الاحكام لا بانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء
وما انزل اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان
بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل
وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة
وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب
دانيال فانها مملوة بالبشارة لبعثته صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار
وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنبوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار
ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين
كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل
كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على
ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به
بما ذكر ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من
شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض لا ما يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستانفة
مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء
الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على
عدم الايمان الى آخره فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي
بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من
النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدأ
لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى
التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة

وهم الاجلاف المتعصبون ككعب الاشرف واشباهه والروم يا ايها الرسول نودي عليه
الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من
تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله
تعالى من ربك اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلائته
اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اي ما امرت به من
تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام
اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته
والتسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا
لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا
غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة
فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا
من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاته وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاته عذبتك وضمن لي العصمة
فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم
بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم
وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال
انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
تعليل لعصمته تعالى له عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الآية الكريمة في تضاعيف
الآيات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول
صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم
ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق
بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه
حتى تقيموا التورية والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل
رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة
احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها
وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما
وان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بان
شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم
اي القرآن العظيم بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته

مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان
الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل
اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته
المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله فقال عليه السلام
بلى فقالوا فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد
وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد
بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع نسبته فيما مر اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين
اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته
آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستانف لترغيب
من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون
وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم اولا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون
والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على
الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب
وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان
وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت
توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر
للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي
مختلف وقيل النصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع
خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه على محل ان واسمها لاشتراط ذلك
بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بان والابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان الخبر
خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم
التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة
بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم

ولاهم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الاخير باعتبار معنى الموصول
كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم
واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف عليهم
والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية
فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه
الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب
فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف
عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولاهم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون
بالذين آمنوا يطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف
منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه
كما هو شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف
وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل
بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل ان المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا
بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة ولقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد
الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة
وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق
ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول
بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق
وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول
من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه
وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستأنف عن استفسار كيفية ما اظهروه
من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا
منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم
بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي
الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية
صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة
او صلة ينسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك لا يجب

ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات
قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا
كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ وجه
وآكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة
الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان
المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته
وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها
اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل
الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم
ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين
خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعياء وقيل حبسوا ارمياء عليهما السلام لا الى عبادتهم
العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى
عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم بعده عليه السلام باعصار
ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا طويلا
تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس
الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم
وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل
لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم
الى الشام وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت
فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم
واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند
التوبة اليهم كما اسند اليهم العمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم
وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو
اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم
وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات
الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا
بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم
على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك
وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف
اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية

استحضارًا الصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور
ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفى بها تعويلًا على ما فصل نوع تفصيل
فى سورة بنى اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة
المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن ابن لهم
ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك فى المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب
على بابل وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى
على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفًا ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه
فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا
الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الآخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم
الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرود وقيل خردوس ففعل بهم ما فعل
قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دمًا يغلى فسألهم فقالوا دم قربان لم
يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدًا فقالوا
انه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربكم ما اصاب
قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدًا منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم شروع فى تفصيل قبايح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد
تفصيل قبايح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية
منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى حل فى ذات عيسى واتحد بذاته
تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم
ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اى قالوا ذلك وقد
قال المسيح مخاطبًا لهم يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم فانى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقى وخالقكم انه اى الشان من يشرك بالله اى شيئًا فى عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية
اى شيئًا فى عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن
يدخلها ابدًا كما لا يصل المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتهويل
الامر وتربية المهابة وماواه النار فانها هى المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم
بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار اى ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم
من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام
اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمائر الثلثة باعتبار لفظها واما للجنس
وهم داخلون فيه دخولًا اوليًا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم
ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام
عيسى عليه السلام واما وارد من جهته تعالى تأكيدًا لمقالته عليه السلام وتقريرًا لمضمونها وقد قيل
انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام

متعلق ...

فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك وراغبين من
او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن
العقول وانت خبير بان التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار
والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفى نصرته لزعم خلوه
عن الفائدة تصوير للقوى بصورة الضعيف وتهوين للخطب فى مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك
بحسب الظاهر ما لا يليق بشأنه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لاستماع ملاحظة
فيه وان كانوا معظمين له الى الآن يحمل الكلام على التهكم به وكذا الحال على تقدير كونه من تمام
كلامه عليه السلام فان زجر اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد
بعد زجر اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير
ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع
فى بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه
الاعداد مطلقًا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان
يقال ثالث ثلثةً ورابع اربعةً وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما فى قولك
عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى
وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح ءانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلثة اى احد ثلثة آلهة وهو المتبادر
من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اى والحال انه ليس فى الوجود ذات واجب مستحق
للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم
روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث
الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد
بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين
كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اى وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما
وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن فى قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن
الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جئ بالفعل المنبئ عن الحدوث
تنبيهًا على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره
كفر جديد وغلو زايد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اى نوع شديد الالم من
العذاب وهمزة الاستفهام فى قوله تعالى فلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع و
استبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فالانكار والتعجيب عدم الانتهاء

وعدم التوبة معا او يسمعون من الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك
فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله
غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر
وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند
استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح بن مريم الا رسول استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي
لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما
من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما
وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا
عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى
قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل
السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من
من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده
فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد
خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه
وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن
في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما
لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا ياكلان الطعام استئناف مبين لما اشير اليه من
كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج كل فرد من افراده بل افراد الحيوان وقوله عز وجل
انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك
بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب
معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة النادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء
يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام
فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان
بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها
مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم
بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اي متجاوزين اياه وتقديم على قوله تعالى
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة
عن عيسى عليه السلام وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية راسا
ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام
وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان

ادنى درجات

ادنى درجات التاثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون
مؤكدة للانكار والتوبيخ ومقررة للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى ما لا
على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات
التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة
على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب
تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب ~~بطريق الالتفات بعد ابطال مسلك كل منهما~~
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطلة وارشادهم
الى الامم المبين لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة
الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية الى
ان تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم
بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله غير الحق نصب على انه
نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل
اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء
المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم
الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
في شريعتهم واضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول
محذوف وضلوا عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح حجة الحق وتبيين مناهج الاسلام
عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم
من مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز
وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف
وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى بن مريم
متعلق اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا
في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة
واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة
عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير و
كانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره
على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب
عما نشأ من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع
بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وبني عنه

(هامش: يقدر ع — بعد ابطال مسلك كل منهما ع — بلعن ع)

وقوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم التناهي
عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد
منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص
متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل
التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وترك فالجملة حينئذ مفسرة
لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار
انتفاء النهي عن المنكر اذ لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته
استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية
فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد
ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على
ان المضي المعتبر انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي لا يتعلق
بالمنكر المفعول فلا بد الى المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل
عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب
منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسبيبه
بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله
لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز
السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف
واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية
وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود
وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما
قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم
هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط
بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء
والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا
او على انه خبر لمبتدا محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل
هو ان سخط عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع
بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص
بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمته لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله
عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم
هم خالدون ابد الآبدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون

كله

واقامة المضاف

بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا
ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم
فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد
الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من
قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت
بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد
الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومصب الفائدة
هو الخبر لا المبتدا ولا ضير في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه
وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم
الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية
اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى انك ان قصدت ان تعرف من اشد
الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في
تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة
لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية
لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة
بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء
على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن
واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص
الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة
للذين آمنوا اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا
انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء
اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذا النكتة مبنى الوجه الثاني في
تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن
وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا
قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال آخرا ولتجدن اضعفهم عداوة
او بان يقال اولا لتجدن ابعد الناس مودة الى آخره للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من
التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والآخر في اقرب مراتب النقيض الآخر
ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء
النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه

بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه
سمي عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الاثر قصصه بعينه وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس
والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له
قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا جمع راهب كراكب وركبان
وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت
رهبان دير في قلل لاقبل الرهبان يعدو ونزل والترهب التقيد في الصومعة قال الراغب الرهبانية
الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا
اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف
الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال الله تعالى
من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى آخره لكنهم لما لم يكونوا
في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم
اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وبهذه
الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان
التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض
من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق و
عدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب
عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من
الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل
من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك
فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول
يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون
فقيل يقولون ربنا آمنا بهذا او بمن انزل هو عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من
الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بحقيته او مع امته الذين هم شهداء
على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله
وما جاءنا من الحق كلام مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية
على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين
على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في الضرب الاول واحرى لانكار الوقوع كما في
الضرب الثاني كذلك ما الاستفهامية قد تكون الانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الآية الثانية
في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء

قسيس ٩

ام محقق

امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب ايضا كما في الآية
الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها
هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او
من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين
وقيل معطوف على نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا
اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فآتاهم الله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان
في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر
جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في
ثمانين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة مريم
فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات
الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب
ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر
النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب اي لا تمنعوها انفسكم
كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام
في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان
لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا
المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
اني لم آمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم
وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا ولا تتعدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء
وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد
لا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل
لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة
او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف
او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال
فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب

المبالغة في التقوى والاشتهاء عما نهي عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط
الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما ظن وهو قول مجاهد
قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت
وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة
رضي الله عنها في ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم
بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها
واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف
على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل
ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من
من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلث كالالف وهو ايضا
جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام
او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع
قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او
كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم
اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق
انسان كيف ما كان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة
فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام
متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل
بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها
كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي لا الى تبيين آخر
مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك
التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار
نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك
البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم

مسكين

لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما
الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة
الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او
المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن
من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين
فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم
الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام و
الازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد
الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة
الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود
بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام
شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار
بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا
على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف
ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا
الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما في
ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم
عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك
بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اتم خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت
العلل ولم يبق بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل
من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بتوليهم تضرونه
صلى الله عليه وسلم حيث رد عليهم بانهم لا يضرونه وانما يضرون انفسهم ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله
في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد
غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم
احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت
الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر
وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا

بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حيث
اعرضتم عما كلفتم فلا يباعد التام اذا
يتوجه منهم اعراضهم

عليه السلام

مائدة

الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقيد اباحتها باتقاء
ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت
او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من
المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح
في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم
لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات
اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط
اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه
اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا
اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه
في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه ح واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة
الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها
بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان
والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات
اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند
طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما
ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد
وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في
الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت
فيما سيأتي بقضية كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في
ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها
فكأنه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة
بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما
اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار
الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله
عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله
عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي
ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات
حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظايره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر
وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التأمل والله

يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم
محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من الصيد الماكول
او غير الماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه
بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا
بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن
لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية فالتاكيد القسمي في
ليبلونكم انما هو لتحقيق ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع
المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن
الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو
من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا
كيف يثبت في شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد و
جعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى
عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز
الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه
كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار
الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه
بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف
بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل
هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف
المفعول الاول اي ليعلم الله تعالى عباده الخ والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك
اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي
والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان
نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا للتخفيف وانما الموجب
للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله
تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعدما بينا
ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي فله عذاب
اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال
هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال
ابن عباس يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به

الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد و
انتم حرم مع كونه معلوما لاستماعه من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتأكيد الحرمة وترتيب ما
يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في
الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه
وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه
في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا
اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي
فيها العمد والخطأ لما ان الآية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ
لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لم
لا ارى في الخطأ شيئا آخذا باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد
بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه
وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء
مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافته
الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على تقدير فليجز جزاء
مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد
او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد
فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من
غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام
عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشترى
بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند
مالك والشافعي ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا
بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة
بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة
واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له
في الشرع اصلا واذ لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق
العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل
الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص
عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية
مع تيسر الحكم بها وسهولة معرفتها فلان لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع
صعوبة مأخذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق

وسهولة مراعاتها

نعم

غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار
العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعيد الجاني اليها
فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلاث فيقيمها
مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له
معتبر في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام
فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف
كما ستقف عليه باذن الله ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل
ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر
والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس
فان ذلك نوع من الغفلة عما ارادوا بما به المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين
النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية
الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الا المؤيدون
بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة
من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف
يفوض معرفة امثال هذه الدقائق العويصة الى رأي عدلين من آحاد الناس على ان الحكم بهذا
المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من
انواع النعم تم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به
ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه
لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة
او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى
لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم على انه
خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على طعام الخ كأنه
قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة
وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث
فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الآخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف
على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي
تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدأ
محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين
نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او
عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله
ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام

والجملة صفة لجزاء او حال منه نحو قوله تعالى طعام مساكين
عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل
او خبر مبتدأ محذوف

وصيا ما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد رحمه الله
ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق او وقيل بفعل يدل
عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال
في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه
اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا تستمرؤه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد
محرما قبل ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين
بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله
منه خبر مبتداء محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فهو لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد
بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة
على العايد وعن ابن عباس رضي الله عنه وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز
ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر
اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا كان او غير
ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه
والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية
عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه
او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له
اسحاق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم
ياكلونه طريا وللسيارة يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به
متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم
وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش
في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره
يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما
وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله
اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله لان الخطاب
للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه صيد غيرهم وعند مالك والشافعي
واحمد لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه
تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد
سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض
ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجيء الصفة كذلك وقيل
مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول

كما يجيء بل هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما تر ومعنى كونه قياما
لهم انه مدار القيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم ومعاذهم يلوذ به الخائف ويامن
فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن
شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس
الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر
الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن
خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة
او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق
وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات والارض
فان تشريع هذه الشرايع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها
وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلايل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه
المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في
السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات
من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب
وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن
حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب
عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد
في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيواخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي
الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص
والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان
سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تحلوا شعائر الله وقيل نزل في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت
تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله
تعالى لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم
الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء
فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في
قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة

الخبيث اى وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر اى لو لم تعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبتك وكلتاهما فى موقع الحال من فاعل لا يستوى اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما فى قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اى كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما فى لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف فى الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتى تمام تحقيقه فى مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولى الالباب اى فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على رأى الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شئ على انه مخفف من شيئ كهين مخفف من هين والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتى للتأنيث اذ الالف كالهمزة فخففت الهمزة الاولى بان قلبت ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياآن اولاهما عين الكلمة فخففت تخفيفا فصارت اشياء فوزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التأنيث وقيل انما حذف من اشيياء الياء المنقلبة من الهمزة التى هى لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة فى هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اى تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحى كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التى لا يطيقون بها والاسرار الخفية التى يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مسألة رسول الله عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحى اليه لم تطيقوها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى عن على كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بنى اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افى كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى

ما تركتكم

ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ومثله ما روى عن انس وابى هريرة رضى الله عنه انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه فى المسألة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ ما دمت فى مقامى هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدى امر قد حضر قال انس رضى الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه فى ثوبه يبكى فقام رجل من قريش من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبى الله من ابى فقال عليه السلام ابوك حذافة بن قيس الزهرى وقام آخر وقال اين ابى قال عليه السلام فى النار ثم قام عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها فى نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا فى كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضرورى الانتفاء قطعا على انه يستدعى اختصاص النهى بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح فى انه مسوق للنهى عن السؤال عن الاشياء التى يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابى ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هى محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهى من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة قلت لتحقيق المنهى عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهى وتشديده لان تلك الحيثية هى الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء

وقيل للحال وقد مر

اصله بان قلبت

الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسئلة الحج
حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية
انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه قيل
ما ذكر انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور مترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة
واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس
الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسئلة
عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال
للتخلف فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه
محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم
بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان
يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فيبدي عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا
كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان يكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال
فيبدي عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهم عدم الوقوف
بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود من تلك الاشياء في نفس الامر
وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء
عن السؤال عن تلك الاشياء حذار ابداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييل مقرر
لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم
بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سألوا هذه المسئلة لكن لا عينها بل مثلها في كونها
محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق
بسألها ثم اصبحوا بها اي بسببها او برجعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم
في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر
بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا برئت
من مرضي ~~او قدمت من سفري~~ فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل
كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي
لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر
لآلهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه
ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما
عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى
الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت

عدم ٢

او بعرضية الوجود ٢

على الاطلاق ع

وقت من سري ادع

الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه
الافاعيل الباطلة وهذا شأن رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من
معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء
باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم و
عجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل
الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على
حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم
على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان
آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها والتقدير احسبهم ذلك او يقولون
هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ
وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت
الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق
عند المانع فلان تحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه
ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة
الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى
وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة
ما سبق عليه اي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك
وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة
في الانكار وفائدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان
اذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه
وقيل آل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير
مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى او لو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموا
امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء
اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة
بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع
على انه كلام مستأنف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم
اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف

من الكتاب المبين للحلال والحرام ع

وهو الاظهر ع

والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة
قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها
الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب
فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا الخ فيقول
احدكم على نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم
فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل
فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا
ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم
وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه
وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال
آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث
لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية
والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين
آمنوا استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة
بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل
شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار
تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتداء وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه و
ظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول للافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده
عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم
ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي
ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة
بينكم شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم
ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة
بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم
اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري
ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران عطف على اثنان تابع له فيما
ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة آخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة
بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل
من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر

ثم نسخ

ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده
تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش
والكوفيون الى انه مبتداء بناء على جواز وقوع المبتداء بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد
اذا فقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا
ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه
محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل ح ولا معكم من الاقارب او من
اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران
او فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران كذا قيل والانسب ان يقدر عين ما سبق اي
فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين او فان يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثم
وقوله تعالى تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف
نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة
وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد
الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي
اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك
يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب
باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم
تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم وقتئذ حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها
داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق
من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص
الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة
فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما
اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك
انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني
لاكرمنك ولا ريب في استحالته ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من
جهته عز وجل والاشتراء هو الاستبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها
كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشرى ومفهومه هو الجلب دون السلب
المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ
والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما تم تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين

اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته
عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل
الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نبدلا منها
عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر
والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت
ما هو المعتبر في الاستبدال من كون الزايل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف
الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه
وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل
اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح التبري منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب
وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق في صورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ
باستعماله مأخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق
عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله تعالى
ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تاكيد لتبريهم من الحلف
كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم
اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية
الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ
وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة ثم ابتداء آلله بالمد على حذف حرف القسم
وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمناها
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع
بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما اوجب
اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع
في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران اي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور
في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر
على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام
الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعياه من استحقاقهما لما في ايديهما
من الذين استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من اهل الميت
الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة
اي اليمين كما تشعر به ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما
ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع
المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني

[margin: ناخذ]

[margin: التي امرنا الله تعالى بها فانها
معطوف على لا نشتري به
داخل معه في حكم القسم
وعن الشعبي انه وقف
على شهادة
صح]

عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان
او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق
عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين او مجرور او منصوب
على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه
على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في
قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق
مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في
نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل
مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما
لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما
بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله اي انا اذا اعتدينا في يميننا لمن الظالمين
انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في
غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه
فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من
الشهادة ولا من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص
الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة
وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما
الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان
يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى
الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر
بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله
عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت
المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم
نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن
العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء
اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف
اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستأنف سيق لبيان
ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله

[margin: شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما
بان ظهر بايديهما شيء من التركة ٤]

ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها اى اقرب الى ان يؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى تحملوها
عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروى وهذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ
المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة
معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها
ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد
بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاى الخوفين وقع حصل
المقصد الذى هو الاتيان بالشهادة وقيل هو عطف على يأتوا على معنى ان ذلك اقرب الى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على
موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكول الورثة واما ما قيل من ان المعنى
ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق
والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة
ان الشهود مضطرون فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة
قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك
فى شهود لم يتهموا بالخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين
على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضى احدهما يقتضى الآخر لا محالة تحكم
بحت فتأمل واتقوا الله فى مخالفة احكامه التى من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به
كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اى فان
لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى الى طريق الجنة او الى
ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة
فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال
الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه الاجمال كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء
كافة مالك يوم الدين خاصة كاف فى الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى
اى شئ اى شأن من شئونه واى فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اى اتقوا
عقاب الله فيجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه
اى واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا
وتلقى امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدى اى لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة
كما يهدى اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
التامة والدواهى العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل ويقول لهم الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى
ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص
الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل للابانة عن شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح

على وجهها

بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام فى سلك جمع الرسل
كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم
مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبئ عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واصحا و
الا تصدير الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتى وماذا فى قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر
الفعل فهو نصب على المصدرية اى اى اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة
عن الجواب فهو فى محل النصب بعد حذف الجار عنه اى باى جواب اجبتم وعلى التقديرين ففى توجيه
السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموءودة بمحضر من الوائد والعدول عن
اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم
ما لا يخفى قالوا استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام
هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضى للدلالة على التقرر والتحقق كما فى قوله تعالى
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى
واحاطته بما اعتراهم عن جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم
عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اى فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم
نعلمه مما اضمروه فى قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا
من الكروب والتجاء الى ربهم فى الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم
كانوا فى زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدى انهم يفزعون من اول الامر
ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل
المذكور وقيل المراد به المبالغة فى تحقيق فضاحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص
بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اى انك انت المنعوت بنعوتك المعروفة بذلك اذ قال
الله يا عيسى بن مريم شروع فى بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على
التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل
احوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شئون سائر الرسل
عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام
متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم فى السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله
اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت فى اعضادهم وادخل فى صرفهم عن غيهم وعنادهم
واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضى لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل
فى مقام الاضمار لما مر من المبالغة فى التهويل وكلمة على فى قوله تعالى اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك متعلقة
بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اى اذكر انعامى عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اى اذكر
نعمتى كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة المنتظمة فى سلك التعديد تكليفه عليه السلام
شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر فى اوانه اى خروج

للامر

بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما تبينه الله سبحانه اعتداداً بها وتلذذاً بذكرها على رؤس
الاشهاد ويكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخاً وزجرة للكفرة المختلفين في شأنه
عليه السلام افراطاً وتفريطاً وابطالاً لقولهما جميعاً اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت
تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او
بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى
او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية
ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية
وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلاً استيناف مبين لتأييده عليه السلام او حال من الكاف
وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع
صادراً عن كمال العقل مقارناً لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من
السماء لما انه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلثين
سنة ومكث في رسالته ثلثين شهراً ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب عطف على اذ
ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتورية
والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهاراً لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام
المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي
وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادراً عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده
عليه السلام مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة
فتكون اي تلك الهيئة طيراً باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى الطير بل عن
محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان ما يستند الى كونها من جهة الهيئة
وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئاً واحداً للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم
لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج
الموتى باذني عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت
رميماً معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحاً قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق
ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به واما ذكرها في
سورة آل عمران لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل
عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات
بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف
لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم ان
هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف
اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم

بان خبر الصلة فكأنه من جانبه وهو الاشارة الى جاذبه والتذكير لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس
المسمى من حيث هو لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر عليم
فهذا اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواته
الواقعة ظروفاً للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في التحقيق عين ما يفيده الجمل التي
اضيفت اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية
وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة
اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احدهما معلومة
الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضاً فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة
الاولى ويجعل ظرفاً معمولاً للنسبة الثانية ثم قد يكون المغايرة بين النسبتين في الذات كما في
قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليك وقت
وقوع احسانك اليه وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد يكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني
اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احساناً اليه لا على احسان
آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً الاية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر
ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم
كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في
الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على
الايمان به عليه السلام كأنه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي
ولا تزيلوه عن حيزه حطاً ولا رفعاً وقوله تعالى قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق
الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما ذكر من وحدانيته تعالى
وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا من
اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة
كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضاً روي انه عليه السلام
لما علم انه سيؤمر بذكر تلك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئاً
لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اين ما امسى بات اذ قال الحواريون
كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ
عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين
والالتفات لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب
بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الاية فتأمل كأنه قيل للنبي عليه السلام عقيب حكاية

ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس
وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم
يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى
على ما ذكر وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم
للاطمئنان والتثبيت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه
بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك
بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك
والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله
عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها
تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية
قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك
فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة
نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه
الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
قالوا استئناف كما سبق نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي ليس
نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان
والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى
وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة
وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء
للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا
في دعوى النبوة وان الله تعالى يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها
من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا
طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها
متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل
على اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وهو حال من اسم كان
او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى بن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا
صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة
بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره ثم
قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة

بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم
الظرف على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء
متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا
في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من
ضميره في تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او
من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة
لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ
تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة
وههنا من الشواذ لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي
انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل
منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا منك
متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا
اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق
الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير الدعاء المنبئ عن كمال التضرع
والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة
على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب
ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه
الى القبول قال الله استئناف كما سبق اني منزلها عليكم ورود الاجابة منه تعالى بصيغة
التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف
والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله لئن انجانا من هذه الخ
مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما
تحقيق للوعد وايذان بانه تعالى منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار
اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن
يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره
بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد و
انتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى
لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك
التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد
الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن
والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا
واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون

اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم
اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند
ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون رأس الحواريين
يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى
بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو
أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها
عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل
كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار حتى اذا فاء
الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض
ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء
والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام
وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام
وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم فلا يقدرون على
الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان عيسى عليه السلام
قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا
لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها
سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم
قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم
وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة
فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله و
الناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد
وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته
رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم
يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب
بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك
اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة و
تبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته
عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقيق والوقوع أأنت قلت للناس

اتخذوني

اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من
المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر
من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي عليه قوله تعالى أأنت فعلت هذا
بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام
ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا
السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي
متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى وايا ما كان فالمراد اشراكهما
به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه
وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك
بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون بان المعجزات التي ظهرت
على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء
الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من توهم فقال
ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى
فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه و
يعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند
الى عيسى عليه السلام قال استيناف مبني على سؤال ناشئ من صدر الكلام كأنه قيل
فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر سبحانك سبحان علم
للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق
من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة
العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته
مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك
ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسباقه
وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استيناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة
عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل
المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بما في حيزه من الباء فان اسمه ضمير
العائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته
فقد علمته استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه بالطريق البرهاني فان صدوره عنه
مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم
لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لانك تعلم ما اخفيه في
نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم

عليه السلام ص

ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات
اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى
انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم
الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور
عنه على ابلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء
صدور المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على
قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم
تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز
طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو
او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم
عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية بتقدير المصدر
مضافا اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني
بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت
نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت
الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة
خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن
المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت
من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد
والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب
والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة
لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد
فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم من كفر
منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم
يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب
عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصبغته
الالهي لما قرر في نظائره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ وخبره
ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين
بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق
في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به من

قوله

الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام
ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقلا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين
في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان النافع المعروف
في الدنيا لجنايته يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا
اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له
في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي الاليق
بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة
الى قوله تعالى أأنت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهذا اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي
هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على
الفتح وليس بصحيح لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الآية
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه
قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضي الله عنهم استئناف آخر
لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية
وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوان من الله اكبر ورضوا عنه اذ لا شيء اعز منه حتى تمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى
نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل هو الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان
المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلوب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى
لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا
في حق المسيح وامه اي له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف
فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء
مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل
واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم
بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات
ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا والله اعلم

سورة الانعام مكية وهي مائة وست وستون آية اجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات
الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء
اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ

لا ينفعه

عند البصريين

عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والآية ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشاهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع البدائع واصناف الروائع على ما تتحير العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأيهما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه اثرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء

من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يوجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره او توجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام مقصود الافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف في النظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل عنه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتمحل يأباه المقام كيف لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا ببيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم عليه السلام الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين

لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذى خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام
منه فى ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس وللمبالغة فى ازاحة الاشتباه
والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هى ان كل فرد من افراد البشر له حظ من
انشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة
سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين
خلقا للكل منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السارى الى جميع افراد ذريته
ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة
الخلاق العليم وكمال علمه وقدرته وكان ابتداء المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل
ولله در شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية وقوله تعالى
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سياتى وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل
معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض واياما كان ففيه من وضوح
الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة
قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ثم قضى اى كتب لموت كل واحد منكم اجلا خاصا
به اى حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم
حسبما تقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اى حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتداء لتخصصه
بالصفة كما فى قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه فى موقع التفصيل كما فى قول من قال اذا ما بكى من
من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك
تقديمه على الخبر الذى هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو التاخير كما فى قولك عندى كلام
حق ولى كتاب نفيس كانه قيل واى اجل مسمى ثابت معين فى علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد
لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو
المعتاد فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هى باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار
كونه مبداء لمدة القيامة كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة
لما ان الاجل فى اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت
والثانى ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها
وهو الاوفق لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده
الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل
العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب مبين الخ فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير آخره والاول
هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثانى المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبنى على
مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غيره ان يقع فيه شىء من الدواهى
كما يستلزمه الحمل على المعنى الثانى مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روى تاخير الاجل الاول

وتقديمه

وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم فى البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة
الدالة عليه اى تمترون فى وقوعه وتحققه فى نفسه مع مشاهدتكم فى انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة
الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات
البشرية على مادة غير مستعدة لشىء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت
لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثانى هو الموت او ان الاول اجل
من هو النوم والثانى هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثانى اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى
من عمر كل احد والثانى مقدار ما بقى منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من ان مساق النظم الكريم
استبعاد امترائهم فى البعث الذى عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور
الثلاثة ففى اى شىء يمترون ووصفهم بالامتراء الذى هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم
جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار
وقوله تعالى وهو الله جملة مبتداة وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته
تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر
الاشارة الى تحقق المعاد فى تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى فى السموات
وفى الارض متعلق بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه
علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به
الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف
الكامل حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه
قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما فى قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وليس
المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوى او على معنى المالك او المتصرف
او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعانى المذكورة فى ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد فى قوله
اسد على لما اشتهر به من وصف الجراءة التى اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرىء على
وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اى هو المعروف بذلك فى السموات
وفى الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو
ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذى اشتهر به اذ هو الذى
يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا اشتهاره به الا يرى ان كلمة على فى المثال المذكور
لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصرى
من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق
هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذى يقال له الله فيهما لا يشرك به شىء فى هذا
الاسم على الوجه الذى سبق من اعتبار معنى التوحد او القول فى مطاوى الكلام بطريق الاستتباع
لا على حمل الاسم الجليل على معنى التوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف

خبر ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه
المقدس عن حصول الصور والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة
التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما
وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فقوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه
وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا و
تقرير للمضمون وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع
ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه
الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور
مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلثة
الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر
فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم
فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما
مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية
بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون بيانا له وبهذا تبين انه ليس ببيان على الوجه الثالث ايضا
لان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه
المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك
كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل سركم
وجهركم فيهما لتوسيع الدائرة وتصويرا انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد
يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه لجلب
نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا وعلانية وتخصيصها بالذكر مع
اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء
وهو السر في اعادة يعلم وما تاتيهم من اية من ايات ربهم كلام مستانف وارد لبيان
كفرهم بايات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الاية الاولى اشراكهم به سبحانه
واعراضهم عن بعض ايات التوحيد وفي الاية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض اياته
والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم
ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة
الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد
بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها
هاتيك الايات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته

على كافة

على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها
معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الايات التكوينية الشاملة للمعجزات
وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التكوينية
التي من جملتها ما ذكر من جلائل شئونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر
الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثار على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات
وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول
تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما واياما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم
الى الاعراض وايقاعهم له في ان الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
فان الحق عبارة عن القران الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل اية اية منه عبر عنه بذلك ابانة
لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة
وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد
قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فان ما جاءوه اي فعلوه
من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب
اللازم على الملزومات تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض
المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا
تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثر له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الايات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا
في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة العاجلة التي نطقت بها ايات الوعيد
وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبا لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات
لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما
كانوا به يستهزءون فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا
للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات الاجلة او على ظهور الاسلام
وعلو كلمته باباه الايات الاتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة وان تاخر
مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل
يستهزءون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالايات
الايات القرانية وهو الاظهر واما ان اريد بها الايات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب
شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الايات فلا تعجب
فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الايات ولا مساغ
لحمل الايات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الايات

العاجلة التي نطقت بها ايات
الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان
بغاية العظم لما ان النبا لا يطلق
الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات
صح

كما كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استيناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سبق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض استيناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود لسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كأنه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار

والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان مه

واما قوله سبحانه وانشأنا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل بنون العظمة اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي فحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام الى غير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى

القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرايع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود وبالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم وان الثاني ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت استناعيه اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام فيه كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحتموه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بها في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا اشبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوا ملكا كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبة بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ

مع فهم المراد منه ايضا صح

حينئذ صح

برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم احوالهم الفظيعة تحذيرا عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونحوه وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك هؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة

على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء
اصلا وقيل هو ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى
الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام
قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه
انه قال لكعب ما اول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابه الزبرجد
واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم
بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المقتضية للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة
على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفائها كلية
ههنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة
فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية
وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي اليوم
اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية
والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع
الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب والرفع على الذم اي اعني الذين او هم الذين لكم
او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم
بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم
الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت
الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء
الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله عز وجل وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفي باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في
سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم
بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب أغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال والاشتراك
وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ
الولي مطلقا كما في قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد فاطر السموات
والارض اي مبدعهما بالجر صفة لله مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر
الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل
بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن
عباس رضي الله عنه ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي
ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه
او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه

سبحانه تعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى
واشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني
بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ
غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من
اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا
اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل
لي ولا تكونن من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت
عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه
اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام
من المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول
اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم
الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء
للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار
والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز
ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه
اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة
عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين
اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف اللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله
بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه
فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله
وحمله على تأكيد الجوابين يأباه الفاء تذكره روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني
خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الي وقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فاذا سالت
فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان
ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه
وان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم
ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره
وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويأمر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في

في المواضع الثلثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد
لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك
انك رسول الله فنزلت فأي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم
بتولي الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه
لا لتردد بهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشأن وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف
اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه
وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي اي من جهته تعالى
هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام
مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام
القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة
في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في اول سورة النساء
أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك اي بما تشهدون
به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتوكيد انما هو اله واحد اي بل اشهد انه تعالى لا اله الا هو
وانني بريء مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق
من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى أخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب
عن تحكمهم بقولهم فأرنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب
الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم
بقوله تعالى يعرفونه اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته
المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى
على نبيه هذه الآية الكريمة وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف
ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى
الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس
عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم
ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من شبه الموصول
وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول
وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجه الاخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم
الكتاب الى آخره ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف
اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له

بالشرطه

وان كان

وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال
المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم
وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما يتصور
غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان
لا محالة او كذب بآياته كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام
كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك
تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم
فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشأن
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشأن الخطير هذا
وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا
فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف
ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة
ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول يكون
من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق ويحسن موقع
عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف
والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل ليتقوا او ليحذروا اليوم نحشرهم الى آخره والضمير للكل وجميعا
حال منه وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما للذين اشركوا اي نقول لهم خاصة للتوبيخ
والتقريع على رؤس الاشهاد اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وتعالى و
اضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه تعالى الذين كنتم
تزعمون اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء
مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
وغير ذلك من النصوص انما يقع بعدما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب
والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها في
الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم
حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها
من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف
من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث
ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم

الحقيقة صح

في السالفة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا امكان خزيهم وحسرتهم فرجاء يشعر بعد شعورهم بحقيقة
الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوا ما قبل ذلك وانصرفت
عروق اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ
وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة
ثم لم تكن فتنتهم بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب
فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ
بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم
كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته
اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده
والتبرؤ عنه بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه
كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرؤ عن الاشراك وقرئ ربنا على النداء
وهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل
من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا
في الدنيا انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان
لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى
انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في
الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا
فتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على
كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا
باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي
زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا
عنه بالمرة وقيل بالمجازة عن الشركاء وابطال الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع
على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل
الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتدأ مسوق لحكاية
ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا
لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار
مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن موصولة او
من موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى بعضهم او بعض منهم الذي يستمع اليك
او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم
ذوات اولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو
سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله عليه السلام

فقالوا

فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى
الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع
بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان
وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال
من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا
على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه
من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان
يفقهوه وفي اذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة
وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشئون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن
الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن
والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن
سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان
هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا
كل آية من الايات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي
كفروا بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها
الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤوك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤوا وانما وضع الموصول
موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم
اذا جاؤوك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الايات الكريمة بل يقولون ان هذا
اي ما هذا الا اساطير الاولين فان عد احسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا
واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة
والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط
وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده
من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به وينأون عنه
اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي
عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور
للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه
لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به

بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كان لم يروا ما راوا من احوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ و
السؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا
على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قال لهم
ربهم اذ ذاك فقيل قال اليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام
بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا
استيناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال تيقنهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك
عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء
لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك
بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم
في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما
وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء
الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز
الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم
على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له
بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأة وانتصابها
اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه
مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل
محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا
تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك
من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته
او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان
الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة
كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة
والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط
اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على
ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة
من الشدة بحيث لا تزول فلا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والتنبيه على ان العذاب
الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم
والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد

حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات
والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا
حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل
النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او
على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال

صدره
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت

الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل للكسب تلك الاعمال الا لعب
يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم
منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التي هي
محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير
منغصة بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان
والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن
الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة
من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد
انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه
وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله وان
تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في
التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده
مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه
ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب
حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله
وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده
ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك والعائد
محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك
وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر
به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدم المبالاة
والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل
فانه مع كونه بمعزل عن التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لما يخص
نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة القدر ورفعة المحل و

والزلفى من الله عز وجل الى غاية وراءها حيث لم تقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا
لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام
واثبت لآياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب
واضمحلال شؤونه عليه السلام في شأن الله عز وجل ثم فيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم
عقوباتهم كأنه قيل لا تعتد بهم وكلهم الى الله تعالى لانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر
تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان
بان آياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق
الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته واثبات ما في القلب نفيه والباء
متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل بيكذبون لتضمين الجحود معنى التكذيب
وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون
بالسنتهم ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد
اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما
كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر
قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك
من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد ككثر واكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده
كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت
الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته عليه السلام فان
عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام
عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما
منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شأن خطير
وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى
واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم
وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه
من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تأكيد للتسلية
وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر
وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوقع لهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات

الى نون

الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشأن النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله
من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد
السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها
فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها
تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم
الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى
خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من
النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب
الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبأ
المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله الآية وايا ما كان فالمراد بنبأهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى
الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية وقيل في محل النصب
على الحالية من المستكن في جاء العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هو اي الخبر كائنا
من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد
من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به
من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين ونأيهم عنه ونهيهم
الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر
من قريش فقال يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله ان
يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لانه عليه السلام
كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت
فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد
وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبرها مقدم على اسمها لانه فعل
رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الى آخره شرطية
اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان
بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا
فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا
في السماء تعرج به فيها فتأتيهم منهما بآية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس

الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل
ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هو نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التأكيد
اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي
نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام
على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل
رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما
لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على
ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى
جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم
الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة
وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص
الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته
تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد
على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من
عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية
المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه
عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط
النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على
قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور
منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون
ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى
والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على
بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان
الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي هؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه
يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل
من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا
نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم
وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت
بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال
حتى اجترءوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب
كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال

كما ينبئ عنه

كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي ولم يقيده بالتعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام
من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى
قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات
لفا والمعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب
ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار
بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار
للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ
عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطرح
بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على
ان ينزل آية من ذلك او آية واي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته
عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية
فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان
بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض
كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل
على انه تعالى قادر على تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد
الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من
افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير
بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه
كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر
الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل
امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة
في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه
وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما
ينبغي ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي في القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول
لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان
انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا
الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره واياما كان فالجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة
في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بيان
لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء
لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا الى غيره

فيجازيهم فيتصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وياباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتداء على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتداء خبره ما بعده ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشاء الله اضلاله اي يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارأيتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جي به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السابقة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هو مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين على ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا انفس دعائهم اياه وقوله تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبوله دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة

الى اخره ص

بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملتها الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحيرون غاية الحيرة آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر

استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم
بان غطى عليها ما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا
تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد
لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات
القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدا وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى
غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم
عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله مشاعركم من اله غيره
تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم
تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة عن اسلوب الى
اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه
والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم لاستبعاد صدوفهم
اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم
تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل
الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث
تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا
لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر
اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق
الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم
عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما
وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو
وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال
الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام
بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة
ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب
الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما
انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه
واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام مستانف
مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيقها في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار
ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان
ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان
من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا

قومهم بالثواب على الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دنيويا
كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والالزام
ان لا يكون الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح
لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لسببية الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم
يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام
وجمع الضمائر الثلثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار
لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه
من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية
تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء
لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل
عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت
يفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من
آمن داخل في حكمه وقوله تعالى باياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير
والانذار ويبلغونه الى الامم آياته تعالى وان من آمن باياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه
من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم
من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا او بتلقاء انفسهم
او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا
به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في
الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي بلغوها عند التبشير
والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه
المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على
الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استيناف مبني على ما اسس من السنة
الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي
قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة
الي اتصرف فيها كيفما اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات وانزال العذاب او قلب
الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرؤا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى
ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى
حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني
من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي

بيان ه

بفقده ه

بصفاتهم فادخالى امرى كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق والمعنى
لا ادعى شيئا من هذه الاشياء الثلثة حتى تقترحوا على ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتى الى
ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التى لا تعلق لها بشئ مما ذكر قطعا بل انما هى عبارة عن تلقى
الوحى من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى لا على معنى
تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو
الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفى فى الاصل والاثبات فى القيد بل
على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال و
الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق
هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر
يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر فى الحقيقة ما يتعلق بالفعل
بتوجيه النفى الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الى من غير ان يكون لى مدخل
ما فى الوحى او فى الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل يستوى الاعمى والبصير
مثل للضال والمهتدى على الاطلاق والاستفهام انكارى والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق
ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب فى الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر
لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اى الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون
فيه فمناط التوبيخ فى الاول عدم الامرين معا وفى الثانى عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون
بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد [illegible] مشاعرهم بالكلية والتحقوا
بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اى [illegible] فابوا الا الاباء والنكير
وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم
بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التأثر فى الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتى سواء كانوا جازمين
باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة آبائهم الانبياء
كالاولين او فى شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم
انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون
بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون فى الاعمال
من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضى باستحالة صحته كما ستقف
عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثانى للانذار اما العذاب الاخروى
المدلول عليه بما فى حيز الصلة واما مطلق العذاب الذى ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه
ولى ولا شفيع فى حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقه بمحذوف وقع حالا من اسم

لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى فيما تضمنه من مطلق الفعل

ليس لانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذى لم يتقيد بها
عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين
به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له فى عدم الخوف الذى عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية
فليست لاخراج الولى الذى لم يتقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية
تعالى لهم كما فى قوله تعالى ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى
انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم وعن هذا اتضح
ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولى سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون
نصرته وانما الذين يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للامر اى انذرهم
لكى يتقوا الكفر والمعاصى او حال من ضمير الامر اى انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اى انذرهم مرجوا
منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى لما امر عليه السلام بانذار المذكورين
لينتظموا فى سلك المتقين نهى عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدى الى طردهم روى ان رؤساء المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء
المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام
ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت
فقال عليه السلام نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت
حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحارث
بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بنى عبد مناف من اهل الكفر اتوا
ابا طالب فقالوا يا ابا طالب ابن اخيك محمد يطرد موالينا وخلفاءنا وهم عبيدنا
وعتقاؤنا كان اعظم فى صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبى صلى
الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه فقال عمر رضى الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر
ما الذى يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء
الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا
النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام
حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المسجد ونفيت عنا
هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان
وفود العرب تأتيك فنستحيى ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا
فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة
وبعلى رضى الله عنه ليكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام
بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان
يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا

وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير بل التحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو

الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي نفسك مع الذين يدعون
ربهم معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة
وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي
فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض و
وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين
في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي اي ما عليك شيء
ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك
حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور
فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى وما من حسابك
عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في
سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه الصلوة والسلام عليهم على طريقة قوله تعالى
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك تنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية
معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص
حسابهم به عليه السلام اذ هو المدعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى
فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على
طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق
من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى الفقراء المؤمنين
في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض
فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط
واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في
امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين
الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط
التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى
من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن رأسا
على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض
عليه تعالى وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار
استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك

له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين
مه

اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان
اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى
على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى
بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على
الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما
سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه
بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم
على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات
لا بتوسط شيء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة
عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار
اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا
اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل
من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستيناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل
عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر
ما يعلم انه يؤدي الى الضرر وعمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد
سفهه واصلح اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم
اي فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استيناف وقع
في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل
الآيات قد مر ان ما فيه من الكلام اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل
الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتأنيث
الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر و
يؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد
الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون
مستأنفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل
على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين
فتعاملهم بما يليق به قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين
على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم
قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين
هوى محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من
من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون

انه تعالى كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به او ايذانا باختلاف
المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام
من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا
على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا
واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء قد ضللت اذن استيناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه
مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام و
الاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي ما انا في شيء
من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه
رسول الله عليه السلام وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان
اتباعهم له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل
هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف
هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى
وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها للاستقباح بمضمونها واستبعاد
وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى
اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب
وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استيناف مبين لخطائهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها
وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون
تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي ان الحكم اي
ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من
غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم المذكور
او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير وقرئ يقضي فانتصاب
الحق على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع
اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة
الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي تستدعيه جزالة
التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم
انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم
بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد

قوله تعالى صح

ما لا تعلمن

ما لا تعلمن له بالمقام اصلا قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي
ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي لانزل ذلك
عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعيين
الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين
اعتراض مقرر لما افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع
لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق
الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم
وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص
كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها
مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده
انه قرئ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده
تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون
ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه
من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى
قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر
بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى
علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها
وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان
تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال
كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة
للحصر بطريق الانموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات
الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض
الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب
مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل
الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل
رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ
لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة وهو الذي يتوفاكم بالليل اي
ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال
الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد
بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما

داخلان صح

يتحقق قضاء الاجل المسمى المرتب عليهما لان بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجروح كما يلوح به
تقديم ذكره على البعث اى يعلم ما يجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص
التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم
فيه اى يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم
من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم
على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو
الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما ستجرحون ليقضي اجل مسمى
معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى فيه احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اى رجوعكم
بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة بأعمالكم التي كنتم تعملونها
في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل
كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم
به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى
وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لافضائه الى كون البعث معللا
بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اى هو المتصرف في امورهم لا غيره
يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم
خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل
لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اى كائنين عليكم
وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اى يرسل عليكم ملائكة يحفظون
اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ
عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح
وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من
خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها
الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل
عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان
وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك
الموت واعوانه وانتهى هنالك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح
احدى التائين وهم اى الرسل لا يفرطون اى بالتواني والتأخير وقرئ مخففا من الافراط
اى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة
سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول
عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع

الذي على الانفراد والرد على الاجتماع اى ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اى الى حكمه وجزائه في موقف الحساب
مولاهم اى مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق
الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من
الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب
ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر
والبحر اى قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة
التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من
الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم اى من ينجيكم حال كونكم داعين
له او من فاعله اى من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية
اما حال من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اى تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه
دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير
القول اى تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة او الورطة التي عبر عنها بالظلمات
لنكونن من الشاكرين اى الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي
من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب
امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم وللبناء قوله تعالى ثم انتم
تشركون عليه اى الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم
والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف
وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على
القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على
طريقة قوله عز وجل أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية
وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم
ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا
من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اى من
جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساءكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم
وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا
اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم
كقول الحماسي • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت لها يدي • ويذيق بعضكم
بأس بعض عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير
والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك

وعنه قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض هذا أهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام
انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان
لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا
ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي بالعذاب الموعود او
القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان
بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى
وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به
وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم منبها على ما يؤول اليه
امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم
من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه
لكل نبإ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه
مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون
اي حال نبإكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين
واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش
وديدنهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية
للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان
وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما
ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية
فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر تنبيها
عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون
في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم
عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام
ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم
اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما ومحله انه في محل الرفع على انه مبتدأ ومن تبعيضية او اسم
لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على
انه خبر للمبتدأ او لما الحجازية على رأي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب على رأي
من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق
اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا
لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم ذكرى
او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء

اوكراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها
وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به
واستهزؤوا به او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه
لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى
اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به
اي بالقرآن من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا
الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه
او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع
وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير انه
ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير
كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر
بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع
استيناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في
محل الرفع على انه وصف لنفس ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في
تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف
على البيان وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد
لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها
عدل فانه المفدى به لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين
ابسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك
اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح
وقوله تعالى لهم شراب من حميم استيناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال
نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر في بطونهم
وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر
في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على
كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب
العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي
والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء
والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل

صدره
علي حالة لو ان في القوم حاتما ص

والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
ص

اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رض حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى
عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال
والاتحاد وتنويها لشان الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركنا
وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعا ونرد على اعقابنا عطف على ندعوا داخل في حكم
الانكار والنفي واي نرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره
بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر و
ايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير صريحا لمخالفة المضلين وقطعا
لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في خير الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعا
بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا
لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال
المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعا كالذي استهوته الشياطين في محل النصب
على انه حال من مرفوع نرد اي انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستفوته
الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي انرد ردا مثل رد الذي استهوته اي الا
الاستفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه وقرء استهواه بالف
ممالة وقوله تعا في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا
قوله تعا حيران حال منه على انها بدل من الاول او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من المستكن
في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعا له اصحاب جملة في محل النصب
على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله وقوله تعا يدعونه الى الهدى
صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه
نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا
وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق
المستقيم ليدعي الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله
الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعا فماذا
بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك
وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعا مما يوجب الامتثال
بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم
لرب العالمين لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلثة كما في قوله تعا قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى
الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعا وان اقيموا الصلوة واتقوه
اي الله تعا في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد

هو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا
اسلموا واقيموا الصلوة ونقيه تعا والتعريض لوصف ربوبيته تعا للعالمين لتعليل الامر وتاكيد
وجوب الامتثال به كما ان قوله تعا وهو الذي اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر به
من الامور الثلثة وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك
لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعا بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من
مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اي قائما بالحق او ملتبسا بالحق او خلقا ملتبسا به قوله تعا ويوم يقول
كن فيكون قوله الحق استيناف لبيان ان خلقه تعا لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف
على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق
بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف
لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار
الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا وتمثيلا كما هو المشهور
فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد
الاحيان الحق المشهود له بالحقية المعروف بها او قد قيل قوله مبتداء والحق صفته ويوم يقول خبره
مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى وقوله الحق كائن حين
يقول للشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير
في واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله
الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيامة
فيكون التكوين حشر الاجساد واحيائها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد
اختصاص الملك به تعا بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع
العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعا لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية
والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف
على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على
نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعا وما يتبعه من شئونه تعا وقت قول ابراهيم
الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم
وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالغ وكذلك تارخ ذكره محمد
بن اسحاق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه
بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف
بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي
المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف المضاف

واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزرُ على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من
الاعلام أتتخذ متعدٍّ الى مفعولين هما اصناماً آلهةً اي أتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ
الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أَأَزراً بفتح الهمزة وكسرها
بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازراً ثم قيل تتخذ
اصناماً آلهة تثبيتاً لذلك وتقريراً وهو داخل تحت الانكار لكونه بياناً له وقيل الازر القوة والمعنى
الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناماً آلهة انكاراً لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم
العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالاً
لا اشتباه فيه اصلاً والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل
للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر
البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك
اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما افادة اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة وقدم على الفعل لافادة القصر و
اعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له اي ذلك التبصير
البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه
القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوباً ومملوكاً له تعالى لا تبصيراً آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة
المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله
سلطانه او لا فقد قيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه
كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل
ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي
ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام
من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث
دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حساً كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح
عن كون المشار اليه امراً بديعاً فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى
بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى
وليكون من الموقنين متعلق بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة
الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير
البديع المذكور لا لأمر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير
لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما
سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة

بالفعل

بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها
وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتهما لا من
اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال
ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق
فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهوراً
تحت ملكوته مفتقراً اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين
في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام باستحالة
الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت
السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى
جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكباً جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال
نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق
الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريباً من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل
هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة
على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما
ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كأنه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب
فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة
في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلاناً واستحالة
من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في
طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته
واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة
وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلاً لما ذكر من الاراءة وبياناً لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك
مما يخل بجزالة النظم الكريم وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين
اي لا ارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل من استحقاق
الربوبية قطعاً فلما رأى القمر بازغاً اي مبتدئاً في الطلوع اثر غروب الكواكب قال هذا ربي على الاسلوب
السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من
القوم الضالين فان شيئاً مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار
النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكواكب والقمر
وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكواكب قريباً منه وافقه الشرقي مكشوفاً اولا والا فطلوع
القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع
مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية

هو الجرم النابر من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير
الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة
مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت
اي غابت كما افل الكواكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون
اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها ومن اشراككم و
ترتيب هذا الحكم ونظيره على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا
المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق معروضة للربوبية قطعا
لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الاثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول
على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق
المذكور منافاة بينة لكل ويعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم
توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هذه الاجرام
التي تعبد وتهاب من اجزائها والارض التي تعبد هي فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد
الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته
في امر التوحيد قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام
حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترءوا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب
وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هداني
حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده
مما يوجب استحالة محاجته عم اي اتجادلونني في شانه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق
بعد ما سلكت طريقتكم بالعرض والتقدير وتبيين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف
ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال
لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام
بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ
من اعم الاوقات اي اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت
مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه
اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى
واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما
كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها
بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى
افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التامل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع
ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره
اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم

تعالى

استيناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد نفيه عنه
بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين
عهد عند رسوله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون
بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أأخاف
لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى
جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون
انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير
العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا
في محل الخوف فلان لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا
وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في
الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم
سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله
تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل
من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه
اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي
الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي
الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه
كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقيق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى
الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة
التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام
على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف
فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد الالجاء الى الجواب
الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان
كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق
بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالكلية اي ان كنتم من اولي العلم وجواب
الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استيناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه
اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون
حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها
لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك
اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر
ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد

للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا ثان وقوله لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدا
مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدا الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا
من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر للموصول والامن فاعل للظرف لاعتماده على المبتدا ويجوز
ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدا والجملة خبر للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدا ثانيا ولهم خبره
والامن فاعلا له والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك
لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك
على الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس
ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدقوا
بوجود الصانع الحكيم ويخلطوا بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضيته الخلط بقاء الاصل
بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب
عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من
قوله تعالى اتحاجوني الى قوله تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه
والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها
الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل
النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في
محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدا وابراهيم مفعول اول لآتينا
قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف
ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة
الالتفات وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها
على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء
وتأخيره على الوجوه الثلثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة
محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم
عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي
في محل النصب على انها حال من فاعل آتيناها اي حال كوننا رافعين لها ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض
عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب
مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام
اظهار لمزيد لطف وعناية به عليه السلام ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ
فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على
آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من
الحالية والخبرية المستدعيين للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر

لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون
الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب
بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان
شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة
من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك
لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير له لاختص بالبعد والدين في هذه الآية والتي بعدها
واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء
كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن
اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم
مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما
في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان
وايوب هو ابن اموص بن رازح بن عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع
حالا من المذكورين اي وهدينا هم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء
ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي
المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس
وبمماثلة جزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال و
الاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به
ابراهيم عليه السلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده
وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف
لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل
لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المشار اليه
لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه والاظهار
في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه
اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم
بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا
وهو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات
والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط
هرون اخي موسى عليه السلام كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي الكاملين

في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به
للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ واليسع وهو على
القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول
من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو ابن متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخي ابرهيم
عليهم السلام وكلا اي كل واحد من هؤلاء المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على
العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما
متعلق بما تعلق به من ذريته والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات
كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على
فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما
هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دل
وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء
من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل
بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا
يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم اولئك
الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما
ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير
مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية
والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم
من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين
والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها
اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان والقيام بحقوقها
قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية
الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما
حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان
بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا
وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها

اشاره صح

بها صح

من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو
اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي
من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها
واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية
لتاكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر انفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى
المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة
والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا
فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بها بكافرين قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم
بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف
المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه تتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء
والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة
الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية
فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان
بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء
في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن ايثارها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء
بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على القرآن او على التبليغ
فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يساله من قبلي من الانبياء
عليهم السلام وهذا من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اي القرآن الا ذكرى للعالمين
اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين
شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم اتيانها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب
الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف
مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه وحق قدره نصب على المصدرية
وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه
موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في
ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما
ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم
له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط
والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحط بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من
يناجي مستقصر المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك

وقوله تعالى صح

او ما لم تعرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترأوا على
التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة
في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث
قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر
وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين
قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله تعالى عنه
فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون
والزامهم انزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول للايماء الى زيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا
تقييده بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تأكيد
وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى
للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد
بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التوراة فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم
للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث
قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على
تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم
بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة
والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه
والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل لها من الاعراب
والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التوراة وقرئ الافعال
الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل
هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين قلت فينبغي ان يجعل
ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتأكيد
التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء و
والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه مأخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم
لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس
عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما نطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما
صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما
ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس

الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية عن تأكيد
التوبيخ فلا يستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء
الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما
عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا
لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل الخطاب
لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا
ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك
بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر
او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة
والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به
من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد وجم المنافع
مصدق الذي بين يديه من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق
للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ
ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذار اهلها اصل مستتبع
لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من
اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من افانين العذاب
يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل
حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من
من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها من بين سائر الطاعات
وكونها اشرف العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه
نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي و
متابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير
تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من لا افضل من زيد او لا
اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي
الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن
ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل
خلق الانسان ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله

بان صح

اهل مكة وانما ذكرت
باسمها المنبي عن كونها
اعظم القرى شانا وقبلة
لاهلها قاطبة ايذانا
بان انذار صح

كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى
الظالمين اذ هم في غمرات الموت اى شدائده من غمره اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض
ارواحهم كالمتقاضى الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس
او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اى اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم
من العذاب اليوم اى وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون
اى العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التى كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتأنيث وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم
اول مرة بدل من فرادى اى على الهيئة التى ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعدده
او حال من الضمير في فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى
مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
اى شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع الوصل بينكم كما يقال جمع
بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم
وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اى تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اى ضاع
او غاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى
شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة
التوحيد والفلق الشق بابانة اى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذى في
الحبوب والنوى اى خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق
قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحى من الميت اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات
مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان ومخرج الميت
كالنطفة والحب من الحى كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج
الميت من الحى ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم الله القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة
وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح
خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على جمع صبح اى
فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش الذى يلى
الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ
جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة

ككسالى

المتجدد حسب تجدده لا الجعل الماضى فقط وقال ابو سعيد السيرافى وقيل اسم الفاعل من الفعل
المتعدى الى اثنين يعمل في الثانى وان كان بمعنى الماضى لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثانى لتعذر الاضافة
بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله
والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر والرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان
حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات التى نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان
حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى
جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اى ذلك التسيير البديع تقدير
العزيز الغالب القاهر الذى لا يستعصى عليه شئ من الاشياء التى من جملتها تسييرهما على الوجه
المخصوص العليم بجميع المعلومات التى من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش
الخلق ومعادهم وهو الذى جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى
في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلق به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير
مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا
بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل الاشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض
منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير
اى جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز والبحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات
البر والبحر اى في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء
بها انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا
الآيات اى بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التى هذه النعمة من جملتها او الآيات التكوينية
الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اى معانى الآيات المذكورة ويعملون بموجبها
او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم
المنتفعون به وهو الذى انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته
ولطيف صنعه وحكمته اى انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى
فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم
الطبيعى كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعى وقد
حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اى فمنكم
مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة
لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة
وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بنى آدم مما يحار في فهمه الالباب
وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شان النجوم وهو الذى انزل من السماء ماء

اليه

تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اى انزل من السحاب او من سمت
السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت
الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشأن ما انزل الماء لاجله اى فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته
نبات كل شىء من الاشياء التى من شأنها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة فى الكم
والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا فى مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع فى
تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذى لا ساق له
شيئا غضا اخضر يقال شىء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته
خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اى نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل
المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى
ومن النخل شروع فى تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر
مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله الخ والطلع شىء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى
قنوان مبتدأ اى وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اى
ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على
حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شىء من طلعها قنوان
وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها
ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة
من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتى بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة
متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة
فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شىء اى واخرجنا به جنات كائنة من اعناب
وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل
وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير
اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا
الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين
الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى
به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف فى نحو قوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز
ان يكون حالا من الرمان لقرابته ويكون الحذف من الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه
غير متشابه فى الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة

صانعها

صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اى انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج
ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اى والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به
ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع
كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهى لغة فيه وقرئ يانعه ان فى ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما فى اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اى لآيات عظيمة
او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث تلك الاجناس المختلفة والانواع
المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار فى فهمه الالباب لا يكاد يكون الا
باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد
يناويه او ند يقاومه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء
اى جعلوا فى اعتقادهم لله الذى شأنه ما فصل فى تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اى الملائكة
حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية
او الشياطين حيث اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل
نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم
ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم
عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق
او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه
شركاء لله تعالى فقيل الجن اى جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابى حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على
تقدير هم الجن فى جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة
للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما فى جعلهم
ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اى وقد علموا انه تعالى خالقهم وقيل الضمير
للشركاء اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى
وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى
وخرقوا له اى افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا
بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا له اى زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اى بحقيقة ما قالوه من
خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من
الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت
لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه
عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد
البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى
واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا

وعلمائه بها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى
التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير
الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران
لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة
من اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اي تنزه تنزها بليغا لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى
فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة وما في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل عما يصفون
اي تباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما
بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه
ائمة اللغة كالصريح بمعنى المصرح وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس
وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة
المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه
من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم
ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي
والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه
فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل
او من الضمير المجرور في سبحانه على راي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا
محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين
الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدا خبره قوله تعالى انى يكون له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة
مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى ولم تكن
له صاحبة حال موكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء
ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء
الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا
والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل
للفصل او لان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه
يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة ح لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه
الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستانفة
اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له ولد والحال
انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى
فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا
او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما

يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان ومما سيكون من الذوات والصفات
والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استيناف
مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا عليها بغير علم ذلكم
اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد شان المشار اليه وبعد
منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله
الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة
خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع
انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم
الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل تقدير لكل من الاخبار الثلثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم
واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو
المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي هو
مع ما فصل من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه
وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد يطلق
على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه
الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به
فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل رحمه الله
لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه
خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين
على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا
من مقابل الكثيف لما لا يدركه بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف
وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما ان
البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة هيهنا او جميع الآيات المنتظمة بها انتظاما اوليا
ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق
بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن
ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه
مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما
عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اي مثل
ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا
تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق

عليه اي وليقولوا درست نفصل ما نفصل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل
هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة
وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الآيات
وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا الامر معناه الوعيد والتهديد وعدم
الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست
العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست
وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة
وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله
عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او
[illegible] او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل
لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي لنفعل
التبيين واللام في قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به
قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الآخرين
وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات
عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم
على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا اله الا هو
اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا
من ربك اي منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها
ما حكى عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله
اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون
مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى
يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان
واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم
حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم
بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده
قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي
لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى
وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم

انهم

انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا
عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة
وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا
لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان
يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب
الله لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير
بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل
لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من
الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة
فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة
وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال
عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه
النشأة بصور مزينة تستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة
بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها
الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روي
ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون
اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله عليه السلام
بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين عليه السلام
في ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة
والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة
من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها
الارض وتسير بها الجبال قل انما الآيات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله تعالى اي امرها
في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تعلق بها ولا بشأن
من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى
لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو
شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من
ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها وهو القادر عليها لا انا
حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى
يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر

مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون
اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم
لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود
وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس
الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون
بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه بسط
عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار
والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة
لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها
بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم
محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم
حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه
انما يليق بما اذا كان ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما
يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال
قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها كما هي الآن ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم
عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها
بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم
ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة اي عند
ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية
اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما
لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد
بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله
سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها اليه واستعدادها له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم
بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم
حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون
حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على اسنادهما الى ضميره جل جلاله
وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح
بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه
من الآيات اثر بيان ان امرها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه

بها تحقق الوجود عند مجيئها لا مرجوا لعدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسب ما سيقع زيادة تحقيقا لعدم ايمانهم صح

وبيان

وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه وآكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه
ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا
الملائكة وقولهم لو ما تأتينا وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم
حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقرئ
بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل
كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم
نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء تتأتى منه الكفالة والشهادة
بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق
لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا
فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا
على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد
نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه
على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم
في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا
ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته
المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة
وغيرها الا لمشيئته تعالى له واياما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع
بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها
كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب
افئدتهم الآية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية
بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد به المسلمون وهو الظاهر
او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول
فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته
ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون
عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة
مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون
عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيقسمون بالله جهد ايمانهم
على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان مبتدأ لمنشأ خطأ المقسمين ومناط
اقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم

بالملائكة صح

حالهم صح

اذا

لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الأقاويل والأفاعيل ببيان أن ذلك ليس
مختصا بك بل هو أمر ابتلي به كل من سبقك من الأنبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت
لمصدر محذوف أشير إليه بذلك منصوب بفعله المحذوف وما مصدرية والتقديم على الفعل المذكور
للقصر المفيد للمبالغة أي مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا أيضا دونك
يضارونك لا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في إبطال أمرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا
فعلوا بهم ما فعل بك أعداؤك لا جعلا أنقص منه وفيه دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء عليهم السلام
بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الإنس والجن أي مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى البيانية وقيل
هي إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الإنس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام أي الشياطين
للإنس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد إلى واحد أو إلى اثنين وهو أول مفعوليه قدم عليه
الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل أو بمحذوف هو حال من عدوا
وقوله تعالى يوحي بعضهم إلى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه
بين المشبه والمشبه به أو حال من الشياطين أو نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فإنه عبارة
عن الأعداء كما في قوله إذا أنا لم أنفع صديقي بوده فإن عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الإيماء
والقول السريع أي يلقي ويوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض كل من الفريقين
إلى بعض آخر زخرف القول أي المموه منه المزين ظاهره وباطنه من زخرفه إذا زينه
غرورا مفعول له ليوحي أي ليغروهم أو مصدر في موقع الحال أي غارين أو مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال
من فاعل يوحي أي يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع إلى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين
أممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف
في التسلية أي ولو شاء ربك عدم الأمور المذكورة لا إيمانهم كما قيل فإن القاعدة المستمرة أن مفعول المشيئة
إنما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ما فعلوه أي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك
وإيحاء بعضهم إلى بعض منهم مزخرفات الأقاويل الباطلة المتعلقة بأمرك خاصة لا بما يعم وأمور الأنبياء
عليهم السلام أيضا كما قيل فإن قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في أن المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى
الله عليه وسلم أي إذا كان ما فعلوه من أحكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم
أو وما يفترونه من أنواع المكايد فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته
تعالى فاتركهم وافتراءهم أو وما يفترونه من أنواع المكايد فإن لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب
حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى إليه أي إلى زخرف القول وهو على الوجه
الأول علة أخرى للإيحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وإنما لم ينصب لفقد شرطه أو الغرور فعل
الموحي وصغو الأفئدة فعل الموحى إليه أي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل إليه أفئدة
الذين لا يؤمنون بالآخرة إنما خص بالذكر عدم إيمانهم بالآخرة دون ما عداها من الأمور التي يجب الإيمان
بها وهم بها كافرون إشعارا بما هو المدار في صغو أفئدتهم إلى ما يليق بهم فإن لذات الآخرة محفوفة

والمعنى مؤكد لما بعده وذلك إشارة
إلى ما يفهم مما قبله أي جعلنا
لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا
لك عدوا والتقديم على الفعل
منه

الباطل منه

قومه المفهومة من حكاية
ما جرى بين الأنبياء عليهم
السلام وبين منه

ن بين النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وبأحوال ما فيها لا يدرون
أن وراء تلك المكاره لذات ودون تلك الشهوات آلاما وإنما ينظرون إلى ما بدا لهم في الدنيا بادي
الرأي فهم مضطرون إلى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الأقاويل وموهومات الأباطيل وأما
المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين إلى عواقب الأمور لم يتصور منهم الميل
إلى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها وأما على الوجهين الأخيرين فهو علة لفعل محذوف
يدل عليه المقام أي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة أو لام القسم
أو لام الأمر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لأنفسهم بعد ما مالت إليه أفئدتهم وليقترفوا أي يكتسبوا
بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها أفغير الله أبتغي حكما كلام مستأنف
وارد على إرادة القول والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام أي قل لهم
أأميل إلى زخارف الشياطين فأبتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل إن مشركي
قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار اليهود أو من أساقفة
النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت وإسناد الابتغاء المنكر إلى نفسه عليه السلام لا إلى المشركين
كما في قوله تعالى أفغير دين الله يبغون مع أنهم الباغون لإظهار كمال النصفة أو لمراعاة قولهم اجعل بيننا
وبينك حكما وغير إما مفعول أبتغي وحكما حال منه وإما بالعكس وأيا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو
المعطوف بالفاء حقيقة كما أشير إليه للإيذان بأن مدار الإنكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء
وقيل حكما تمييز لما في غير من الإبهام كقولهم إن لنا غيرها إبلا قالوا الحكم أبلغ من الحاكم وأدل على الرسوخ
لما أنه لا يطلق إلا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي أنزل إليكم
الكتاب جملة حالية مؤكدة لإنكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الإنزال إليهم خاصة مع أن مقتضى المقام
إظهار تساوي نسبته إلى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم إلى قبول حكمه بإيهام قوة نسبته
إليهم أي أغيره تعالى أبتغي حكما والحال أنه هو الذي أنزل إليكم وأنتم أمة أمية لا تدرون ما تأتون وما تذرون
القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب مفصلا أي مبينا فيه الحق والباطل
والحلال والحرام وغير ذلك من الأحكام بحيث لم يبق في أمر الدين شيء من التخليط والإبهام فأي حاجة بعد
ذلك إلى الحكم وهذا كما ترى صريح في أن القرآن الكريم كاف في أمر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله
وأما أن يكون لإعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك
بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب
الذي نيط به أمر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان أن الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم
حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التوراة و
الإنجيل باسم الكتاب إيماء إلى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من
عنده تعالى مع ما فيه من الإيجاز وإيراد الطائفتين بعنوان إيتاء الكتاب للإيذان بأنهم علموه من جهة كتابهم حيث
وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الأصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن أمور لا طريق إلى
معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول إما علماء الفريقين وهو الظاهر فالإيتاء هو التفهيم بالفعل وإما الكل

وهم داخلون فيه دخولا أوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك
وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في
منزل اى ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اى في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة
فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب
التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة
وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمترى فيه والفاء
على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور
من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب
به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ
كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى
وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها
في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت
الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا
من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل
ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة
دخولا اوليا بهذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله
عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها
وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب
الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا
منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة
متصفون بنقايض تلك الكمالات من النقايص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة
الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون
اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها
اى ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة
التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون
او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ
من الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى
مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل
في حكمه اى يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان

ان زعموا انما

ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وانى لهم ذلك
ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اى هو
اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم
فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل هو عليه او استفهامية
مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على
ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اى هو اعلم
يعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن
منصوبة بما ذكر اى يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اى اعلم المضلين
من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السياق و
السياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مرتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم
تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما
قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى
او مات حتف انفه ان كنتم بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فان الايمان
بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ان لا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن ما ذكر عليه اسم الله تعالى من
البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى آخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى واى سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه او واى غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم
ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الى محرما الى آخره فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت
عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول وقرئ الفعلان
على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا
حلال حينئذ وان كثيرا اى من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه
وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة
مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت او اتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اى يجسبونه
من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل
للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا
واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام

بالذات لا بالغير مه

اكل مه

ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر
عليه اسم غير الله تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه
بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده
فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب
ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم
بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال
الحرام وسائر ما توهمهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره
واتبعه في دينه فقد اشركه به تعالى بل آثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل
فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم
مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل
اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام
اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له
مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام
كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له
كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بهما اللفظ لا
المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها
خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج
منها بحال وهيهنا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل
اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء
لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة
تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت
من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئات على حدة ومن الامور المتعددة
المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما
فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
الآية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة
التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كما في هذين
التمثيلين ونظايرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل
بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين
التابعين للوساوس الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما
استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنه من القبايح فانها لو لم تكن مزينة

لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل
في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها
جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها
على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه
فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها
مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور
التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سباق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل
مشبها بنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما فهم
من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى ح بعد اللتيا والتي
كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فالاقرب ان ذلك اشارة
الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على
انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر
مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية
اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل
مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود
الاستثناء على النفي اي وانما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم
يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية
ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا
عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبرائيل عليه السلام
فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهو كما ترى
صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل
اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق
الوحي ومخاطبة جبرائيل عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته
عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبرائيل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها
في موضعها الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون
تلك الآية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى ياتينا جبرائيل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا بذلك
ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبرائيل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق
ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف

حتى اذا صار كفرسي رهان قالوا اتنا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا وحي كما ياتيه وقال
الضحاك سال كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم
ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للاستكبار المذكور لكنه يقتضي
ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شمول
لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى ياتينا وحي كما ياتيه الخ غاية لعدم الرضا لا لعدم الاتباع
فانه مقرر على تقديري ايتاء الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة
مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال للرسول صلى
الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت
فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا
لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها
من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة
حقا الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق وماله
تعليق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما
مصدرية اي حتى نؤتاها ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائهم
وحيث نصب على المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم
يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب
والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالته
سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعدما نعى عليهم جناياتهم
مما تلوه والسين للتاكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم
المستتبع لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من
عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل
من عند الله وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر
او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه
اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح وهو كناية عن
جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله
عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل
لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا
بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد [illegible]
لدخوله كان على الحالة الفعلية في السماء شبهه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد

ان صح

يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه
الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا
على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج
الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع
المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر
وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه
الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم
ذلك الصراط للتربية واضافته للكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله
تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون
يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء
الله تعالى وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم
المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلام من كل المكاره وهي الجنة
عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم ومحبهم
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم
جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر
والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم
يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده
الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من
اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود
وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس
اما للبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم
اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات
وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم
وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز
والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت
لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث
واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين
للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم اي ذات
ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا

كما يمتنع منه صح

ونفي الاضافة ان جعل مكانًا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله عنه استثنى الله تعالى قومًا قد سبق
في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي عليه السلام وهو مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما في من
وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديًا
فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم
وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين
في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدًا الا ما امهلكم لا يخفى
بعده ان ربك حكيم في افاعيله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك
اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضًا آخر منهم
اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك
في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه
من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم
بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل
امرهم الم يأتكم اي في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحدة
من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى
منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معًا بل من
الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتًا واتحادهما تكليفًا
وخطابًا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل
وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرًا
من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله يقصون عليكم آياتي صفة اخرى
لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين
وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا اي يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم
من افانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا
قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم
وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية
جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم
الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا
الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجاهم الى الاعتراف في الآخرة بالكفر واستيجاب العذاب وذم
لهم بذلك اي اغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم
المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا
في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالآيات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل

نذيرهم

المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة
الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية
او مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم
او بمحذوف وقع حالًا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية لتوسطهم و
اما كونه حالًا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذة في معنى الظلم وحقيقته
لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشأن
لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه
برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبًا لهم
قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب
العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي
الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل
اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين
الدنيوي والاخروي معًا من غير انذار على ابلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب
الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى
حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى
واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي
ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحًا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى
ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين
فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضًا كذلك فينزجرون عن الاخلال بمواجب الانذار
اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى
ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام
والله سبحانه اعلم ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة
مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء
مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون
بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبًا للمخاطب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر اي هو المعروف
بالغنى عن كل ما سواه كائنًا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض
لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الآتي لها ايضًا ما لا يخفى وقوله تعالى

بين

وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلاً لهم ويمهلهم على المعاصي
وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ
يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى
ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم
عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحماً عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على
انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كانشائكم او نعت
لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافاً كائناً كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها
من الغنى والرحمة انما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة
الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع و
ايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه
قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما
ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان
انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها
حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في
الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن
مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة ومقام ومقامة
وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام و
الاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد
يريد تعذيبه مجمعاً عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي
امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلاً فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتأكيد
مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء
وتكون باسمها وخبرها خبراً لها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون
اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها
مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال
وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي الشأن لا يفلح
الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذاناً بان امتناع الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد
الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة
بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج

علي
ان من

لله تعالى وشيئاً منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً
رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه متعللين بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب آلهتهم
وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى
من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جماداً لا
يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له اي عينوا له تعالى مما خلقه من الحرث والانعام
نصيباً يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتأخيره عن المجرورين لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر واما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيباً
له وما قيل من ان الاول نصيباً والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيباً
تدل على انهم جعلوا للشركاء ايضاً نصيباً ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا
لشركائنا وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله
تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه
على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني
ويجوز ان يكون ذلك تمهيداً لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه
الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل
الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه
لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكياً يصرف
الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على
سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم
وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة
يحكمون عليه وكذلك اي ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين
آلهتهم او ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوأدهم و
نحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب
وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول
لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه
مفصولاً بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار
فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم
اي ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام
او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من
السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او
الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه

من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة
الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث
للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله
حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء
والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بالمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم
الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اي قالوا مشيرين
الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام
ونوع انعام كما في قوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره
بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم
رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر
عليها الاسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم
طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا
ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير
عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء
لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم
بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من فنون
كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة
والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف
المضاف اي ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على
ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف
المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ
ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر
المعتاد وان يكن ميتة اي ان ولدت ميتة اي الذكور منهم والاناث فيه اي فيما في بطون الانعام
وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ
خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا
ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة
الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في امر
التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان
الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين
قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب

على التقديرين صح

كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا
على انه علة اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه
قرئ سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوهما افتراء على الله
نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم
قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات
او ما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة ح اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا
وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشأهن
من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات ما غرسه من الكروم المرفوعات
على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس
وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي
انشأهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية
والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل
واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس ذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي انشأهما
وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون او الهيئة او الطعم
ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل
فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان
به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة
والسورة مكية وقيل الزكاة والاية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن
وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها
ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى
في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي وانشأ من الانعام ما يحمل عليه
الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة
للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر
من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها
لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء
انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان و
استتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من
جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا
العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطونها و

يتصدق صح

بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجملة مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا مما
ما يعني مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى
حمولة وفرش ثم تفصيلهما الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثاني
الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه
سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه
الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب
بناصبه وهو العامل فيه من اى انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين
عطف على مثله شريك له في حكمه اى وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين ماعز كصاحب
وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها
في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به
الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل
والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشأها اى قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين
من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اى الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما
النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا
قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى
نبئوني بعلم الى آخره تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اى اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى
من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة
بعلم صادرة عنه ان كنتم صادقين اى في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف
على قوله تعالى من الضأن اثنين عطف زائد على قوله تعالى من الضأن اثنين اى وانشأ من الابل اثنين هما الجمل
والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا آلذكرين منهما
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه
حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث
وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه
وانما عقب تفصيل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول
التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث اما اشتملت
عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم
شهداء تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى
بل الاضراب على التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله

بهذا اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقودا اليه مذهبكم الى معرفة
امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة
وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اى فاى فريق اظلم
من فريق افترى الخ ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب
ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اى هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا
الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل افترى اى افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك
مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من
افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم
بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او
آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل امر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له
قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم وفي قوله لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو
الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة
في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اى لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما من المطاعم
التي حرموها على طاعم اى اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى
يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اى ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر
وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه
اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير
فانه اى الخنزير رجس او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير
وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اى ذبح على اسم الاصنام وانما سمي
ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن
راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اى اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة
بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه
لو وجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من
اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه
حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز
عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة
ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد

بغير علم بصدوره عنه تعالى مع
احتمال الصدور عنه اذا كان
اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن
افترى عليه تعالى

محرما

فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا فيما ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها
على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين
هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل
والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم
حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف
من حصر المحرمات فيما فصل وابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم
الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من
الشحم بظهورهما عن حكم التحريم بالتبعية او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملت الحوايا وهي جمع حاوية
او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت
وهو الشحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم
من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد
لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو
قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا
بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم
ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد
القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم
ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك
قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل
للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من
ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي
ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من
تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل
من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على
تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على
المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على نزول البأس عليهم مع
الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا
حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار به قبل وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين

لسنا صح

ثم وقوعه صح

اشركوا

اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من شيء صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء
خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به
ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى
اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الاية الى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم
اي مثل هذا التكذيب لك في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه
صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا
عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه
لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من
الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع
الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف
اي واذ قد عرفت ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية
المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي
من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم جميعا لهداكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم الى سلوك طريق
الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم
اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع بني تميم على رأي الجمهور وقد
خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير
السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام
وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا
بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعدما حضروا ان الله
حرم هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه
منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام للدلالة
على ان من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا
بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة
مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم فان من يكذب بآياته تعالى
لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى
لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على
ان يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها كظهور عجزهم عن اخراج شيء
يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا من امر التحريم بعدما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا

من دونه صح

على لغة صح

المضمر صح

على الصفة صح

قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا
من ان اشراكهم واشراك آبائهم
وتحريم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيئته صح

إثر ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذانا بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا أجد الآية وتعال أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من في مكان عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة أتل جواب الأمر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو بحرم على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أقل أي شيء حرم ربكم وعليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى أن لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المتعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا للتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضا كذلك حتى يمنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا والمحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الأول لما مر من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية والمفعولية أي لا تشركوا به شيئا من الإشراك أو شيئا من الأشياء وبالوالدين أي وأحسنوا بهما إحسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا أولادكم تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد من إملاق أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل ههنا أي الفقر الناجز وثمة المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تقدموا على ما ذكر للفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا

الزنا

الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن أي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذاك الوأد الخفي ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى إلا بالحق استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة أو من أعم الأسباب أي لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلوها قتلا ما إلا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة ذلكم إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به أي أمركم به ربكم أمرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله ولإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ أشده فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه إليه كما في قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم والأشد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وآصر وقيل هو مفرد كآنك وأوفوا الكيل والميزان بالقسط أي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإيذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم وإذا قلتم قولا في حكومة أو شهادة أو نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان أي المقول له أو عليه ذا قربى أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله أوفوا أي ما عهد إليكم من الأمور المعدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله عليه من الأيمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به أمركم به أمرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار

عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم
كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي
نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات
وأن هذا صراطي إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي قاله مقاتل وقيل إلى ما ذكر في السورة فإنها
بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى إضافته إلى ضميره عليه السلام
انتسابه إليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل
من الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام أيضا وأنه عليه السلام مستمر على
العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل أن مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة أي ولأن هذا
صراطي أي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وتعليل
اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث أن سلوكه عم
فيه داع للخلق إلى الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على
الاستئناف وقرئ أن هذا مخففة من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ
سراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف إحدى التاءين والباء للتعدية
أي فتفرقكم حسب تفرقها أيادي سبا فهو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه
من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذهبه عن سبيله أي سبيل الله الذي لا عوج فيه
ولا حرج وهو دين الإسلام الذي ذكر بعض أحكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه
تنبيه على أن صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى ذلكم إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله
تعالى وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة
ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا
لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف
على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف
تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف
على ما يدل عليه معنى أو لم يهد للذين كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع وأما عطفه على ذلكم
وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما أجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم
فتدبر وثم للتراخي في الإخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أو للتفاوت
في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة
فإن إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة و
النعمة أي إتماما لها على أنه مصدر من أتم بحذف الزوائد على الذي أحسن أي على من أحسن القيام
كائنا من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين أحسنوا وتماما على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه
وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة

الى اخره صح
وحديثا صح
من صح

على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي على الذي هو أحسن وارتضاه وآتينا
موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا م
مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما إما على العلية أو على المصدرية
كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني إسرائيل المدلول
عليهم بذكر موسى وإيتاء الكتاب والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون م
قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنه كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا م
بالثواب والعذاب وهذا الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن كتاب عظيم الشأن
لا يقادر قدره وقوله تعالى أنزلناه مبارك أي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم
وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران آخران لاسم الإشارة أي أنزلناه
مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنياوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى
فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه
عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه أي إيجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه والعمل بموجبه أن تقولوا علة لأنزلناه المدلول عليه بالمذكور لا للمذكور للزوم
الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي هو مبارك وصفا كان أو خبرا أي أنزلناه كذلك كراهة
أن تقولوا يوم القيمة لو لم ننزله إنما أنزل الكتاب الناطق بتلك الأحكام العامة لكل الأمم على
طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما اللذان
اشتهرا فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة وإن كنا إن
هي المخففة من أن واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما
يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم لم تعملوا بأحكامه العامة أي وإنه كنا
عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة
ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما
في الكتابين لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال
القرآن لاشتماله أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط أو تقولوا عطف على تقولوا وقرئ
كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل
عليهم لكنا أهدى منهم إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام
والشرائع ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنون العلم كالقصص
والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرفا حالكا ونحن أميون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق
بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إما معلل به أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ وإما شرط له
أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير
نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة وأي بينة أي حجة واضحة لا يكتنه كنهها
وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم أو بمحذوف هي صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأيا ما كان

دين صح
لكونه جملة صح

ففيه دلالة على فضله الاضافي كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضله الذاتي وفي التعرض
لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تأكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف
على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى
والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين
الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن المشتمل على الهدى
والرحمة موجب لغاية اظلمية من كذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بآيات
الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة
واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للامر
وتنبيها على ان تكذيب اي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القرآن
المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك
التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد
مر مرارا وصدف عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين
يصدفون الناس عن آياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم
لهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد
النكاية بما كانوا يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار
وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون
استيناف مسوق لبيان انه لا يتأتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى
وانهم لا يراعون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة
وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل و
الاعذار اي ما ينتظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا
انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تأتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا
انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان تأتيهم ملائكة العذاب او يأتي امر ربك بالعذاب
والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم لان تأنيث الملائكة غير حقيقي او يأتي
بعض آيات ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات
في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم
للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل آياته يعني آيات
القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي الدخان
ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور

بانيا ٥ه

هى ٥ه

وحيث لم يكن اتيان بعض الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار
منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى
ان تأتيهم تلك الامور الهائلة التي لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت
خبير بان النظم الكريم بسياقه المبني عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها
وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة
مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان
ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا انا
منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل آيات القيامة وظهور اشراط الساعة
مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض
الاشراط الساعة ليس مما يسند به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وجل يوم يأتي
بعض آيات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه
يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك
دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب
القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها
حينئذ لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما
رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لكون الفاعل ايمانها لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تأنيثا وقوله تعالى لم تكن
آمنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف
ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت
والمراد بالترديد على النفي المفيد لكفاية احد النفيين في عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ
نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورة اشتراط النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم
والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا انه هو النافع و
تحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما
معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان
المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعموم المفيد بمنطوقه لاشتراط
عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال
الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير
المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث وما قيل من
ان عدم الايمان السابق يستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب
للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب
الخلود لغوا من الكلام لغو من الكلام مبني على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان
ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى في البيان ان يقال لا ينفع

نفسا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلي من وصفها بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث
تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيهما اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب
في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود
في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلوص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما انه
قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص منها مع دخول الجنة
فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب
اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلا اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب
النفع الزائد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به
اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة
واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت
لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم
السابقة واللاحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة
في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في
قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا
وقفت على ان الآية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب
اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان
فان مبنى اللف والتقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة
الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
فانه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين آمنوا الآية ولا
ريب في ان ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه
ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك
على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا يتأتى منهم
الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال
بوجوه اخر قصارى امرها اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية
الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من
ان الظني بمعزل من معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما
تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل
بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب
كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله عم والمؤمنين لمعاينتهم ما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك

هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان احوال
اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي
باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع
كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة
وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين
كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من الفرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى
العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست
منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في
شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شرائع الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا بآية
السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اوليهم واخريهم ويدبره
كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون
اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والانكار
بان معنى لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم براء منك يأباه التعليل المذكور
ثم ينبئهم اي يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة
في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته
اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار
ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين لمقادير
اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن
ابن عباس يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيمة
بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلا من الله
عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في
العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم
الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي
امر لرسول الله بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه
بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق
والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط
فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما
مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة

ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى ما كان
من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في
امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة
واليهود المشركين بقولهم عزير بن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح بن الله قل ان صلاتي ونسكي
اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عباداتي كلها وقيل ذبحي جمع بينه
وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في
حياتي واكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا
شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا باشراك غيره وقوله تعالى وانا اول
المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام
بل الكل مامورون به يقتدي به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغي ربا اخر فاشركه في العبادة
وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور
ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم
القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس
الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى يتاتى ما ذكرتم وقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى
حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد
الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان
الرشد من الغي وتبيين الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم السالفة
او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم
في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما اتاكم من المال والجاه اي
ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول
الله عليه السلام مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع
العقاب اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل ات
قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والالات وانه لغفور رحيم
لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة
مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم
بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل

بالتسبيح

بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة
الانعام يوما وليلة والله الموفق

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وست ايات اجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب
واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم
الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى السورة
وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد
وقوله تعالى كتاب على الوجه الاول خبر مبتدا محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف
من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه
منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على انه اريد بيان كونه مترجما باسم
بديع مبنئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية جائز الكمالات
المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدا اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل
عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل
فحقها الاخبار بها انزل اليك اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء
عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدا الانزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما انزل
اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم
الشان انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك
مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه
انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام عن نسبته اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال
القلبية التي يستحيل اعتراؤه اياه عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج و
الالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه
اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال
حرج منه اي ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته
او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على
مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثاني
فهو لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه السلام
عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان
صدور المنهي عنه عن المنهي واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه
عليه السلام به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة كما في

من لا يمكن صدوره عنه صح

قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أرينك ههنا فإن النهي هناك وارد على المسبب
مرادًا به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته
أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وأن تقصر في القيام بحقه فإنه عليه السلام
كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فآمنه الله تعالى
ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به فإن كلا منهما موجب
للإقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعًا وإن كان إيجاب الثاني بواسطة الأول وقوله تعالى لتنذر به
أي بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرًا لما قبله وتمهيدًا لما بعده وجيء بها
لتوهم أن مورد الشك هو الإنزال للإنذار وقيل متعلق بالنهي فإن انتفاء الشك في كونه منزلًا من عنده تعالى
موجب للإنذار به قطعًا وكذا انتفاء الخوف منهم أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر
على ذلك وأنت خبير بأنه لا يتأتى على التفسير الأول لأن تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الإنذار والتذكير مع
إيهامه لإمكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بأن المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لإفضائه إلى فوات
الإنذار والتذكير لا أقل من الإيذان بأن ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده وأما على التفسير الثاني
فإنما يتأتى التعليل بالإنذار لا بتذكير المؤمنين إذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه
وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب بإضمار فعله معطوفًا على تنذر أي وتذكر المؤمنين تذكيرًا أو الجر
عطفًا على محل أن تنذر أي للإنذار والتذكير وقيل مرفوع عطفًا على كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف
وتخصيص التذكير بالمؤمنين للإيذان باختصاص الإنذار بالكفرة أي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين
وتقديم الإنذار لأنه أهم بحسب المقام اتبعوا ما أنزل إليكم كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين
بطريق التلوين وأمروا باتباع ما أمر النبي عليه السلام قبله بتبليغه بطريق الإنذار والتذكير وجعله
منزلًا إليهم بواسطة إنزاله إليه عليه السلام إثر ذكر ما يصححه من الإنذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه
وقوله تعالى من ربكم متعلق بأنزل على أن من لابتداء الغاية مجازًا أو بمحذوف وقع حالًا من الموصول
أو من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين مزيد لطف
بهم وترغيب لهم في الامتثال بما أمروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما أنزل ههنا عامًا للسنة
القولية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما أنزله الله
تعالى اتباعًا له تعالى عقب الأمر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه أي من
دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه حال من فاعل فعل النهي أي لا
تتبعوا متجاوزين الله تعالى أولياء من الجن والإنس بأن تقبلوا منهم ما يلقونه إليكم بطريق
الوسوسة والإغواء من الأباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والأهواء الزائغة
أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة إذ لو أخر عنه لكان صفة له أي أولياء كائنة غيره تعالى
وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل
أولياء كأنه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ
غير الإسلام دينًا وقوله تعالى قليلًا ما تذكرون بحذف إحدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ

بتشديدها على إدغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلًا
نصب إما بما بعده على أنه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر أو لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد
القلة أي تذكرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا تذكرون لا كثيرًا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون
دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز أن يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلًا ما يؤمنون والجملة اعتراض
تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الأخيرة للإيذان باقتضاء سوء حالهم في عدم
الامتثال بالأمر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة وأما نصبه على أنه حال من فاعل لا
تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به أي لا تتبعوا من دونه أولياء قليلًا تذكركم لكن لا على توجيه النهي إلى
المقيد والقيد جميعًا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية أهلكناها
شروع في إنذارهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب إعراضهم عن اتباع دين الله تعالى وإصرارهم على اتباع دين
أوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز و
الضمير في أهلكناها راجع إلى معنى كم أي كثير من القرى أهلكناها أو في موضع نصب بأهلكناها كما في قوله تعالى إنا كل شيء
خلقناه بقدر والمراد بإهلاكها إرادة إهلاكها كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة أي أردنا إهلاكها فجاءها
أي فجاء أهلها بأسنا أي عذابنا بياتًا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال أي بائتين كقوم لوط أو هم قائلون
عطف عليه أي أو قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذفت الواو من الحال المعطوفة على
أختها استثقالًا لاجتماع العاطفين فإن واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني
زيد هو فارس فإنه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفظع و
حكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة
مع أن بعض المهلكين بمعزل عنهما لا سيما القيلولة للإيذان بكمال غفلتهم وأمنهم فما كان دعواهم أي دعاؤهم
واستغاثتهم ربهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا
أماراته إلا أن قالوا جميعًا إنا كنا ظالمين أي إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه
تحسرًا عليه وندامة وطمعًا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين أرسل إليهم بيان لعذابهم
الأخروي إثر بيان عذابهم الدنيوي خلا أنه قد تعرض لبيان مبادي أحوال المكلفين جميعًا لكونه أدخل في التهويل
والفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية ذكرًا حسب ترتبها عليها وجودًا أي لنسألن الأمم قاطبة
قائلين ماذا أجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما أجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم
والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام
أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم أي على الرسل حين يقولون لا علم لنا إنك
أنت علام الغيوب أو عليهم وعلى المرسل إليهم جميعًا ما كانوا عليه بعلم أي عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو
بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أعمالهم وأحوالهم
والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه
على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته أي والوزن الحق ثابت يوم إذ يكون السؤال
والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق أي العدل السوي وقرئ القسط واختلف

القيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى م

العقاب م

واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحايف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه
الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء
والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحايفهم فيقرؤنها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى
الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي
العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم
العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثيرة من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ
الوزن في هذا المعنى شايع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى المعرفة
بمقادير الشيء ومقادير الاعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل
الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاءة بصور عرضية تبرز في النشاءة الآخرة بصور جوهرية
مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك
حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا
وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك
الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة
على صور قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور
فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال على
بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما
الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ وتظهر جميع الاشياء بحقايقها على ما هي عليه
وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي
بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها
وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر
بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن
والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان
رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او
اعماله التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق
لميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل
الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه
باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف
هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك

وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى
ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصايصهم ومن خفت موازينه اي موازين اعماله او اعماله التي
لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك
الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدا خبره الذين خسروا انفسهم
اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا
باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب
قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم
في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر
باياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم
عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم
ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب
اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم
فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها وما يتوصل
به الى ذلك والوجه في قراءة اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل
بمعنى الانشاء والابداع اي انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل
واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمها
على المفعول مع ان حقهما التاخير عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى
المؤخر فان النفس عند تاخر ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع
تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ
عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل
متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق
بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في
الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اي تلك النعمة
تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى
قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام
سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها
فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر
على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة
وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونها وانما نسب الخلق والتصوير الى
المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيد
الوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص

المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة بل من الامور التى دية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق فى ضمن خلقه
على نمط ومصنوع على شاكلته فكانهم الذى تعلق به خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم آدم طينا
غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
صريح فى انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك
بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكى بقوله تعالى واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم الآية فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه
من غير تعرض لوقته وكلمة ثم تقتضى تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا
فى سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه
عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة الى قوله ما كنتم
تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية
لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى كما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم
مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة فى الكلام العزيز
فلعله القى الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا انى خالق
بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة فى الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وتبين لكم فضله
فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا والقى اليهم خبر الخلافة
بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح انى جاعل هذا خليفة فى الارض فهنالك ذكروا فى حقه
عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر
المنجز اعتناء ببيان المأمور به واندا انا بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة فى بعض المواطن وبعضها فى بعضها
اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن آخر والذى يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة انما
فى سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان
لى علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب فى ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة عليهم السلام
وآدم عليه السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم فى شأن الخلافة من
التقاول الذى من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضيته البدلية وقوع الاختصام
المذكور فى تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما تعلق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه
وما ترتب عليه من سجود الملائكة وغناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة ومكابرة ابليس وطرده
من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود
باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم فسجدوا اى الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس
استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى
فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر فى سورة
البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين اى ممن سجد لآدم عدم كلام مستأنف يبين كيفية عدم
السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع

ههنا صح

قدمه

وما جرا بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة
صح

٣٠٥

قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق
للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه
الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هى الاشعار بعدم تعلق
المحكى بالمخاطبين كما فى حكاية الخلق والتصوير ما منعك الا تسجد اى ان تسجد كما وقع فى سورة ص ولا
مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذى دخلت عليه كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على
ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشىء مصروف الى خلافه فالمعنى ما صرفك
الى ان لا تسجد اذ امرتك فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفى سورة
الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج فى معصيته واحدة ثلاث معاص
مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام فى سلك اولئك المقربين والاستكبار مع
تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن
على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية فى التوبيخ و
اظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا فى سورة البقرة وسورة بنى
اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبنى على سؤال نشأ من حكاية
التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق
جوابه على السؤال بان يقول منعنى كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا بين الاستلزام
لمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شأنه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف
يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما فى سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حمأ مسنون فهو اول من اسس بنيانه التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين
وقوله تعالى خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ
اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل
كالانبياء عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة على وجه الاعتناء
به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية
وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور
عليه امر الخلافة فى الارض وان له خواص ليست لغيره وفى الآية دليل على الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار
باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف والفاء فى قوله تعالى فاهبط منها لترتيب
الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اى فاهبط
من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضى الله عنه
كانوا فى عدن لا فى جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واى
هبوط وفى سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته

لآدم ع م كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا و يكون وسوسته على الوجه الاول
بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا
يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط
فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز
التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد
عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين
تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك
وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدى
طوره وهصه الله الى الارض قال استيناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فما ذا
قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم و
ذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم
ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استيناف كما سلف انك من المنظرين وورود
الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك
صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره
كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت
اجالهم ازلا حسبما يقتضيه الحكم التكوينية الى وقت فناء غير من استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة
الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤل وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر و
سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل
رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد
وتعريض للثواب ان قلت لاريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة يقتضي
وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة
فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند
الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا
تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار
الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعين والطرد على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر
من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا
عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان
المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام
عليه في تينك السورتين ووفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حظه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية
مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان
كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار فان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى

المقام

المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية
افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح
في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك
بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القران الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات
لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما
واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشاؤه الغفلة عما يوجب توفير مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية توفي
كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام
وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام
الحكاية الايجاز روعي جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم
ان يجرد كلامه عن التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه
لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال
المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب اعاة
مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية
الكلام بمزايا آخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين
الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كما مر فبما اغويتني
الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم
من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما
واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي
لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم
كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن
لآدم وذريته ترصدا بهم كما يفعله القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل
الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية
كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر
والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من الجهات الاربع
التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر
باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنه
من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من
جهة حسناتهم وسيآتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه
ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان
يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما
عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان

من الاحوال فان ملاك الامر
هو مقام الحكاية واما مقام
وقوع المحكي فان كان مقتضاه
صح

الا في منهما كالمنحرف المتجانف عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين
اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدا الشر
متعددا ومبداء الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استيناف كاسلفه ارا
اخرج منها اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة عليهم السلام مذؤما اي مذموما من
ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسئول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا
لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد
جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة
لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم
اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي
المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به
اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار و
الاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه
والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد بما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها
رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها
حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف و
الايذان بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف
السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بها صريحا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ
هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف
او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا
متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان
كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة و
عند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما
وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت
في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة
وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما ان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما
اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على
الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما
على الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى

وصيغة المغالبة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل قال الله اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما م

الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما
ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية
فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما
وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا
وعلق وهب وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك
ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله
يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له
من الاعراب او معمول لقول محذوف اي قال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى
البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة
النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو
ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية
روي انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك
ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز
قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا
ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغاير يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين
في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استيناف كما مر مرارا
اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا
او اخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما
ثقة بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين
ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى حين هو حين انقضاء
آجالكم قال اعيد الاستيناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم
ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى قال ااسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده
من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا
يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها
ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها
من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون

بالبيت عريانا ويقولون لانطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان
انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا
ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل المال ومنه تريش الرجل اي تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه
بالابتداء وخبره جملة ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس
التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله
وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير
النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببه
لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من
الجنة نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم
بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة
متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك هاهنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما
حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبيب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه
من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل
الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا
واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جعل قبيله من جملته فجمع اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم
بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا
لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا
فاحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة
المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية
والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها
وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل
تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم و
لآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان
عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل
بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم
فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد
اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة
لانكار الواقع واستقباحه وتوجه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه

تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم
يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل
اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوا امره اليه تعالى
من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة
عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اي انشأكم ابتداء تعودون اليه بالاعادة فيجازيكم على
اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم
فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق
التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم ويحسبون
انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله
على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد اي طواف
او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في
الصلوة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام
الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس
ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة فقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب
في نصف الآية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من
حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من
الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة
لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان
شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع
على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر
الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش
اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل
من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو
شرب الخمر والبغي اي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي

الطعام مه

مؤكدة لمعنى وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه
برهان وان يقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافترآء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه
التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة
اجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار
الاجل مضاف اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة
اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحد من تلك
الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اي اذا جاء اجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة
اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية منه اي لا يتأخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن
لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا
كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها
الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث
يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار
لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشأن ما في حيزه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط
ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم
الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم
بآياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب
عنه وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر
تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه
وما فيه من معنى البعد للايذان بتمادیهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافترآء والتكذيب
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي
ما اثبت لهم فيه وايا ما كان فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا
من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس كتب لمن يفتري

يقصون عليكم اياتي
صفة اخرى لرسل
اي يبلون لكم احكامي
وشرايعي وقوله تعالى

على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا
جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم يريد الاول
فان حتى وان كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون بها
الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان يأتيهم ملائكة الموت فاذا جاءت قالوا لهم اينما كنتم
تدعون من دون الله اي اين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط
المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال
الرسل كانه قيل فما قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا لا ندري مكانهم
وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين
عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل وحال
التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على ان تحقق المجيء والتوفي في كل
ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء
كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا
السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون
بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت
من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها
لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار
قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا
هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم
وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي
مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم
علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود
المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او
لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شأن ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتأنيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب
على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى
يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شأنه
الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل
كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط

ومالكل ه

وهو الخياط اى ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اى ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين اى جنس
المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن
تجريدية ومن فوقهم غواش اى اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ
غواش على الغاء المحذوف كما فى قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزى الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين
القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم
والجرائر والذين آمنوا اى بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى
وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة التى شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ الذى هو الموصول والخبر الذى هو جملة اولئك اصحاب الجنة
للترغيب فى اكتساب ما يؤدى الى النعيم المقيم ببيان سهولة منازله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس
واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول
الذى هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف
هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة
او اللام المقدرة او خبرا لاولئك على راى من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما فى صدورهم من
غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضى للايذان
بتحققه وتقرره عن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم
الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير فى صدورهم والعامل اما معنى الاضافة
واما العامل فى المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هى مستانفة للاخبار عن صفة
احوالهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى
اى لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التى هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له و
واللام لتاكيد النفى وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدى وهدانا
الثانى محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ
ما كنا لنهتدى له بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب
قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء فى
قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهى متعلقة بجاءت او للملابسة فهى متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل
اى والله لقد جاءوا بالحق او لقد جاءوا ملتبسين بالحق ونودوا اى ناداهم الملائكة عليهم السلام
ان تلكم الجنة ان مفسرة لما فى النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف
ومعنى البعد فى اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها
وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون
فى الدنيا من الاعمال الصالحة اى اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من
الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى

اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم
والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثانى اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد
وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده كالبعث والحساب ونعيم
اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اى وجدناه حقا
وقرئ بكسر العين وهى لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اى بين الفريقين ان لعنة
الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة
على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين
او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اى يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل
عن الحق وهى ابعد شئ منهما والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان
فى المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اى بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف
اى على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل
العرف ما ارتفع من الشئ فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون
بين الجنة والنار حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء
والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون فى صور الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار
بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها
فى المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة
ونادوا اى رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء
والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله
وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اى نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين
فى دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم فى وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار اى الى جهتهم وفى عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن
تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل و
الثانى بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى فى النار
وفى وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذى هو الموجب للدعاء
اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدى اليه من الظلم ونادى
اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفرة حين رأوهم
فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم فى
الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم
اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم

واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة
اى من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال و
الاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا
يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما فى قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اى ادخلوا الجنة على رغم
انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اى قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر
ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين فى العمل لان هذه المقالات وما تتفرع هى عليه
من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا على
الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا فى حقهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اى صبوه
وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبنى على
السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم منعا
كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة و
نحوها والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب
الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم
نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم فى النار تركا كليا والفاء
فى فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله
تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى
انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اى بينا معانيه من العقائد والاحكام
والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس وللمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن
على علم حال من فاعل فصلناه اى عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله
اى مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بتفضيله هدى ورحمة
حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون
الا تاويله اى ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه
بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه
من قبل اى تركوه ترك المنسى من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين
انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب

اوزد

اوومن المفعول له

اونرد اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين
اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر
واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل غير الذى كنا نعمل
اى فى الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التى هى رأس مالهم الى الكفر والمعاصى وضل عنهم ما
كانوا يفترون اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة
ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام شروع فى بيان مبدا الفطرة اثر بيان معاد
الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذى خلق الاجرام العلوية والسفلية فى ستة اوقات كقوله تعالى ومن
يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم تكن هى حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار
للنظار وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش اى استوى امره واستولى وعن اصحابنا
ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه
منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به
او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه
حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر
محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن
حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر
فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اى تعالى بالوحدانية فى الالوهية
وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم
ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم
وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع
سموات فى يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة
ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار بقوله تعالى وخلق الارض فى يومين اى ما فى جهة
السفل فى يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله
تعالى خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام
اى مع اليومين الاولين لما فصل فى سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس
على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه
مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذى قد عرفتم شؤونه الجليلة تضرعا وخفية اى ذوى تضرع
وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به فى
كل شئ فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعى يجب ان لا يطلب ما لا يليق به

كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي عليه السلام
سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه
خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته
ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء
ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي امر
قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التأنيث
من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف
بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة
وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان
بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء
يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار
اللفظ لبلد ميت اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي
بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذا التذكير بتأويل المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به
ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول
والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث
القوى النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس والبلد الطيب اي الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة
نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا
عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا
وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين
المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها وقد عقب ذلك بما يحققه
ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه هو جواب

لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة م

قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا نوحا واطراد استعمال هذه اللام مع قد يكون مدخولها مظنة
للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن
لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس بعث عليه السلام على راس
اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين
وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة
وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة
واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة
استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله
الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء
وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد ولكن
الا ان جعل مبتداء فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود
او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم
هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها
ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه
استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه
فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب
بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال مبين بين كونه ضلالا
قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس
بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصده عليه السلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة
حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا
وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في
اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء
من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول
على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليه السلام
وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو
تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ
رسالته وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح

وقوله تعالى م

واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول م

بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة
على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا وقوله تعالى
واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اى اعلم من جهته تعالى
بالوحى ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه
الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم
حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحى او عجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك فى ضلال مبين من قولهم
ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اى وحى او موعظة
من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اى على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا
على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملائكة لينذركم علة للمجئ اى
ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون
عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اى ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقويكم وفائدة حرف الترجى للتنبيه
على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد
على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحى الذى
بلغه اليهم وانذرهم بما فى تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه السلام
الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا
الآيات او هو الذى يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى
فى الفلك متعلق بالاستقرار فى الظرف اى استقروا معه فى الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اى
انجيناهم فى السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره فى الظرف واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملا المتصدين للجواب فقط بل كل
من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به
والايذان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره بمقتضى
جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضى الله عنه عميت قلوبهم
عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق
بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا فى قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اى وارسلنا
الى عاد اخاهم اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما
الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى واياما كان فلعل تقديم المجرور
ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر يرشدك الى ذلك ما سيأتى من قوله تعالى
ولوطا اذ فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم كما

فى قصة عاد وثمود ومدين خولف فى النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله تعالى
هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن
نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم
لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبنى على سؤال نشأ
من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اى
وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها
والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره
بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم
عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا تتفكرون
او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على
المعطوف فقط وفى سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل
منهما فى موطن عن حكايته فى موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على
ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصص بل حال نظائره فى سائر القصص لا سيما فى المحاورات
الجارية فى الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملا الذين كفروا من قومه استئناف كما مر وانما
وصف الملا بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملاء قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام ولكن كان
يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك فى سفاهة اى متمكنا فى خفة عقل
راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين
اى فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقتهم فى التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم
ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلم الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء
يا قوم ليس بى سفاهة اى شئ منها ولا شائبة من شوائبها ولكنى رسول من رب العالمين استدراك
لما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه فى الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة
فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بى شئ مما تنسبوننى اليه
ولكنى فى غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفى الكذب اكتفاء بما فى حيز الاستدراك
ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربى استئناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل
احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام فى اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين
وكذا فى جمع الرسالات كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين
معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار
وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب او عجبتم ان جاءكم ذكر من
ربكم الكلام فيه كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اى من جنسكم لينذركم ويحذركم
عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصى حتى تنسبونى الى السفاهة والكذب وفى اجابة الانبياء صلوات الله

علیهم وسلامه من یشافهم بما لا خیر فیه من امثال تلک الاباطیل بما حکی عنهم من المقالات الحقة المعرفة عن نهایة
الحلم والرزانة وکمال الشفقة والرأفة من الدلالة علی جبارتهم القدر المعلی من مکارم الاخلاق ما لا یخفی مکانه
واذکروا اذ جعلکم خلفاء شروع فی بیان ترتیب احکام النصح والامانة والانذار وتفصیلها واذ منصوب
باذکروا علی المفعولیه دون الظرفیة وتوجیه الامر بالذکر الی الوقت دون ما وقع ذکرنا لما ان ایجاب ذکر الوقت
ایجاب لذکر ما فیه بالطریق البرهانی ولان الوقت المشتمل علیها فاذا استحضر کانت هی حاضرة بتفاصیلها
کانها مشاهد عیانا ولعله معطوف علی مقدر کانه قیل لا تعجبوا من ذلک او تدبروا فی امرکم واذکروا وقت
جعله تعالی ایاکم خلفاء من بعد قوم نوح ای فی مساکنهم او فی الارض بان جعلکم ملوکا فان شداد بن عاد
ممن ملک معمورة الارض من رمل عالج الی شجر عمان وزادکم فی الخلق ای فی الابداع والتصویر او فی الناس
بسطة قامة وقوة فانه لم یکن فی زمانهم مثلهم فی عظم الاجرام قال الکلبی والسدی کانت قامة الطویل
منهم مائة ذراع وقامة القصیر ستین فاذکروا آلاء الله التی انعم بها علیکم من فنون النعماء التی هذه
من جملتها وهذا تکریر للتذکیر لزیادة التقریر وتعمیم اثر تخصیص لعلکم تفلحون کی یؤدیکم ذلک
الی الشکر المؤدی الی النجاة من الکروب والفوز بالمطلوب قالوا مجیبین عن تلک النصائح العظیمة
اجئتنا لنعبد الله وحده ای لنخصه بالعبادة ونذر ما کان یعبد آباؤنا انکروا علیه عم مجیئه
لتخصیصه تعالی بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماکا فی التقلید وحبا لما الفوه والفوا
اسلافهم علیه ومعنی المجئ اما مجیئه علیه السلام من متعبده ومنزله واما من السماء علی التهکم واما القصد
والتصدی مجازا کما یقال فی مقابلة ذهب یشتمنی من غیر ارادة معنی الذهاب فائتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول علیه بقوله تعالی افلا تتقون ان کنت من الصادقین ای فی الاخبار بنزول العذاب وجواب
ان محذوف لدلالة المذکور علیه ای فأت به قال قد وقع علیکم ای وجب وحق او نزل جعل المتوقع کالواقع
هذا بناء علی تنزیل المتوقع منزلة الواقع کما فی قوله تعالی اتی امر الله من ربکم ای من جهته تعالی وتقدیم
الظرف الاول علی الثانی مع ان مبدأ الشئ متقدم علی منتهاه للمسارعة الی بیان اصابة المکروه
بهم وکذا تقدیمهما علی الفاعل الذی هو قوله تعالی رجس مع ما فیه من التشویق الی المؤخر ولان
فیه نوع طول بما عطف علیه من قوله تعالی وغضب فربما یخل تقدیمهما بتجاوب النظم الکریم و
الرجس العذاب من الارتجاس الذی هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوینهما للتفخیم
والتهویل اتجادلوننی فی اسماء عاریة عن المسمی سمیتموها ای سمیتم بها انتم وآباؤکم انکار
واستقباح لانکارهم مجیئه عم داعیا لهم الی عبادة الله تعالی وحده وترک عبادة الاصنام
ای اتجادلوننی فی اشیاء سمیتموها آلهة لیست هی الا محض الاسماء من غیر ان یکون فیها
من مصداق الالهیة شئ ما لان المستحق للمعبودیة بالذات لیس الا من اوجد الکل وانها لو استحقت
لکان ذلک بجعله تعالی اما بانزال آیة او نصب حجة وکلاهما مستحیل وذلک قوله تعالی ما نزل الله بها من
سلطان واذ لیس ذلک فی حیز الامکان تحقق بطلان ما هم علیه فانتظروا مترتب علی قوله تعالی
قد وقع علیکم ای فانتظروا ما تطلبونه بقولکم فائتنا بما تعدنا انی معکم من المنتظرین لما یحل
بکم والفاء فی قوله تعالی فانجیناه فصیحة کما فی قوله فانفجرت ای فوقع ما وقع فانجیناه والذین معه

ای فی الذین برحمة ای عظیمة لا یقادر قدرها وقوله تعالی منا ای من جهتنا متعلق بمحذوف
هو نعت لرحمة مؤکد لفخامتها الذاتیة المنفهمة من تنکیرها بالفخامة الاضافیة وقطعنا دابر الذین
کذبوا بآیاتنا ای استأصلناهم بالکلیة ودمرناهم عن آخرهم وما کانوا مؤمنین عطف علی
علی کذبوا داخل معه فی حکم الصلة ای اصروا علی الکفر والتکذیب ولم یرعووا عن ذلک ابدا وتقدیم
حکایة الانجاء علی حکایة الاهلاک قد مر سره وفیه تنبیه علی ان مناط النجاة هو الایمان بالله تعالی
وتصدیق آیاته کما ان مدار البوار هو الکفر والتکذیب وقصتهم ان عادا قوم کانوا بالیمن بالاحقاف
وکانوا قد تبسطوا فی البلاد ما بین عمان الی حضرموت وکانت لهم اصنام یعبدونها صداء و
صمود والهباء فبعث الله تعالی الیهم هودا نبیا وکان من اوسطهم وافضلهم حسبا فکذبوه
وازدادوا عتوا وتجبرا فامسک الله تعالی عنهم القطر ثلاث سنین حتی جهدوا وکان الناس
اذا نزل بهم بلاء طلبوا الی الله الفرج منه عند بیته الحرام مسلمهم ومشرکهم واهل مکة اذ ذاک
العمالیق اولاد عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح وسیدهم معاویة بن بکر فجهزت عاد الی مکة من
اماثلهم سبعین رجلا منهم قیل بن عنز ومرثد بن سعد الذی کان یکتم اسلامه فلما قدموا
نزلوا علی معاویة بن بکر وهو بظاهر مکة خارجا من الحرم فانزلهم واکرمهم وکانوا اخواله و
اصهاره فاقاموا عنده شهرا یشربون الخمر وتغنیهم قینتا معاویة فلما رأی طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له اهمه ذلک وقال قد هلک اخوالی واصهاری وهؤلاء علی ما هم علیه وکان
یستحیی ان یکلمهم خشیة ان یظنوا به ثقل مقامهم علیه فذکر ذلک للقینتین فقالتا قل شعرا نغنیهم به
لا یدرون من قاله فقال معاویة • الا یا قیل ویحک قم فهینم • لعل الله یسقینا غماما • فیسقی
ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما یبینون الکلاما • فلما غنتا به قالوا ان قومکم یتغوثون من البلاء
الذی نزل بهم وقد ابطأتم علیهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومکم فقال لهم مرثد بن
سعد والله لا تسقون بدعائکم ولکن ان اطعتم نبیکم وتبتم الی الله تعالی سقیتم واظهر اسلامه
فقالوا لمعاویة احبس عنا مرثدا لا یقدمن معنا فانه قد اتبع دین هود وترک دیننا ثم دخلوا مکة فقال
قیل اللهم اسق عادا ما کنت تسقیهم فانشأ الله تعالی سحابات ثلاثا بیضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء یا قیل اختر لنفسک ولقومک فقال اخترت السوداء فانها اکثرهن ماء
فخرجت علی عاد من واد یقال له المغیث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
منها ریح عقیم فاهلکتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مکة فعبدوا الله تعالی فیها الی ان ماتوا
والی ثمود اخاهم صالحا عطف علی ما سبق من قوله تعالی والی عاد اخاهم هودا موافق له فی تقدیم
المجرور علی المنصوب وثمود قبیلة من العرب سموا باسم ابیهم الاکبر ثمود بن عابر بن ارم
بن سام وقیل انما سموا بذلک لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القلیل وقرئ بالصرف بتاویل
الحی وکانت مساکنهم الحجر بین الحجاز والشام الی وادی القری واخوة صالح علیه السلام لهم من
حیث النسب کهود علیه السلام فانه صالح بن عبید بن آسف بن ماسح بن عبید بن حادر بن ثمود
ولما کان الاخبار بارساله علیه السلام الیهم مظنة لان یسأل ویقال فماذا قال لهم قیل جوابا عنه

بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظايره قد جاءتكم بينة اي آية
معجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها
حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سوآء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او
الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة
لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عم اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد
بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله تعالى
هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في
سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا
وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك
وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها
الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج
لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ
صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم
ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت
راسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فيهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد
تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا
لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم
صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم
مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما
كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض
فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استيناف مسوق لبيان البينة واضافة
الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسايط معتادة ولذلك
كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة و
يجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدا ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها

فذروها

تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تاكل في ارض الله جواب الامر
اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تاكل ما تاكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها
وقرئ تاكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر
الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية
وتنكير السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوءها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما
لآية الله تعالى فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في
غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء
المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي
اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبواكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين
الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في
سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر
وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع
من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله
بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على
اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ
فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله
التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآية التي هذا من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق
آلاية تعالى ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالفساد قال الملا الذين
استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استيناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى
قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول
باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من
المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الاوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان
المحاورة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم
واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة
الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان
امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسال عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين
استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو
والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا

لمخالفتهم اباهم ورد مقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر
بعضهم وفيه تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا
عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز
والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت
من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة
اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما
تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين هامدين موتى
لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة
قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم
من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش
اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه
خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير
مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء
فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي
مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم
بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية اي شانكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم
منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت
وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا
الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما
سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مع ما مر على المنصوب حسبما وقع فيما سبق ولحق قد مر بيانه في قصة هود عم
وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم عليه السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم
فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
وهي بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم
وصل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا
بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله لقومه اتاتون الفاحشة بطريق الانكار
التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشر والسوء ما سبقكم
بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته
بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي

قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض
والجملة مستانفة مسوقة لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه
اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك
النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل
من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال
مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها من احد لغاية قبحها
وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن
اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ
ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا
فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل ابليس
الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتاتون
الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا
على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقرير كان ذلك امر لا
يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة
في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة
ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه
قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن
اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت الى
ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن
محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم
المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الاخرين المباشرين للامور
معرضين عن مخاطبته عم اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اي الا هذا
القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا
ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية
واما ما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه
الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات
المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير
من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر
وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية

بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه
واهله اي المؤمنين منهم الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين
اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون
للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاء عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل
فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه
قوله تعا وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا
بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام
والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم
وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له اربعين يوما
حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا
من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا والعطف عليه
وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم
وهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب
بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام
لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف مبني على سؤال
نشاء عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله تعا من ربكم متعلق بجاءتكم او
بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية
اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن العظيم
كما لم يذكر اكثر معجزات النبي عليه السلام فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين
دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها
ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى
وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعا يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة
واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعا من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما
وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعا والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد
وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة
على اعبدوا فان عبادة الله تعا موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي
كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي تشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء
كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا
يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير • افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرء مكس درهم •

ولا تفسدوا

ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء
الشرائع او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم
عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان
الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين لي في قولي هذا
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه
يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون
على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون
الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طريق الدين
وقوله تعا من آمن به مفعول لتصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون
حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها
معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به او لم يفعلوا
الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين استكبروا من قومه استيناف
مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل
قال الاشراف من قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع
من الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه
المؤمنين واجترؤا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم
عليه تنبيها على اصالته عم في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعا معك فانه متعلق بالاخراج
لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية
الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة
على المساكنة والجوار وقوله تعا او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد
الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح
عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا
وادخالهم له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو
بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا
بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب
قال استيناف كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة

اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك
بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء
الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها
منافاة له ليظهر ثبوته او انتفاؤه معه فثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد
يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك
لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل
في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على
كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف
ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا
مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما ستحيط به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته
للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه
بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر
عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم
من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها معلومة
لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى
ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب
مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه واقطع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين
بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما له انعود فيها حال عدم
الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على اي حالة كانت غير انه
اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها
هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به
الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت
النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك
معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني
عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عدم الكراهة عدم
العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت

لالان

لا لان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء
المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي
يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده
ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما مر في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما
التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه
ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها
لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة
ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه ولم يذكر بعده
ما يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان
دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل
الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق
الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة
للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر
بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت
حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود وكذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود
في حال الكراهة مستلزمة لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير
مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان
نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في
الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه
على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال
لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا
كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه
لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر او متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان
ان العود منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالين مع ذكرهما معا غير ان
الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول
فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا
عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله
عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث
نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان
ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام
تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال

انهامه

او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما
لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى
لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلايل عدم مشيئته
لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى واياما كان
فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان
استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من
موجبات عدم مشيئته تعالى وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي
من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا
فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا
على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشرار بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم
اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى
بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل
مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل
هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم
حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط
قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام
ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة
التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اي في الدين
لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض
بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
وكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها
من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم
وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف
لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته
والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم
اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة
الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب
العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين

لا المتبعون

لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله
تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف
آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم
بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية
من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة
لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم
الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير
قد كما في هذه الآية او مقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى
المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء والضر
والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه
بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون
كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة
التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله
تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف
وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا
الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار
بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجأة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون
بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ
بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعم ذلك وما يمضي بين الاخذ واتمام الاهلاك
ايام كعذاب ثمود ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل
هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر هنا انتظاما اوليا آمنوا بما
اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي
او اتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى
على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنه وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات
التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن
كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني فاخذناهم بما كانوا

يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس اباءنا الخ وهم الاخذ عبارة عما في قوله تعا فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة
افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ
امن كل طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم
الى غيرهم كاسيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره
لقوله تعا فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط
بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى
ان ياتيهم باسنا بياتا اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل
مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز
او المستتر في بياتا او امن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك
لم يقل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون
الواو على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا
ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون
افامنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعا استعارة لاستدراجه العبد واخذه
من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعا في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثاني
بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثالث فمن تتمة الاول فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر
الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الايات اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن
حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية
لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اي اولم
يبين لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع
على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعا اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية
او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ويجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى
طبعنا لا فضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق في جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم
المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى
جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة و
تماديهم فيها بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام
للعهد وهو مبتداء وقوله تعا نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء
القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتداء والقرى

خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعا فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام
بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعا
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستيصال بحيث يشمل اماكنهم
ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعا بالبينات متعلقة
اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان
ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام
الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله
لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم
الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعا فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم
في الزمان الماضي لا لعدمه استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لا لان الاستمرار
على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فما صح وما استقام
لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية
عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم اخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم
ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعا بما كذبوا من قبل
تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة
للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة
وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول
الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول
اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر
من حين مجيء الرسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور
عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليه الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثر لاستحالة
تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا
في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون
بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد
وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا
بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب
مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما
يعرب عنه قوله تعا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في
الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع
الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد

ماكانوا ليؤمنوا الواجبين اياهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق و
تمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل
ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير في به كذلك اي مثل
ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر
فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان
كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى
من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا
عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا
ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهدهم بل لان بعضهم كانوا لا
يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات
والانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس
والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهد باي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم اي علمناهم
كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف
اي انه الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهد وعند الكوفيين ان
نافية واللام بمعنى الا اي وما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي ارسلناه
من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح
بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من
ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره
اي بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات
التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم حسبما سياتي على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك من العمالقة كما ان كسرى لقب
لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا
جميعا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها
الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود
والصدور فظلموا بها اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى
معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها

لوضوحها

لوضوحها ولذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد
او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا ترى
الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك
حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة
في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع
ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية
اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اليك من رب العالمين على الوجه الذي
مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات
من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع
فقلب لامن الالتباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته
او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به
او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت
على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة
من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن
هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة
المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز
ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة
لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته
فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى
يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط
يستعملهم ويكلفهم الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به
على ما قبله من رسالته ومجيئه بالبينة قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه
قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقيل قال ان كنت جئت بآية اي من عند
من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها عندي ليثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين
في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما
القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك

الاضافيه الموكده لفخامتها صح

فارسل معك بني اسرائيل فالقى عصاه ونزع يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء
للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما روي
انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء
بيضاء نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين
لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا
لساحر مبين اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول
بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح
النون ومحل ماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي
شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كانه قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك
فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ عن قبله بطريق التبليغ الى العامة قوله تعالى قالوا ارجه
واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام
العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره
واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجأه وارجاه وارسل في المدائن حاشرين
قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام
بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك
بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعد ما
ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل الى المدائن حاشرين للايذان بمسارعة
فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استيناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم
واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم
قالوا لا بد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها
وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر
باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين عطف
على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم اجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة
في الترغيب روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استيناف
كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام
يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء
اولا خيروه عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف
حالهم بالتقديم والتأخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف

الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما
القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في
ارهابهم وجاؤوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها
حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف
ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الآية وانما حذف للاشعار بمسارعة
موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا
بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب
عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية
وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انه لما تلقفت ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى
رجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها
اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي ثبت
لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون
وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى
المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من
فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق
واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول
لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى
من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوا آمنتم
بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف
الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل
الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اي بغير اذن لكم كما في قوله تعالى
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا
لمكر مكرتموه يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل
وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا
الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام أرأيتك
ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لاومنن
بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط
وتخلص لك ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند
معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم
من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارادة ايمان السحرة
مبنيا على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال

ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعم المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا
للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة
فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل
فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم و
تنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك
سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استيناف مسوق للجواب عن سوال ينساق اليه الذهن كانه قيل
فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به وتصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل
قالوا على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك
او لا فلا نبالي بوعيدك وانا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه
شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر
وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا
الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما
يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما
رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما
ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعدما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف
على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء
اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استينافا او حالا وقرئ بالسكون
كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن وآلهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب
وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك
اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا
على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا
على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون
تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون
وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله اي ارض مصر
او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب
عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي بالرسالة
يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون به
ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون

ثابتين هـ

الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما
يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اي موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم
مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي
فعل بكم ما فعل وتوعدكم بالحادثة ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون
احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل
الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي
ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء
فعل الطمع للجري على سنن الكرماء ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي
الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم
فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء
بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر
السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب
على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة
مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه التنوين التخفيف وح لا يحذف النون
للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا
وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين
ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن
عباس رضي الله عنه اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكانت
في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم
وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب
وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا ترى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء
عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل
سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا
جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها
وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا
الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد
ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم
شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان
بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار
بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله

استيناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه
لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم
والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي
ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم
لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار
بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب
والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا
شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات
وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن
العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها
ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما نذهبن بك خلا
ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة
يصوت بها الناهي ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره
ما بعدها اي اي شيء تظهره لدينا قوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراتهم على
رأي موسى عليه السلام واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى
لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسميته للارشاد الى الحق بالسحر وتسكين الابصار
والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث
الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك
فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف
بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو
كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت
بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف
ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف
عنه فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم
وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما
ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا

اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم
فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات
حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته
وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد
كل واحد منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم
هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون
ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة
من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك
وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه
التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع
علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي
فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام
منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية
كما في قوله فنادى نوح ربه فقال يا رب الخ في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية
والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار
جميع ذلك تكذيب ايات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات
الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلعم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى
بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها
اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها
الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة
للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف
كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده تعالى اياهم
بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم

الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا
اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي فدمرنا الذي كان فرعون يصنعه
على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل
اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا
والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع
فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا
الذي يصنعه فرعون الخ اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة
وما كانوا يعرشون من الجنات وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة
بني اسرائيل وشرح ما احدثوه او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء
والكسر افصح وهذا اخر قصة فرعون من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون
ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم و
مراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء
اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعدما اهلك الله تعالى فرعون
فصاموا شكرا لله عز وجل فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين
الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها
ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اجسامهم تماثيل بقر وهو اول شان
العجل قالوا عندما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة
الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها
كائنا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا
من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله
ان هؤلاء يعني القوم الذين تعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي الدين الباطل
اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما
جئ بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان
قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في
انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع
هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم
ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شئون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى

او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا اخر قصة فرعون ه

من ه

بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل
منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان
بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما انه لاختصاص الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره تعالى
وانتصاب على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال وعلى
الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها
فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم
لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ان ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم
من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى اخس شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا
له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون
وقرئ انجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي واذكروا
وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بعجز ولا بصرفكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة
بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو
اما استيناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على
ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم
الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما
منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل
وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى عليه السلام
ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح
فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها العشرة ايام من ذي الحجة لذلك
وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى
بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها
وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة
على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف
اي اتمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون
حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني اي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما ياتون وما يذرون واصلح
ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد
ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه
بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل
جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك
اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في

يوما وهو ه

في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشئون الله عز وجل ولذلك رده بقوله لن
تراني دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد
فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية
ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه
ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم
رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة
مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب
العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز
ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل أردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت له عظمته وتصدى
له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق
اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا
جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم
الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من
من ان اسالك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اي من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا
اول المؤمنين اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه
لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استينافا مسوقا لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال
الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا في العالمين فاغتنمها وثابر
على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على الناس اي المعاصرين لك
وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع برسالاتي اي باسفار
التورية وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اي اعطيتك من شرف
النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم وقيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة
واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام
واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة
وقيل لوحين وانها كانت من زمردة جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء
وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن
الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت
التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير
وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا
السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا اي فقلنا خذها

بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء
او للرسالة او للتورية وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة
الى الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها
واحسن صلة قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة
المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين
تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما
امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود
واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجب للاعتبار والانزجار عن
مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب ان المراد بدار الفاسقين
اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما اتيح لبني اسرائيل
وكتب لهم حسبما نطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى
الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا مستضعفين مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من اوريت
الزند اي سأبينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض استيناف مسوق
لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التورية من المواعظ والاحكام
او ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعدوا اراءته من دار الفاسقين وصرفهم عنها
الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه
من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق
مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا يسلكوا
مسلكهم ليكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون
في ابطال ما رآه من الآيات فأبى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب
ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورون بالفسق والتكبر في الارض وباراءتها
للمخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم وديارهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ
من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا وتظاهره وبصرفهم عنها ازالتهم عن
مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على موسى ع م
حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع
بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل

كيف يرون دارهم وهم فيها فيقبل بما لهم وانما عدل الى الصرف ليزداد وثوقه بالآيات واطمئنانا بها
وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق
بمحذوف وهو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها
بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار
اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحد منها
لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل
الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها
لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم
مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام
الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان
ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا
لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف والابعد الاشعار بعلية
ما في خبر الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى
ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله جرى وقيل
محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي يصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي بلقائهم الدار الآخرة ولقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من
الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم
التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع
على تقدير ايمانهم هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر و
المعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول
لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان والثاني متعلق بمحذوف وقع حالا
مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث
كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك
منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا اوزارا
من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي
وقرئ حليهم على الافراد قوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد
الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا دم

ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح
نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان
اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح
في جوفه فيصوت والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما
لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد باتخاذهم اياه الها
لا صنعه واحداثه الم يروا انهم لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم
وتسفيههم فيما اقدموا اليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام
الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها
وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن
ذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه
ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها
فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل
وراوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا الخبث تيقنوا بذلك حتى كانهم راوه باعينهم وتقديم ذكر
ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق
على الرؤية قالوا والله لئن يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز
عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو
المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة
لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما
حكي عنهم من النداء والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة
في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع
موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع
من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا حالان من موسى عليه السلام والثاني من المستكن في غضبان والاسف
الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث
عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم
على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان
يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او وسمتم ما قمتم مقامي ولم تراعوا
عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوه فالخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى
قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب
للكل على ان المراد بالخلفية ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن
فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي

اى تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذى
وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من
شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح
فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التى كان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ
والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام
توهما انه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلث سنين وكان حمولا ولذلك
كان احب الى بنى اسرائيل قال اى هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء
وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت
مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى
المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف والتشبيه بخمسة عشر ان القوم استضعفونى
وكادوا يقتلوننى ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت جهدى فى كفهم حتى قهرونى و
استضعفونى وقاربوا قتلى فلا تشمت بى الاعداء اى فلا تفعل بى ما يكون سببا لشماتتهم بى
ولا تجعلنى مع القوم الظالمين معدودا فى عدادهم بالمواخذة او النسبة الى التقصير وهذا
يؤيد كون الخطاب للكل او لا تعتقد انى واحد من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم قال استيناف
مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك
فقيل قال رب اغفر لى اى ما فعلت باخى من غير ذنب مقرر من قبله ولاخى ان فرط منه تقصير
ما فى كفهم عما فعلوه من العظيم استغفر عليه السلام لنفسه ليرضى اخاه ويظهر للشامتين رضاه
لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم
وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا
غرو فى انتظامنا فى سلك رحمتك الواسعة فى الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله
ان الذين اتخذوا العجل اى تمولوا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامرى واشياعه من الذين
اشربوه فى قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثانى عبارة عن التائبين فان ذلك صريح فى ان
الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اى فى الآخرة غضب اى عظيم لا يقادر قدره مستتبع
لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر قوله تعالى من ربهم اى مالكهم متعلق
بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اى كائن من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا هى ذلة الاغتراب التى تضرب بها الامثال والمسكنة
المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التى اختص بها السامرى من الانفراد عن الناس والابتلاء
بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم فى الدين واتبعوا النور الذى
انزل معه اى مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبى عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره
او مظهرا للحقائق كاشفا لها لمناسبة الابلاج ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى
واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن

مصاحبين له فى اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات
الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم فى الفضل
والشرف اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اى هم الفائزون بالمطلوب
الناجون عن المكروه لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما
فى توبتهم من المشقة اذا امس احدهم احد غيرهم ثما جميعا فى الوقت وايراد ما نالهم فى حيز السين
مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم بالغضب ما امروا به من
قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره
بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم دوله فيكون سابقا على الغضب
وانت خبير بان سباق النظم الكريم وسياقه يأبيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى
وكذلك نجزى المفترين ينادى على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن بعد ذلك بالافتراء و
ايضا ليس يجزى الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذى ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل
المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بما فعل الآباء مشهور معروف
منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروى وبالذلة
ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير
فى ينالهم اخلافهم ولا ريب فى ان توسيط حال هؤلاء فى تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اى سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها
اى من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة
ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اى من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان
لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ فى افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب
شروع فى بيان بعض الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارات الى مآل كل منهما اجمالا
اى لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح فى ان ما حكى عنهم من الندم
وما يتفرع عليه كان بعد مجئ موسى عليه السلام وفى هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب
الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة العامل المغرى عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن
سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون
اخذ الالواح التى القاها وفى نسختها اى فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها
اى من الالواح المنكسرة هدى اى بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح
للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة للرحمة اى كائنة لهم او هى لام
الاجل اى هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما فى قوله تعالى ان كنتم للرؤيا
تعبرون او هى ايضا لام العلة والمفعول محذوف اى يرهبون المعاصى لاجل ربهم لا للرياء والسمعة
واختار موسى قومه شروع فى بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى

التايبون هم

وصفهم هم

الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اى اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما فى قوله اختارك الناس
اذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السول اى اختارك من الناس سبعين رجلا مفعول لاختار اخر
عن الثانى لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذى وقتناه بعدما وقع من قومه ما
وقع لا لميقات الكلام الذى ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدى امره الله تعالى بان يأتيه فى ناس من بنى اسرائيل
يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق
اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من تركوهم ورائهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذويب من الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج
الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى عم
يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤا عليه من طلب
الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اى ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن
لك لن نصدقك فى ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى
على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم
من قبل اى حين فرطوا فى النهى عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياى ايضا
حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به تذكير العفو السابق لاستجلاب
العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعنى انا كنا
مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيتك اياه فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر
فلا غرو فى ان تعفو عنا هذه الجريرة ايضا وحمل الكلام على التمنى يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
ان هى الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اى ما الفتنة التى
وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظائم الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك
فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك بما بين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها
من تشاء وتهدى من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اى حال كونها مضلا بها
اى يضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدى الى التثبت وتهدى من تشاء هدايته الى الحق فلا
يتزلزل فى امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اى القائم باموره الدنيوية والاخروية وناصرنا
وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفنا من المعاصى والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كأنه قيل
فمن شأن الولاية المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه على ان هى الا فتنتك لجراءة عظيمة فطلب من الله
غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين
اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا
اى عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت فى هذه الدنيا حسنة اى نعمة وعافية او جعله حسنة قال ابن
عباس رضى الله عنه اقبل وفاتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفى الآخرة اى واكتب لنا فيها ايضا حسنة

وهى المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اى تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء
من هاد يهيد اذا حركه وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك
ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب
قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة فى التوبة
والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التى جئناك للاعتذار عنها وعما وقع
ههنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم
الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين
مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال الله عند دعاء موسى عليه السلام
فقيل قال عذابى اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم
انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا
حسنة اى خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان فى قتل انفسهم من العذاب
والشدة ما لا يخفى فاجابه بان عذابى شأنه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيرى
فيه وهم ممن شاء ولته مشيتى ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوى ورحمتى وسعت
كل شىء اى شأنها ان تسع فى الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين
وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها فى ضمن العذاب الدنيوى وفى نسبة الاصابة الى العذاب
بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضى ايذان بان الرحمة مقتضى الذات وان العذاب
بمقتضى معاصى العباد والمشية معتبرة فى جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار
بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فسأكتبها اى اثبتها واعينها فانه متفرع الى اعتبار المشية كأنه
قيل فاذا الامر كذلك اى كما ذكر من اصابة عذابى وسعة رحمتى لكل من اشاء فسأكتبها كتبة كائنة
كما دعوت بقولك واكتب لنا فى هذه الخ اى سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوى للذين
يتقون اى الكفر والمعاصى اما ابتداء او بعد ملابستهما وفيه تعريض بقومه كأنه قيل لا لقومك لانهم
غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوى ويؤتون الزكوة
وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها الى
الى سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذى هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك
المنكرات عن اخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا
مستمرا من غير اخلال بشىء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التى جاء بها موسى عليه السلام
وبما سيجىء بعد ذلك من الآيات البينات لتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير
الموصول مع ان المراد به غير ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون
الزكوة كالعطف سو على يتبعون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اى هم بجميع آياتنا

يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب
المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة
نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة امية
لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع ذلك
علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه
اي اعني الذين او اما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرهم او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه
مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم
زيد هذه الزيادة التقرير وان شانه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل
اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر قبل نزوله
من قبيل يأمرهم فيه من ذكر النبي عليه السلام والقران الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد بها سبحانه
ذكرها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث
واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول
يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي
حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب
عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطاء من غير شرع الدية وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء
انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم و
اصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام
وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة
والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات
وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه
واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين
تحقيق التحقيق وتبيان التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب لا بحد ما قيل من انه لما دعا
لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل
وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم
بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وشرف من تبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم
بل شاملة لكل من تبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام
باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين
وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل
من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له ملك
السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم
كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله
ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة
على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي
لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي
يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين
على الامتثال بما امر به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته
ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عليه السلام
من حيث انزل عليه القران لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها
على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة
للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان
من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة
ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لما عسى يوهمه تخصيص كتبة الرحمة والتقوى والايمان بالآيات
بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان
ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي الناس بالحق اي ملتبسين به ويهدونهم
بكلمة الحق وبه اي وبالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع
في الفعلين حكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر
ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء
عليهم السلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين
ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك
حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام
ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد
النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني
عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران
نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون

وبه اي بالحق م

فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت ﴿ او انت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع انهم
من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اى قوم موسى عليه السلام لا الامة المذكورة منهم و
قرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتى عشرة ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث
للحمل على الامة او القطعة اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله
اى فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على
ان كل واحدة من اثنتى عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما
على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ
استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد
استسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى
لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شان الحجر فى تفسير
سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال
الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها
على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما فى قوله تعالى
اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط
واما ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلى وقرئ عشرة بكسر الشين
وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اى عينهم الخاصة
بهم وظللنا عليهم الغمام اى جعلناها بحيث تلقى عليهم المن والسلوى الترنجبين والسمانى ظلها تسير فى التيه
بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى
الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب
عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اى مستلذاته وما
موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية
خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غنى عن التصريح به اى فظلموا بان
كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول
لافادة القصر الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة
على الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع فى سورة البقرة من قوله واذ قلنا
للجرى تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وايراد على
سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد فى التوبيخ اى اذكر لهم
وقت قوله تعالى لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوب على المفعولية تقول سكنت الدار وقيل على الظرفية
اتساعا وهى بيت المقدس وقيل اريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة
رأسهم عوج بن عنق وفى قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المامور به فى سورة البقرة هو الدخول على وجه
السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى وكلوا منها اى من مطاعمها وثمارها على ان

تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وايراد مر

من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اى من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل
المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول
فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اى مسألتنا او امرك حطة لذنوبنا وهى
فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اى باب القرية سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين
شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور فى سورة البقرة
غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد
بالقرية اريحا فقد روى انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل
او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر فى سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى
انهم لم يدخلوه فى حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التى كانوا يصلون اليها
نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما فى سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاكم وخطيئتكم
على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا
لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد
الغفران فقيل سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به
من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوه
زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا
بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى غير الذى قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة
مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا
ما فعلوا من غير تاخير وفى سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون
كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روى انه مات منهم فى ساعة واحدة
اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع
بين صيغتى الماضى والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا
التعليل لما ان الحكم ههنا على المضمر دون الموصول بالظلم كما فى سورة البقرة واما التعليل بالفسق
بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله اعلم واسألهم عطف على المقدر فى اذ قيل اى واسأل
اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع
كونه من علومهم الخفية التى لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به النبى صلى الله عليه وسلم خبرا
واذ ليس ذلك بالتلقى من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحى الصريح عن القرية
اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهى ايلة قرية بين مدين والطور وقيل
هى مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية التى كانت حاضرة البحر اى قريبة منه مشرفة على
شاطئه اذ يعدون فى السبت اى يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف
او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة فى تقييد الكون او الحضور بوقت
العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون الات الصيد

يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد
بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم اوخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء
لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها
بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة
في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتبار احوالهم في عدم التعرض يوم السبت
يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اى تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة
من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من
حيتانهم اى تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اى لا يراعون
امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى
لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون
على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا
يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل
ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون
فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة
من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب
فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل ما تاتيهم
يوم سبتهم فالجملة بعده ح استيناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة
وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم
عنه بعد العظات والنذر امة منهم اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب
وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة
في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم
او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في
الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم
مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب
مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ
لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا
لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد
طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذلك كما ستقف عليه

قالوا

قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربكم اى نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم
لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى موعظتنا
معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع
تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح
في ان القائلين لم تعظون ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا
ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ
اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران الفاء انجائهم فخرج الجواب الذي حقه الترتب
على الشرط وهو نسيان المستتبع لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكر كانه قيل
فلما ذكر المذكورون ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الاخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما
مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا
بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس اى شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد
وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها
الى الفاء كجبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس بقلب همزة بيئس
ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون
متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم
في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان
اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على
الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان والا
لما اخر عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم عذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا
عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا
وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد
بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو على الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بان ليس
لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب
البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة
فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به
وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه
الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم
انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا
يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ
رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك
فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين

فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين
الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملّوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين
لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم
ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا
الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي
نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلث
وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري
اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه والله ما الحوت
اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة
ادهى وامر واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسألهم وتأذن
بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجري
مجرى القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم
وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم
فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم
لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من
اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما الى
مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا
بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح
وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه
من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك
يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا
في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون
على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم
اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه
من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا
يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور
او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال

انهم

انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في
الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي لا يقولوا الخ والمراد به الرد
عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج
عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا
وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك
فلا تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد
للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به
قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي
جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير في
المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة
باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها لجلالها ومحل الموصول اما الجر
نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر
المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة
هي المأوى اي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في المصلحين فانه من الروابط
ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب
مأجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم
اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع
بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم
وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم
ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من
الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه
كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين
واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود
بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور
وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم
اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب
من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء
بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب
بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف

وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن
ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب
الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات
وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة
اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على
العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج
اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع
الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اي
اشهد كل واحد منها اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا
لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها
وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على
الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم
اختصاصه به تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا فقيل
قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث
الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل
المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة
ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس
من الدلائل بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك
اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من
حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على
ان الضمير للذرية واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا
كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا
عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا
على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين
عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى
او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك
وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا
نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم

تمكينا تاما ومن تمكينهم منها تمكينا كاملا وتوفيقهم طاعتهم طوعا وقربا بهيئة منتزعة ... اياهم على الاعتراف

ذكره

المجرمون

المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي او انّا اخذنا فهلكنا بهم فان ما ذكر من
استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة
على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما من انه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم
القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله
عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى
خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة
يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس
المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم
ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق
الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج
الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم
الى ظهور ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في
حديث عمر رضي الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة
حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير واقع لغفلتهم في
دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل
على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم
وعدم حفظهم لا تسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى
واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في
الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا
لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا
بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم
الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى
شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا
اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الخ لانا نردكم ونكذبكم ح وكذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده
اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل
البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه
من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائيتان ويجوز ان يكون الثانية
عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر

ولبرجوا لو الهم واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذوا ورد على نمطه في الابآء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اى واتل على اليهود نبأ الذين اتيناه اياتنا اى خبره الذى له شان وخطر وهو احد علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابى الصلت وكان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل فى ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقاله توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها اى من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا واخرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقه وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اى تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على القراءة فاتبعه من الافعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية واتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين فى الغواية بعد ان كان من المهتدين وروى ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا فى التيه وبرده ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر فى سورة المائدة ولو شئنا كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه فى مهاوى الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اى ولو شئنا رفعه لرفعناه اى الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل فى ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدى الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اى بسبب تلك الآيات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا فى حصوله ولا فى ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب العادة الالهية وقد اشير الى ذلك بالاستدراك بان اسند ما يؤدى الى نقيض التالى اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التى هى اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فتركناه وفى كل من المقامين ما ذكر فى الآخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوى كما فى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل فى وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر فى الآية المذكورة وهو السر فى جريان السنة القرآنية على اسناد الخير الى الله تعالى واضافة الشر الى الغير كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشئ الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى لكنه اثر الدنيا

الدنية

الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل السافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لانه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى فحاله التى هى مثل فى السوء كصفته فى ارذل احواله وهى حال دوام اللهث به فى حالتى التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى غاية ورائه فى الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب فى فعلى الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل فى اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اى هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف وتركته على حاله فانه فى الكلاب طبع لا يقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هى فى محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه فى مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا فى الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب والى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الخسة والدناءة اى ذلك المثل السئ مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا التورية ما اوتوا من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه فاقصص مصدر سمى به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحى اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحى فيزدادون ايقانا بك والجملة فى محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اى فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس فاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اى ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اى ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما فى حيز الصلة وانفسهم كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة

سبقت ودكانوا لعلهم يتفكرون ... فاقصص القصص ... القصص

اومنقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لايتخطاها وايا ما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم
بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي
لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الظالمين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه
ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة
من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه
سوى كونها داعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعا اياه كسائر افعال العباد فالمراد
بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل
من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير
قوله تعا هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعا حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر
لظهور استلزام هدايته تعا للاهتداء بل تحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه
كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على ما هداه الله تعا حسبما يقتضيه تعريف
الخبر فالمعنى من يهده الله اي يخلق الله فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل
بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه
المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا
الى معناها باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله
بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعا كثيرا اي خلقا كثيرا
مع كونه مفعولا به لما ان توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم
وقوله تعا من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس
في الاتصاف بما ذكر فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعا بانهم لا يصرفون اختيارهم
نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الايات والنذر فبهذا
الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام
منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعا لهم قلوب
في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعا لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب
مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية
لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال
الاعراق في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له راسا وكذا الكلام
في اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا
مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك
مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه
والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول

مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه
الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم اذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات
فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال
واعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها
بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها
من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف
المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة
عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانه ان تدرك من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية
جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون
الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه
وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن ادم اولئك المنعوتون
بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص
بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا
فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعا ولله
الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعا وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه
وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن
اي الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا
الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ
يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعا بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا
كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب
عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعا وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعا حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال
يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعا ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة
فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعا حقيقة فالمعنى سموه تعا بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج
بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعا كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم
كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعا حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار
في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف
وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا
بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعا
سيجزون ما كانوا يعملون فانه استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض
عن المحاجة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتشفون

بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون اجمال لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال
والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى
ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق
او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم
موسى امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي طائفة على
الحق الى ان يأتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى
يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان
بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي
الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه
مبتدأ وخبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام
على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم
اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه
فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط والاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا
واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة
والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث
يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه
اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا
لكن لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة
العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر
وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك
بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على
سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس
من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل
بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان
المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار
بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فبناه دلالة نون العظمة على الشركة
وانى ذلك والا لاحترز عن ايرادها في قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية
بل ان ايرادها في امثال هذه المواد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير
للوعيد وتاكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما

التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ
فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه
اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد
المذكور ضما اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في
شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التي كذبوا بها
والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم
وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها
جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها
للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب
على نزع الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة المهدية
بالحق وعليه انزلت تلك الايات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى تؤديهم التفكر في ذلك
الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى
اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة ما على طريقة
الانكار والتعجب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم
للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه
تاكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته
له عليه وسلم لما ان المتكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون
كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى او عمن له تأييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس
به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا
فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت
الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون ح للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام
بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين
جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك
كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا
لكمال الرافة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استئناف آخر
مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الايات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس
الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار
والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا
بها اولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة
وما خلق الله اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت
ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على الملك في الحقيقة وعلى قوله تعالى

فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة
بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل
ودقيق مما يطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التي ينطق بها
تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع
المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مخففة من انّ واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشأن
والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى أولم ينظروا في ان الشأن عسى ان يكون الشأن قد اقترب اجلهم وقد جوز
ان يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار
والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية
الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم
لملابستهم لها من جهة انكارهم بها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فبأي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال
ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة
بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتأويلها
بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام
واحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات
وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل
هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم
لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون
ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم
على حذف مضاف اي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله
فلا هادي له استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم
بالياء والرفع على الاستئناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم
وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم
بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد
الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل
يسألونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة
وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله
مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان
ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها
بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ او الفعل المضارع
دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت من اويت

الى الشيء لان البعض آوٍ الى الكل مستند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها
اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى
والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب
بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها
وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال
نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك بهم المسلك في الجواب
اللقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل
قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه
النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى
خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها
لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من
جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية
كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي
تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم
بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام
المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله
كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق
الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استئناف
كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها و
خروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت
فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا
استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجاءة على غفلة كما قال صلى
الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه
السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك
من مواجب الرسالة اثر بيان خطئهم في اصل السؤال باعلام شأن المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل
النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطئهم في ذلك
اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته
كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء
والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء

البقل اى استيضاكه والاحفاء فى المسئلة اى الالحاف فيها وقيل عن متعلقة بحفى وقوله تعالى كانك
حفى معترض وصلة حفى محذوفة اى حفى بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان
قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك كانك حفى تتحفى بهم
فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى امرها عن غيرهم فيئبغه تخطئته لهم من جهتين وقيل هو من حفى
بالشئ بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لانه تعرض لحرم الغيب الذى استاثر
الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا
بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التى من جملتها
العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يعلمون ما ذكر من اختصاص
علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون
انك واقف على وقت وقوعها فيسئلونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة
فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح فى رسالتك والمستثنى من سؤالهم الواقفون على جلية الحال
من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون فى سلك الجاهلين حيث لم
يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا شروع فى الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها
اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذى بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة
الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما
ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهانى واللام اما متعلقة باملك او بمحذوف وقع
حالا من نفعا اى لا اقدر لاجل نفسى على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله اى املكه من ذلك
بان يلهمنيه فيمكننى منه ويقدرنى عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهو ابلغ
فى اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اى جنس الغيب الذى من جملته ما بين الاشياء من المناسبات
المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت
من الخير اى لحصلت كثيرا من الخير الذى نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه
ودفع موانعه وما مسنى السوء اى السوء الذى يمكن التفصى عنه بالتوقى عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما
فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اى ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شانى حيازة
ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التى لا علاقة بينها وبين الاحكام
والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين
وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصى
وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا
لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف
اى نذير للكافرين اى الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اى فى اى وقت كان ففيه ترغيب
للكفرة فى احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذى خلقكم استئناف
سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة فى جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادى احوالهم المنافية له

وايقاع

وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اى هو ذلك العظيم الشان الذى خلقكم جميعا وحده من غير ان
يكون لغيره مدخل فى ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل
لما اشير اليه فى مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم فى ضمن خلق آدم وتصويره
وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة ولا ضير فى تقدمه عليه وجودا لما ان
الواو لا تستدعى الترتيب فى الوجود منها اى من جنسها كما فى قوله تعالى جعل لكم من انفسكم
ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو
الانسب اذ الجنسية هى المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها
مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى
وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى اى ليستانس بها ويطمئن
اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اى جامعها
حملت حملا خفيفا فى مبادى الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى
ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم فى انشائه تعالى اياهم متدرجين
فى اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به فاستمرت به كما كانت قبل حيث
قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضى الله عنه وقرئ فمرت بالتخفيف
وفارت من المور وهو المجئ والذهاب ومن المرية اى فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى
حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم يستثقله
كما يستثقله فمرت به اى فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت
اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة
بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذى يعترى بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا
وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما
او لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اى مالك امرهما الحقيق
بان يخص به الدعاء واشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق
الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اى دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته
الشكر على سبيل التوكيد القسمى وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اى ولدا من جنسنا
سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من
جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما
انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار لها ذاتا وصفة وجودا مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم
لصلاحها فالدعاء فى حقه متضمن للدعاء فى حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا
اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فالوجه ظاهر
وانت خبير بان نظم الكل فى سلك الدعاء اصالة يابا ه مقام المبالغة فى الاعتناء بشان ما هما بصدده

واما جعل ضمير ليكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيط دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له
واتيا بما كان فمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد
الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اى جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما
اى فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم
هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لان مساق
النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم
اياه بما ذكر وقرئ شركا اى شركة او ذوى شرك اى شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه
حقيقة او حكما وتتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من
آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى
اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله
فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات ابائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ
والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما
وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الاشعار بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في
سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان
ان اخلالهم بالشكر الذى وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب
الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جناياتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في
ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما
عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام
قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعين
الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اى عن اشراكهم او موصولة
او موصوفة اى عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم
لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون بيان الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي
من قريش المراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية
قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار
وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال
لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام
فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك
خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه
كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل

هذا الشأن الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين
واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احوالها القاضية
ببطلان ما اعتقدوه في حقها اى ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اى لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء
اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضمير
بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء
وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة
حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشياء
مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا
يستطيعون لهم اى لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم نصرا اى نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة
ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اى لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر
للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم
خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها
وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفى عنهم وايسر وهو
مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين
بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اى ان تدعوهم ايها المشركون
الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم و
طلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استئناف
مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اى مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم
وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى
ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم
افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا
المشركين الى الهدى اى الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا
على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون
بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اى ان الذين
تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اى مماثلة لكم لكن لا من كل
وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضرر وتشبيهها بهم
في ذلك مع كون عجزها اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها
عليهما اذ هو الذى يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم
تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اى فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين
في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها تبكيت

انه تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجا
من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حيوة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك
فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كان قيل الهم هذه الالات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم
لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الالات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا
بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها
للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال الهم يمشون بارجلهم لتحقيق انها
حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح
الثلثة الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام
وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة
وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا
عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى ام لهم
اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة
المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما
انها اشهر من الاذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على
اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم
تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون
على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت والالزام
الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون
عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي
بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالات المفهوم من السوق انها ما جليا ووصفه تعالى
بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالات كانه قيل لا ابالي بكم و
بشركائكم لان وليي هو الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون
نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته
ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى
او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في خصوص الامر
المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى الى ان يهدوكم الى ما تحصلون
به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد
وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار
بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك
حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون
الناظرين ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها

بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع
رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها
على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا تتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير
الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل
قد تم عند قوله لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرون اي وان تدعوا ايها
المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون
اليك والحال انهم لا يبصرون حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة
من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق
تحمله امر صلى الله عليه وسلم بجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك
من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او
الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالمعروف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة
من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافات قيل لما نزلت سأل
رسول الله جبرئيل عليهما السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق
وروي انه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس اغراءه
لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك
من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب ونحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى
من شره انه سميع يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك
من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه
تهويل للامر وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل
وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا
استيناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة
للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم
طائف من الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها
تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه
مصدر او تخفيف من طيف من الواوي واليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذا جمع ضميره
فيما سيأتي تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون
مواقع الخطاء ومكائد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم
المنهمكون في الغي المصرون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم في الغي اي يكون الشياطين
مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم

يمدونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى
حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز
ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم
باية من القرآن عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه
اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يرون بذلك ان سائر الآيات ايضا كذلك او هلا تلقيتها
من ربك استدعاء قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك
اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلوة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما
الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي كلفوه اياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام
بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد حقق
تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تشريفه عليه السلام والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى
الي بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة
وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف
على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للايذان بان كون القرآن بمنزلة
البصائر للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص
بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ارشادا الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها
القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول
وانصتوا اي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع
لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع
والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن
عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا
يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلوة
فعامة العلماء على استحبابهما والاية اما من تمام القول المأمور به او استيناف من جهته تعالى فقوله تعالى
واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة
تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه
اقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات

وقري

وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين
عند ربك وهم الملائكة عليهم الصلوة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله
لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اي ينزهونه
عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو
تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم
آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله وهذا امر بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان
آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية اجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد
من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي
قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم
جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن
المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها
حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة
في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل
والاسر فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما
شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لان السؤال استعلام لحكم الانفال المقتضية كلمة عن
لا استعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة
ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء
يسئلونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرف عنه الجواب بقوله عز وجل
قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأي
احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله
والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسئلونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه
باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال
بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه قطعا
ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ

وقري مه

الاخير ولامساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس لاحد فيها شيء لهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما ذكروا
هو المغنم الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا
حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في الصدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله
ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى
الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال
المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود
ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي
عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهبه لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك
اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت
سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي
فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد
بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون
سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عليه السلام
بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان
ان مناط صيرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه المانع من
اعطاء المسئول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله
فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما
تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور
يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم حبل ما بينهم
الحال الملابسة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا
ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة
بن الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا
فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله
وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا
غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم
امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية
بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق
بالاوامر الثلثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور واياما
كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة

الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال
الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون
جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من
الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان المخلصون
فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع
من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت واذا تليت
عليهم آياته اي آية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين
موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة وانما زيادته باعتبار
زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله و
قيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر
عنها بالزيادة للفرق النير بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة وعليه مبنى ما قال
علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه
ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه
والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع
على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح ذكر اولا من
اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة و
والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على
انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا
اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون
ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة
والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد
مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى
عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة
الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن
الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقضي امده ولا ينتهي
عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على انه
خبر مبتداء محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم
في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله

اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك يعنى المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا
بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال
او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم
ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمر بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة
النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات اخت العباس
بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها
فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع الناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات
والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر
وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة فنزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل
صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك
بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسنا ثم
قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل
لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم
مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت
الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف
ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا
انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان
الله تعالى وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى الآن انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه العباس وهو فى وثاقه لا يصلح
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك

يجادلونك فى الحق الذى هو تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير والجملة استئناف او حال ثانية اى اخرجك
فى حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب
بيجادلونك وما مصدرية اى بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون وانما توجهوا ويقولون ما كان
خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون
الى الموت الكاف فى محل النصب على الحالية من الضمير فى لكارهون اى مشبهين بالذين يساقون بالعنف
والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها
عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روى انه لم
يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله
عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأى والخوف والجزع واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم
اى اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكر ما فيه
من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهانى ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه
حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اى
يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك و
تتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى تحبون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهى النفير رئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات
الشوكة وهى العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفين والتعبير عنهم بهذا
العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم
معه فى سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اى اذكروا
وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى
ان يحق الحق اى يثبته ويعليه بكلماته اى باياته المنزلة فى هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد
وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اى آخرهم
ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع
الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة
مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم
لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشئ آخر
وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر
ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون

اى المشركون ذلك اى احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول العامل
فالمراد بذكره استمدادهم منه سبحانه والتجاؤهم اليه تعا حين ضاقت عليهم الحيل • وعيت بهم العلل •
وامداده تعا حينئذ وقيل متعلق بقوله تعا ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعا ليحق مستقبل
لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى
زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد
وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف اى اذكروا وقت استغاثتكم وذلك
انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعا قائلين اى رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط
رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك
فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت
انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة انى ممدكم اى بانى فحذف الجار وسلط عليه
الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اى جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم
فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة
آل عمران مقدار عددهم وقيل عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين
المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم
المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اى متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش
او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت
التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف
ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا
على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار
تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستأنف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل
من التأثير وانما التأثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان
اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام
اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم الا بشرى لكم
وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء
الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به اى بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت
السكينة لبني اسرائيل فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني

على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعا والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين
وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء
من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف
مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر وما النصر اى حقيقة النصر على الاطلاق الا من عند الله
اى الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له
بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في قضيته حكيم يفعل كل ما يفعل
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور
من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اى يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في يستغيثون او منصوب
باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ
يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعا وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل
الى النعاس وقوله تعا امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل
المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعا لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر
كذلك اى فتأمنون امنا كما في قوله تعا وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل
والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه
منصوب لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على
المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة له فعند وروده تتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان
كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اى من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم
رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم
من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد
غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم
على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء
على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا و
ساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه
الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعا وليربط
على قلوبكم اى يقويها بالثقة بلطف الله تعا فيما بعدها بمشاهدة طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ في الرمل
فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في
معارك الحروب وقوله تعا اذ يوحي ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم

بطريق التجدد حسبما ينطق به الكاف لا أن المأمور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فإن الوحي المذكور قبل ظهوره
بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الأمة كسائر النعم السابقة التي أمروا
بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الأقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به إلى
الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت أقدامكم وقت إيحائه إلى الملائكة وأمره بتثبيتهم إياكم وهو وقت
القتال ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة وأما انتصابه على أنه
بدل ثالث من إذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من أن المأمور به ليس من
الوظائف العامة للكل كسائر أخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من التنويه
والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة أني معكم أي بالإمداد والتوفيق في أمر
التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول وإجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من
متبوعية الملائكة إنما هي من حيث إنهم المباشرون للتثبيت صورة فهم الأصالة من تلك الحيثية كما في
أمثال قوله تعالى إن الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فإن إمداده تعالى إياهم من أقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة أمروا بتبشيرهم
بالبشائر وتكثير السواد ونحوهما مما تتقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم في
القتال وهو الأنسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في
مقاساة شدائد القتال وقد روي أنه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول إني
سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول أبشروا
فإن الله ناصركم وقال آخرون أمروا بمحاربة أعدائهم وجعلوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا
الرعب تفسيرا لقوله تعالى أني معكم وقوله تعالى فاضربوا إلى آخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا وبيانا
لكيفية التثبيت وقد روي عن أبي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا أنه قال اتبعت
رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وعن سهل
بن حنيف رضي الله عنه أنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن
جسده قبل أن يصل إليه السيف وأنت خبير بأن قتلهم للكفرة مع عدم ملاءمته لمعنى تثبيت
المؤمنين مما لا يتوقف على الإمداد بإلقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الأمر به عليه بالفاء وقد
اعتذر الأولون بأن قوله تعالى سألقي إلخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز أن يكون ذلك إثر قوله تعالى
فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قيل قولوا لهم قولي سألقي في قلوب
الذين كفروا الرعب فاضربوا إلى آخره فالضاربون هم المؤمنون وأما ما قيل من أن ذلك
خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فمبناه توهم وروده قبل القتال وأنى ذلك
والسورة الكريمة إنما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الأعناق أي أعاليها التي
هي المذابح أو الهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان أطراف الأصابع من اليدين
والرجلين وقيل هي الأصابع من اليدين والرجلين وقال أبو الهيثم البنان المفاصل
وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله عنه وابن جريج والضحاك يعني الأطراف أي اضربوهم

في جميع الأعضاء من أعاليها إلى أسافلها وقيل المراد بالبنان الأداني وبفوق الأعناق الأعالي
والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الأمر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بأمره ومنهم
متعلق به أو بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك إشارة إلى ما أصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد
للإيذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن
يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بأنهم شاقوا الله ورسوله أي ذلك العقاب
الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل إلى مغالبته أصلا واشتقاق المشاقة
من الشق لما أن كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر كما أن اشتقاق المعاداة والمخاصمة
من العدوة والخصم أي الجانب لأن كلا المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر
وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابة وإظهار كمال شناعة ما
اجترؤوا عليه والإشعار بعلية الحكم وقوله تعالى فإن الله شديد العقاب إما نفس الجزاء قد حذف منه
العائد إلى من عند من يلتزمه أي شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله
شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق
البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله
كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم بسبب مشاقتهم إياهما عقاب شديد
وأما أنه وعيد لهم بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى
ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كونه هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد
بالعقاب المذكور ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم إشارة إلى نفس العقاب أو إلى ما يفيده الشرطية
من ثبوت العقاب لهم أما على الأول فلأن الأظهر أن محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه
والواو في قوله تعالى وأن للكافرين إلخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم فذوقوه
عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل
الحكم به وأما على الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وأن للكافرين
معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا
وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الأول لنفس المشار إليه و
على الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب
ما أصابهم عاجلا والله تعالى أعلم وقرئ بكسر إن على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا
خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة
إظهارا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه إذا لقيتم الذين كفروا زحفا
الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا إذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم
المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل
فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال
قائلهم وأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه إما على أنه حال

اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه
اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى
فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم
بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على
الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا
بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا
عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم
ومن يولهم يومئذ اي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء الا متحرفا
لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم
ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب
من خدع الحرب ومكائدها او متحيزا الى فئة اي منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم
ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة
استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير
المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا
لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره
الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله من الله متعلقة
بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه
تعالى ومأواه جهنم اي بدل ما اراد بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع البواء
في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف
الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان
احكام الواقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده
وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله
قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم
تقتلوهم اي فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على
احد التأويلين لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت
واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش
من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فاتاه جبرائيل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه
اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه

فانهزموا

فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الجاري
على يده عليه السلام حينئذ من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا
اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغيير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد
من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة
حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها
باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا
التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها له تعالى ونفيها عنه عليه السلام
كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام
في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه اي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب
بمقاسات الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر
والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن
الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثتهم عليم بنياتهم
واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين و
توهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمي والمبتدأ الامر اي الامر ذلكم اي القتل
فيكون قوله تعالى وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب
كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا
لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم
الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب
ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة
من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اي الى حرابه عليه السلام
نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث الفئة غير حقيقي
وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا اي من الاغناء
او من المضار ولو كثرت جملة حالية وقد مر التحقيق وان الله مع المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين
كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب
للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله
عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج
العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التاءين وقرئ بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان
المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله

عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم
تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه
والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا
تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم
كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة
والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون
حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكأنهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استيناف مسوق
لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض
او شر البهائم عند الله اى في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به
وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك
صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت
عن النطق بالحق فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل
الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور
ويفهم غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية
في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه
يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا
من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر
ولوقفوا على حقية الرسول عليه السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه
بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا
اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق
ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون
اما حال من ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم
واما اعتراض تذييلي اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
احي قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك فنؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الخ وقيل
هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم
صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب
اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا
تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر
وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى الرسول
اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل

مدار الموت الحقيقي وهي حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو
يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك من اجابتي قال كنت في الصلوة
قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هو من خصائص
دعائه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم
لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية
قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنونات
القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك
المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه
ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر
نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اى الله عز وجل
او الشأن اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى
وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اى لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله
لا تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا
يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم و
اما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة
القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب
قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم
بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا
ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل
اى وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها
من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض اى في
ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب
للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس
خبر ثالث او صفة ثالثة او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من
المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار
العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت

فقللكم ذو قللتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون
به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل
الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل
الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنائم روي انه عليه السلام
حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى
اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي فابوا
وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال والله لا
اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا
عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه عليه السلام فحله فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث
ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب
بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم
واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم في ذلك
فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده
فيهما فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال
العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين
ان تتقوا الله اي كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين
الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم وينشر صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات
الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم
والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى
تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم سوق
لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك
بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح
وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك

انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره
عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي
يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عليه السلام النبي عليه السلام
واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر
الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل
المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره
واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا يصلح الابتداء به لما فيه من ايهام الذم
سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه كان زعيمهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويعملون
برايه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية
العناد كيف لو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين
وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامر من قرع السيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا لاسيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا
من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال النبي عليه السلام ويلك انه كلام
الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على
انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس
كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان
المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا
للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان لموجب
امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه
والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم
من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان
ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون

عن المسجد الحرام اى وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم
عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد
فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره فى غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون
فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند
وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه
صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اى صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية
اى تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدى على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر
لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته
روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا فذوقوا العذاب اى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد
والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او فى ابى سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش
من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله
فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثانى اخبار عن
انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان
الغرض من الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما
وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر
الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى تمادوا على الكفر واصروا
عليه الى جهنم يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن
والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوته
عليه السلام مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز
بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى
يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله فى
جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى الخبث هم الخاسرون الكاملون فى الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اى قل لاجلهم ان ينتهوا
عما هم فيه من معاداة النبى صلى الله عليه وسلم بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف

من الذنوب

من الذنوب وقرئ نغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد
مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين فى القتال
لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اى لا يوجد
منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها
خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه
واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام تعليقه
بانتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم للدلالة على
انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا
ان الله موليكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم
النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبى انها نزلت ببدر وقال الواقدى كان
الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين
شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اى الذى اصبتموه من الكفار عنوة واصل
الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان من
شئ بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وان
لا يشذ عنها شئ اى ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب
المقتول للقاتل واذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة وقوله تعالى
فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان
وقرئ بالكسر والاولى آكد واقوى فى الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات
الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر
الله تعالى للتعظيم كما فى قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين
عليه بقوله تعالى وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة
اللام فى ذوى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلثة لدفع توهم اشتراكهم فى سهم النبى
صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بنى عبد
شمس وبنى نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضى انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هؤلاء اخواتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم و
حرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم
وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوى قرباه وثلثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية
واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء
ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه منع بنى هاشم الخمس

وقال مالكم ان تعطي فقيركم وتزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى
من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا نركب منه البراذين
وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده اما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة
من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ
الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى
قسمه بين هؤلاء وان رآه اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق
ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة
لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة
فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه وثلثة اسهم عندهما
قال القرطبي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم
بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب
التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم
بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله
وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عُبُدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل
وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل
من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد بما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح
على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء
من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما
كان من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على
كل شيء قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا
بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا
وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا
مع كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف القصوى وكذا قوله تعالى

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس
الا صنعا من الله عز وعلا خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض
الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل
من نصر اوليائه وقهر اعدائه ومقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة
شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر
وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك
ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح و
حيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من
آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في
منامك قليلا منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت آراؤكم
في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في
اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق
والضميران مفعولان يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي
لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم
ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذا من عظائم آيات تلك
الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك
بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان
مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا
اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره
ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا
لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور
ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب
واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد
ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال

واتقنا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج
فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا
جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير
عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعار للدولة من حيث
انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة
لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على
شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة ولم يفهم من كلمة مع من اصالتهم
انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث
الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا وما امروا به من احاسن الاعمال
ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا
ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان
وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة
فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء
مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما تعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر
وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم
اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة
عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر
اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم
اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى امداد الله
تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد
ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له
الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف اخافه ان يصيبني بمكروه من
الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رضي
واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستأنف من جهة الله عز وجل

اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي
الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون
في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة
عشر الى زهاء الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز
غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول
ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكورة عليه ولو ترى اي ولو رأيت
فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا
على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف
اي ولو ترى الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد
الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغني فيها
بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي واستاههم
او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا
من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا
التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد
يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما
كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم
بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه
في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما
للدلالة على سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان
امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم
حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج
الى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان
ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم
لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه
مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال و
الذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم
نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم الذي فعلوه

لا لداب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم
الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتأكيد
ما افادته الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا أخر لها دخل في استتباع العذاب
ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين
بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق
فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم
عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب اما لتغليب فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم
على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد
العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الخ استيناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم
من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو اشارة اليه لا نفس حل
بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله
بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق
النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغييرهم حالهم بناء على تخيل
ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل وابعاد عن الحق بمراحل و
تهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك
اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بان الله اي بسبب انه
تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها
على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها
وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح
بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة
مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات
غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم
الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت
النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في حيز
التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة
واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة
ح استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على
انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم
عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه
وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى

وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوز والانتصاب بمحل الكاف بلن تغني
مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير
كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة حينئذ
استيناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستيناف الاول بتشبيه دأبهم بدأب المذكورين لكن لا بطريق
التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير
الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم
الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى
كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي
فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما دأب قريش فيستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل
حيث اكتفى في كل من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب
والكلام في الفاء في قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع
اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي كل
من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم
بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق
ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع
في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اي في حكمه وقضائه الذين
كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل
من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله
عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم
في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل
وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم
ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واحدة من الجانبين معتبرة ههنا
من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام
اياهم عهده كأنه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات
للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة
الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم
الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح
وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده
لكونه مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض
لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم

ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا
من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا
المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية
البعد والركاكة يستلزم خروج بدئهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون
اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى
فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي
ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب وكل عنها بان تفعل بهم من النكاية
والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب
من هؤلاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي فافعل
التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم
لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى
واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل
والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك منهم
من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد
بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة
ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار
متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم
بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ
اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه
للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا للرسول صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه
للقتال بالآخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن
من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا
يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم
مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار
على دفع هذا التوهم مع ان مفاوتة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان
ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل
الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة
من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعول والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده
قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى افغير الله
تأمروني اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة

النقض وحمل المحاربة على محاربة بحزبهم فيكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات صح

وقرئ

وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا
يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف
لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وبهذا
على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب
والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه وآكده كما اشير اليه
وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم
توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد
وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة
الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل
الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا
ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب
وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها
على بقية افرادها كعطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون
بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية
من فاعل اعدوا اي اعدوا مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه
مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم
ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون
وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى
الله يعلمهم اي لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد قل او جل
في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص
الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال
نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض
الامور الواجبة عليه تعالى كما في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم
وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة
في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتأنيث لحمله على
نقيضه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون
وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع
فيسمع ما يقولون في خلواتهم من المقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد
كيدهم في نحرهم والآية خاصة باهل الكتاب وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار

السّلم وابطال الحراب فانّ حسبك الله اى فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الّذى ايدك
بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ماذكر
البعيد من الوقوع من دلائل تاييده تعالى فيما سيأتى اى هو الّذى ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى
وما النصر الّا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والّف
بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف
فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما فى الارض جميعا
اى تأليف ما بينهم ما الّفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ
اى تناهى التعادى فيما بينهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح ذات البين جميع ما فى الارض من الاموال والذخائر
لم يقدر على التأليف والاصطلاح وذكر القلوب للاشعار بان التأليف بينها لا يتسنى وان امكن
التألف ظاهرا ولكنّ الله الّف بينهم قلبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصى
عليه شئ مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية فى الاوس والخزرج كان بينهم
احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل
جميع ذلك والّف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا
يا ايها النبى شروع فى بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام فى جميع اموره وامور المؤمنين او فى الامور
الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام فى مادة خاصة وتصدير الجملة بحرف
النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار
بعليتها للحكم حسبك الله اى كافيك فى جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك
من المؤمنين فى محل النصب على انه مفعول معه اى كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما فى قول من قال فحسبك
والضحاك عضب مهند وقيل فى موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأى الكوفيين اى كافيك وكافيهم او فى محل الرفع
عطفا على اسم الله تعالى اى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت فى البيداء فى غزوة بدر قبل
القتال وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه السلام ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه يا ايها
النبى بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر عليه السلام بترتيب مبادى نصره وامداده
وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشأن المأمور به حرض المؤمنين على القتال
اى بالغ فى حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التى اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر
وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت
وقال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فلا وجه لان يجعل
الحرض عبارة عن ضعف القلب الّذى هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم
حرضا بان يقال انى اراك فى هذا الامر حرضا اى ممرضا فيه ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص
بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب
كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن

منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة
لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على انه قد يجرى بين الجمعين القليلين ما لا يجرى بين الجمعين
الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان
ذلك لا يتفاوت فى الصورتين وقوله تعالى من الّذين كفروا بيان للالف وهذا القيد
معتبر فى المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه
معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة
بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء
لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة
ثائرة البغى والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم
الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها
للزوال وبمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من
اعتقد ان لا سعادة فى هذه الحيوة الفانية وانما السعادة هى الحيوة الباقية فلا يبالى
بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقوم
الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم
كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حمزة فى ثلثين راكبا فلقى ابا جهل فى ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم وضجوا
منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا
وانزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فى الاهتداء الى القتال لا الضعف فى الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهى لغة فيه
كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما فى الرأى والعقل وبالضم ما فى البدن و
قرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به
مطلقا كيف لا وهو ثابت فى الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير
للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله اى بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين
والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى
والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره و
تاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة
فى الصورتين مجموع الامرين اعنى نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر فى كل مقام
عما ترك فى المقام الآخر ولم يشر بكلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون
للصبر كما مر آنفا ما كان لنبى وقرئ للنبى على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة

مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اى ما صح وما استقام لنبى من الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى
وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن فى الارض اى يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله
الثخانة التى هى الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف مسوق
للعتاب اى تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الاخرة اى يريد لكم ثواب
الاخرة الذى لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الاخرة على اضمار المضاف كما فى قوله • اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل نارا •
والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى
عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا
فيهم العباس وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال عليه السلام ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك
غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا
الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى
فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر
وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اى لولا حكم منه تعالى
سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم
يصرح لهم بالنهى واما ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب
فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما فى الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة
على انه قادح فى تهويل ما نعى عليهم من اخذ الفداء لمسكم اى لاصابكم فيما اخذتم اى لاجل ما اخذتم من
الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روى انهم امسكوا عن الغنائم
فنزلت فالفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اى قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم
والظاهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة
عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدة الترغيب فى اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة
لتاكيد الترغيب واتقوا الله اى فى مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم
من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبى

قل لمن فى ايديكم اى فى ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله
فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء
للفاعل روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى ابنى اخيه عقيل
بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه السلام
فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادرى ما يصيبنى
فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك
فقال اخبرنى به ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله
والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى امرك فاما اذ اخبرتنى
بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الان عشرون عبدا وان ادناهم
ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربى يتاول به ما فى قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من
التذييل وان يريدوا خيانتك اى نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى
لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على
كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اى اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة
فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم
فيعلم ما فى نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة
ان الذين امنوا وهاجروا اى هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا
باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال
واقتحام المعارك والخوض فى المهالك فى سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعى الجهاد ولعل تقديم
الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة
بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم
وبذلوا اليهم اموالهم واثروهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على
اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه
وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اى بعضهم
اولياء بعض فى الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الاية وقيل فى النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر
بعد نفى موالاتهم والذين امنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شىء اى
من توليهم فى الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل
والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على
المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم

والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
آخر منهم اى فى الميراث او فى الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفى الموارثة والموازرة بينهم وبين
المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اى ما امرتم به من التواصل
بينكم وتولى بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة فى الارض
اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير فى الدارين وقرئ كثير والذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام
مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى لهم
مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان ساق الاول لايجاب التواصل بينهم
والذين امنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم فى بعض مغازيكم فاولئك منكم اى
من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا
فى الايمان والهجرة وفى توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم فى التوريث من الاجانب فى كتاب الله اى فى حكمه او فى اللوح
او فى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شئ عليم ومن جملته ما فى تعليق
التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه برى من النفاق
واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم

سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَثَلٰثُونَ اٰيَةً اِجْمَاعًا

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة
والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيه من ذكر التوبة ومن التبرئة
من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضى بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة
الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك
التسمية عند النزول نزولها فى رفع الامان الذى يأبى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر
اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روى عن ابن عيينة رحمه الله لا اشتباه فى استقلالها وعدمه
كما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
من الاختلاف فى ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت
للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها فى المصاحف وتركها انما هو رأى
من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب فى ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من القرآن

انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأى احد فى الاثبات والترك وانما المتبع فى ذلك
هو الوحى والتوقيف ولا مرية فى عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع فى الاستقلال اشتباه
او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلى الله عليه وسلم
لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد دلائل الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين
نزولهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثانى لان عدم البيان من الشارع فى موضع البيان
بيان للعدم براءة خبر محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اى اسمعوا براءة ومن فى قوله تعالى
من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اى
هذه براءة مبتدأة من جهة الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تعلق
به البراءة حسبما ذكر فى قوله تعالى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة فانه
منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هى مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبره
الى الذين الخ والذى تقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند
المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج
الصفة لها ويجعل المقصد بالذات والعمدة فى الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين
وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان
حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد
العلم بثبوتها لما هى له ان تكون صفات كما حقق فى موضعه وقرئ من الله بكسر النون على الاصل
فى تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح فى لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد
العقد الموثق باليمين والخطاب فى عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركى العرب
من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بنى ضمرة وبنى
كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا
وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم فى حكمها ووجوب العمل
بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام
للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأى المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان
ورفع الحظر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه
امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة يقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها
آثارها من غير توقف على شئ اصلا واشتراك المسلمين فى حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على
طريقة الامتثال بالامر لا على ان يكون لهم مدخل فى اتمامها او ترتب احكامها عليها
واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل فى نفسها ولا تترتب
عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور
صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه فى شأنها هو الاذن فيها وانما الذى يباشرها و
يتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما

الى من مواصلة فيها على ان ذلك لتفخيم شأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية
الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة
النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية
لتنويه شأنه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة
الاسمية على الفعلية كأن يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها
واستمرارها وللتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب
في الارض والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة
على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم
لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد
للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب
بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام
بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة
الامر مع تأتي افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كأن يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو
ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكأن ذلك امر مطلوب
منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان
الاول مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا الترتيب
الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الآية كأنه قيل براءة
موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعمال الفكر من كل باب
اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل
صعب وذلول غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله وضع الاسم الجليل
موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين
اي مذلكم ومذلهم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار
لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون
المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر
الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت
حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى
عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في
العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه
على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عليه السلام لا يؤدي

عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي
سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه
قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده واذان
من الله ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة
معطوفة على مثلها وانما قيل الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة
الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج
ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في
حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان
ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي
بان الله وقرئ بالكسر لان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على
اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك
والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية
على الاذان بالبراءة المنبئة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب
خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم
غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار
الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر
كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم
مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى
واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كأنه قيل واعلموها
وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة
عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر
في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط
الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض
وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا
من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح

رسوله

فاتموا اليهم عهدهم اى ادوه اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب
للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة
اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة
حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا
فاذا انسلخ اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى
الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال
الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر
كذا اى دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضى نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا
فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله كفى قاتلا سلخى الشهور
واهلالى وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من
اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من
التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدى المسلمين فنيط قتالهم
بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة
الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء
بشانها او هى مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين
فعلى الاول يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال
الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثانى مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ
وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم
وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعى بقاء
حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا
تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما فى سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح
ان المراد بالذين كفروا فى قوله تعالى قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه وقد اسلم فى اواسط
رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت فى شوال سنة تسع وان اريد ما فى سورة
البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد
فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف
فى الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف
لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اى ايسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم اى قيدوهم او امنعوهم من التقلب فى البلاد قال ابن عباس رضى الله عنه حيلوا بينهم و
بين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه
على الظرفية اى ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثانى دفع احتمال ان يراد
بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان عما اضطروا به بما ذكر من القتل والاسر

والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية
العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم و
لا تتعرضوا لهم بشىء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم
بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى
التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه
وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك
بعد انقضاء الاجل المضروب اى سالك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اى آمنه حتى يسمع كلام الله
ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شىء آخر فى
الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها
لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدى الى اعمال حتى فى المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر كما
فى قوله فلا والله لا يلقى اناس فتى حتاك يا ابن ابى يزيد الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى
باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما فى معناه من امور الدين وما روى عن على
رضى الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع
كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الآية
فالمراد بما فيه من الحاجة على الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه
قوله ان ياتى محمدا فان من ياتيه عليه السلام انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه
له ان لم يؤمن مامنه اى مسكنه الذى يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعنى الامر بالاجارة والابلاغ
الى المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان
حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع فى تحقيق حقيقة ما سبق
من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين
الناكثون لان البراءة انما هى فى شانهم والاستفهام انكارى لا بمعنى انكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف
تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف فى محل النصب على التشبيه
بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة
وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز
عمل الافعال الناقصة فى الظرف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر
او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذى تعلق به
للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون
او بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على
الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما فى صورة الكون التام وهو الاولى لان فى
انكار ثبوت العهد فى نفسه من المبالغة ما ليس فى انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطى فرع ثبوته
العينى فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا وفى توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من

من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على كل حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم
عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يرعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة والا يتعرض
لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يامنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل
لعهدهم في ذلك لانه قطعا وان كان مرعيا عند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان
بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام
المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف
والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها
ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه
معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة
استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم
او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل
الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود
وايما ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقعت بوقتها الاستقامة
المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين
الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح
هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء
ان الله يحب المتقين تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام
التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله
سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد
فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يستدعيه
وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لها وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لها لاخلال تخلل ما في
البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة
لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف
وهاتا هضبة وقليب فانه علة مصححة لا مرجحة اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى
وعند رسوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا
فيكم اي لم يراعوا في شانكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب
ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في
نفيها الّا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا وحقا يعاب اغفاله مع ما سبق لهم من
تاكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط
بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال علام

الله تعالى وعند صح

نقبل منهم

نقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى عز وعلا اي لا يرعوا
حق الله تعالى وقيل الجوار وما له الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان
تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية
بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاق في شيء وان ما يظهرونه مداهنة
لا مهادنة فقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان
والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة
الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها
مصداق في قلوبهم وتابى قلوبهم ما يفيده كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة
فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروة رادعة ولا عقيدة وازعة
لا يتحاشون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا
بآيات الله بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل فيها ما
ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا
وهو اهواؤهم وشهواتهم التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى
الاعراب فصدوا اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صده صدا والفاء
للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة
للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا
يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء
على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذين يعملونه او عملهم و
قوله عز وعلا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على
الاطلاق فلا تكرار وقيل هو في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن بعدهم وغذوهم واما ما قيل من
انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا
دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى
من الظلم والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما
نعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي
التزموهما وعزموا على اقامتهما فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من
معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب
قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط
فيهما لما ان الاول مسوق اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت
بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات اي نبينها
والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر
والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي يفهمون الاحكام

او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا
عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا
ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا
الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم
قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه
النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد
بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنتها
او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على
الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم
اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها
كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال
لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن كما لهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث
والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان
نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد
من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر
وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك
ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان
من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فنفي كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة
لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال او للامر كما قبل النكث والطعن
وان حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا
لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم
حتى يرتدعوا عن نقض حبل ايمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا
اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر وسائر
العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على
انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار
بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك ولا يقدرون
على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على
ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا
بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جناياتهم
القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدؤكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا

بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤوا بقتال خزاعة
حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اي اتخشون
ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما
يوجب الرغبة فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته
ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى
قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم
وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين
عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد
القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز
الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة
عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة
المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم
وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى
فان القتال كما هو سبب لفل شوكتهم والانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم
من الكفر والمعاصي وللاختلاف في وجه السببية غير السبك والله تعالى اعلم والله ايثار اظهار
الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم
لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال
عن التوبيخ السابق الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان
المذكور اي بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم
والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شمم
رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص
من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير
عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم
ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم
غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي
تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ

هتداخله ٥

ان ابقى على حاله او مفعول ثان لان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اى بجميع اعمالكم وقرئ
على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعا ولما يعلم الخ او حال من فاعله او من مفعوله
والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شئ منها ما كان
للمشركين اى ما صح وما استقام لهم على معنى نفى الوجه والتحقق لا نفى الجواز كما فى قوله تعا
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها
مساجد الله اى المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها اولان
كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس فى نواحيها
اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد
فضلا عن المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس ويأباه انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون
بذلك على انه مبنى على كون النفى بمعنى نفى الجواز واللياقة دون نفى الوجه شاهدين على انفسهم
بالكفر اى باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك
شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه
وهو حال من الضمير فى يعمروا اى محال ان يكون ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما
ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعا فانها ليست من العمارة فى شئ واما ما قيل من ان المعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعا وعبادة غيره تعا
فليس بمعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعى انتفاء احدهما
لا بعينه لا انتفاء العمارة الذى هو المقصود روى ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى
بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على رضى الله عنه يوبخ العباس بقتال النبى صلى الله عليه وسلم
وقطيعة الرحم واغلظ له فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا
أولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى
اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت
اعمالهم التى يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفى النار هم خالدون
لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة فى الدلالة على الخلود والظرف متعلق
بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفى
السابق الاولى من جهة نفى استتباع الثواب والثانية من جهة نفى استدفاع العذاب
انما يعمر مساجد الله الكلام فى ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادراج
المسجد الحرام فى ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد
ههنا ايضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اى انما يصح ويستقيم ان يعمرها
عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به
الوحى واقام الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبى صلى الله
عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئى كلمة الشهادة علم للكل

اى انما يعمرها من جمع بهذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها
وقمها وتنظيفها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك
وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى المسجد يأكل الحسنات
كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعا ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها
عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام
من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان
وعن انس رضى الله عنه من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام
فى ذلك المسجد ضوؤه ولم يخش فى امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له فى الله لومة
لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلى من الامور
المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام
ويرجونها فاريد نفى تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من
المهتدين الى مباغيهم فى الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من
الصفات السنية فى معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع
باعمالهم التى يحسبون انهم فى ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع
ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم
وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم فى ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاعتذار بالله تعا
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اى فى الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد فى سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير المضاف
فى احد الجانبين اى اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام
او اجعلتموهما كايمان من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر
من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما البعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة
والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء فى الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق
الثانى وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعا على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل مبنى
التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدى كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان
ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين
مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصالهم بالايمان والجهاد او على انكار
تشبيه وصفيهم المذكورين فى حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما
اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار
بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم
حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما احتيج
الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بشئ آخر اذ لا شئ اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى

اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما
في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال
البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او
يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وعلا لا يستوون عند الله اي لا يساوي الفريق
الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين و
بين الآخرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم
بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى
المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه
للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استيناف
لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال
كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم
بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز
الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استيناف لبيان مراتب فضلهم
اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان
بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم
بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا
من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون
بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون
المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما
على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا رضي الله عنه
قال للعباس رضي الله عنه بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني
الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير
قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج
وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل
مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل
فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة
والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان
في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه

هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب
الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء
عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم
الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر
لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى
درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف
ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم
نعيم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اي في
الجنات ابدا تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة
فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله عز وجل وما للظالمين
من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت
في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت
تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه
او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك
وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله
اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه
الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام
بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم كما يشير اليه افراد الضمير في
الفعل المراعاة لفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد
تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم
الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب
وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من
موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم
عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف
المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم مأخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشيرة فانهم جماعة
ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها
وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها

للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم
ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة
للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات
الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان تؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى
الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري
المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل
تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عم
تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان
الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا
اي انتظروا حتى ياتي الله بامره عن ابن عباس رضي الله عنه انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة
او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين او القوم الفاسقين
كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الاية الكريمة من
الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين
خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة
والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في
احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه
من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل
يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من
يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه
كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب
باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا
عشرة آلاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن
وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما
التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة
فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا
الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح
فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم تغن عنكم
شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا
من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء
بمعنى مع اي لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله عليه السلام

وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذا بركابه وهو يركض
البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عليه الصلوة
والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال
العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذا الواحد شهادة
صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجاش سباقا للغايات
القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني بما
وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك
قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها
اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه الصلوة
قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما
بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل
والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم
كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي
عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرماهم به نحو
المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام
انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف
وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان
نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء
الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين
قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء
تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب
الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين
لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه
اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل
عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا
قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي
ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤونا مسلمين وانا خيرناهم

بين الزراري والاموال فلم يبعد لو ابا لاحاب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده
فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا
وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا
فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر
مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذووا نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو
بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم
عن ابن عباس رضي الله عنه ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح
مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون
الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما
جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة
او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع
عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا
فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج
عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه
قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول
الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك
وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم
عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق و
المكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال اي عائلة فسوف يغنيكم الله
من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها
خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك
اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من
اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها وقيد ذلك بها لينقطع
الآمال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم
بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتابين
اثر امرهم بقتال المشركين وبمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة
المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم
الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر
بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنون
بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا

انما صح

ولا يحرمون

يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي
يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي
هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله تعالى من الذين اوتوا الكتاب من التورية والانجيل
فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم
بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مؤاتية مطيعة بمعنى منقادين او من
يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيها او عن غنى ولذلك
لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن
انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة
عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء
وذلك بان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه و
يقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا
ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او
مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحمه تؤخذ من اهل الكتاب عربيا
او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما
المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب
وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بينهم
واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على
الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون
درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امراة وعند الشافعي
تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود
جملة مبتداة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك
في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعازر وعيزر
او غير منصرف للعجمة والتعريف واما لتعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف
فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود
وقيل قول بعض ممن كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك
وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان
اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير
وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبرائيل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية

صح

فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام
الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله
فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم
التورية ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره
فلما اتاهم فقال لهم اني عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية ففعل فقالوا
ان الله تعالى لم يقذف التورية في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس
رضي الله عنه ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم
ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه به
ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى
المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل
ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن آلها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم
من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم
بافواههم اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن
برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهؤن اي في الكفر و
الشناعة وقرئ بغير همزة قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون
الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد
في القول حتى يأتي التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل
الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى
فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء
عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى
الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم
علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان ابو الليث
وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم
وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا
من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع
الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرق
من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام
اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم

قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى
ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار
فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه
النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان
اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد
الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى
ونسبته عليه السلام الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة
رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم
الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان هو الله تعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك
مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما طاعة الرسول عليه السلام وسائر من امر الله تعالى بطاعته
فهي في الحقيقة طاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان
الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك
كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة
ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف
مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفؤا
نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزوال نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها
ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار
امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء
والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به
من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة
بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل
تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل مثلت
حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخة ويأبى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره
باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى
النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع
ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه
على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل
زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب
لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال
اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذف

لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان
الغرض منها اطفاء النار لا يراد
بها الا النور كالسراج
ازالة نورها
صح

الاولى في الباب حذفا مطردا للدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع
فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر
زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى
للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي
على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة
بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل ولو كره المشركون كما فيما سبق
خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله
يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان
سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما
يأتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل اي يأخذونها
بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على
انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله
عن دينهم الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى
او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما
ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل
واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله
فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق
البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين
فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها
ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه
مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء وبيضاء
كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها
حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره
فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا
بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر
يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء
للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التأنيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى
الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه
اربعة الآف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير

للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها
ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم
لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها
المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم
لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم
او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها
مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا
والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ
او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله تعالى وقوله
عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب
على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات
والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى
ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في
الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة
ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين
القيم المستقيم دين ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة
منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه
لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم
بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم
ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا
في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا
وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى
وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب
تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونسيئا كمس مسا ومسيسا وقرئ

وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون
احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد
الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما
ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحليل
ما حرم الله وتحريم ما احله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم
وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه
واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم والموصول عبارة
عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلِل يضلَل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر
عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون اي يحافظون على حرمته
كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم
كما سيجيء عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال
له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي
لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه ان صفر العام
حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا
الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم
فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقول في العام القابل فيقول ان آلهتكم
قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر
القلمس عن ابن عباس رضي الله عنه اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان
تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطؤا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة
واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر
المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم
مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك
والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل
اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا
رجوع الى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم
استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم و
تقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال
لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض
لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل
المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم
على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف ح انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على

تضمينه

تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو
ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم
ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت
عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم
ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورّى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه
عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة
اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي
فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح
الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة
في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم
اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد
اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة
الوصفية والذاتية المستلزمة للاستيصال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا
من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه
شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول
صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير
فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله
الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه
فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا
اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره
عليه السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من
غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد
مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة
وقد فرغ في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام
ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل
مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب
في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني
لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي
لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه
من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي
الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام

ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت
فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول
الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله
وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه
وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي عليه السلام فكان على
طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر
والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين
لهم وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل
لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي
العليا لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير
حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز
لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار
على المساهلة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر
حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم
مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا
لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا
او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي
وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعليّ ان انفر قال عليه الصلوة والسلام
نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الآية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما
عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس
يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول
فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في
الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع
بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال
لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم و
سائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان كذلك
غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك في
النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط

ولكن

ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين و
الشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم
والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون
قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما
جميعا حسبما عنّ لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي
القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو
استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول
وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو
الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك
للنفس ولذلك قال عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم
او من فاعل خرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم
مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون
الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفى عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استيذان
المتخلفين في التخلف متعذرين بعدم الاستطاعة واذنه اغماضا على ايمانهم ومواثيقهم
مخلوها عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف
الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لأي سبب اذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان
لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون اموره عليه السلام منوطة
باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان
كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلمتا اللام متعلقتان بالاذن لاختلافهما
في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستاذنين وتوجه الانكار
الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما
ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار
من عدم الاستطاعة من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عنّ لهم هناك وتعلم
الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وبيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص لعلمه عليه السلام
عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لاستلزامه
ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه
من تلك الحيثية وذلك بيّن الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم
وهلا تانيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى
فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل

المال او من جهة
صح

دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين
صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا
حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب
والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر
هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه
بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره
تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده الى ضميره عليه السلام
لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا
علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم
ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى
الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف
الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما
المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما
هذا وفي تصدير الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العقاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده
بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا
اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب
من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس
ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ
فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء
او يسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه
لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى
لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى
تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش
على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السلام وارضوه بالاكاذيب
على انه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف
من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي
ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك
في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا
عن ان يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مئنة للتأني
في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة
ان يجاهدوا وقيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد

فائدة

فيتوهم

فيتوهم النفع الى القعود به يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي
الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد
اي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا وابناء على ان الاستيذان في الجهاد ربما
يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه
فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لعلة اخرى غيره ولو سلم
فالذي نفي عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم
بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة
المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك
واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا على الاول
او لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما
في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى
استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم
عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم
وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات
دين المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا
عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل
تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح
وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة
من قال * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا * اي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة
والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا * اي عدته وقرئ
عدة بكسر العين وعده بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك
عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى
انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع
بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر
ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم
اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى
كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض
او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم واياما كان
فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم
اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل

صدره
ان الخليط اجدوا البين وانجردوا

وقيل منقطع وليس بذلك ولاوضعوا خلالكم اى ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد
ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اى حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا
ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة فى الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشى وقرئ ولارقصوا من
رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اى اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان
يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب فى قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او
استيناف وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة
يسمعون للمنافقين اى يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما
او مستانفة ولعلهم لم يكونوا كثيرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامرلهالك
اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا للمنفعة ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا
مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلى كره انبعاثهم فلم يتيسر
اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن فى قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم
لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول ولم يقدروا
على مخالطتهم والسعى فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الايات
النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتى منهم
فيما سيأتى ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد فى الوعيد والاشعار
بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اى يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابى بن سلول
المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة
اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة
العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين
وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد فى المكر والحيلة
يقال للرجل المتصرف فى وجوه الحيل حول قلب اى اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا
الآراء فى ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق اى النصر والتأييد الالهى وظهر امر الله
غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اى على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى
لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة
الى الاذن وايذانا بان ما فات بمجالسهم مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لى
فى القعود ولا تفتنى اى لا توقعنى فى الفتنة وهى المعصية والاثم بريد انى متخلف لا محالة اذنت
او لم تأذن فأذن لى حتى لا اقع فى المعصية بالمخالفة ولا تلقنى فى الهلكة فانى ان خرجت معك هلك
مالى وعيالى لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مشتهر
بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكن اعينك بمالى فاتركنى وقرئ ولا تفتنى

من افتنه بمعنى فتنه الا فى الفتنة اى فى عينها ونفسها واكمل افرادها الغنى عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم
الجنس به سقطوا لا فى شئ مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة
على التخلف والجرأة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبنى عليه وعلى
الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفى تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم
الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هى التخلف
بغير اذن وفى التعبير عن الافتتان بالسقوط فى الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم
فى دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا
معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اى جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على الثبات والاستمرار ومحيطة بهم الآن تنزيلا للشئ سيقع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسباب
الشئ موضعه فان مبادى احاطة النار بهم من الكفر والمعاصى محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها
ما ذكر وامثاله وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادى المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هى النار
بعينها ولكن لا يظهر ذلك فى هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية فى النشأة
الآخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار
بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان
تصبك فى بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اى تورثهم
مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك فى بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا
متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد اخذنا امرنا اى تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال
عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا
من قبل اى من قبل اصابة المصيبة فى وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج
عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث
الى اهاليهم او يعرضوا عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه
عليه السلام والجملة حال من الضمير فى يقولوا ويتولوا لا فى الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم
دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حاليهم حالتى عروض المساءة
والمسرة بانهم فى الاولى مضطرون وفى الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم
من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوى يقال صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اى اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة عليكم
او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولى امورنا وعلى الله وحده
فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى
العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل
لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما فى قوله تعالى واياى فارهبون والجملة

ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار الاسم التبرك والتلذذ به
وان كانت مسوقة من قبله تعالى امر المؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر
وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر المخاطب
واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بالمأمور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في
السياق والتربص التمكث مع انتظار مجئ شئ خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة
اي ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب
وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه
مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين
من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف
صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء
فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا
لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا نشاهد الا ما يسرنا ولا تشاهدون الا ما يسوؤكم قل انفقوا اموالكم
في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى
استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر
للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا
هل يتقبل منهم فشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل
يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم
قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم
منهم شيئا من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلوة
الا وهم كسالى اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته
عليه السلام لا راغبة اذ هو فرض للتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك
استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم
وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة
واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم
في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما فعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية و
يؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين
وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا
حصينا يلجؤون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى

على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء
استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن
الي لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر
يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها
انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اي
امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار
او مدخلا اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال
اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اي لصرفوا وجوههم
وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون اي يسرعون
بحيث لا يردهم شئ من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ
يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شأنها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم
وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من
القسم واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط
واذا نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت الآية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم
يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن
زهير التميمي رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله
عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله
اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل
انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي
لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة
ببيان ورد لمقالة القالة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم
بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة
بهؤلاء الاصناف الثمانية الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة
بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شئ
والمسكين من لا شئ له هو المروي عن ابي حنيفة رحمه الله وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه
والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف فمنهم اشراف
من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا

ودنياتهم ضعيفة فيتألف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم
من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشىء منها على قتال الكفار
ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
عز وعلا واعلا كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون
بشىء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان تبتاع منها الرقاب فتعتق واياما
كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم
قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم
في استحقاق الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين
اي الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي من
من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله
اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في
الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص
فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم
لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روى ذلك عن عمر وابن
عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا ان يصرف الى ثلاثة من كل الاصناف
فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن
سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء
اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب
استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها
ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام ما لا ينبغي فقال بعضهم
لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا
ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع
كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به
وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما
محمولة على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على
المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد
اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا
عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن
خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق
بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين

مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور
وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما آمن لموسى الى آخره
ورحمة عطف على اذن خير اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا
منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم
وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته
الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من
قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله
بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على
الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سيأتي فان يتوبوا يك
خيرا لهم لما يجترؤن عليه من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب
اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير
الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله
عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة
الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون
يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم
اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف
عن الجهاد فليس بداخل في هذه الاعذار ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم
ارضاء الرسول عليه السلام وقبل عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل
من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم
لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك
الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما
ما اتوا به من الايمان الفاجرة وانما يرضى به من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجلي الحق ويزهق الباطل
والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم
اي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه
عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاءه عليه السلام ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما
في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى
الاستعارة بعد التأويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما ان الضمير لا يتعرض
الا للذات بما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم
الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب
اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف او الى الله على ان المذكور

خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما سبق
عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك
المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على
الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فنون القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة من
الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه
ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اي فحق ان له نار جهنم وقرئ
بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا
وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل و
دخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانون انني • اذا قلت اما بعد اني خطيبها •
وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله و
رسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما
بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر
مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ابذانا ببعد درجته
في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات
نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل
لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل
الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم
اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم
فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة
المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم
بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمائر الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين
أي تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال
ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل استهزؤا اي افعلوا
الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز
ما تحذرون اي تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة
لكم على ملاء الناس والتاكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور اذ ليس
حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه
عليه السلام كان في مسيره غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول

ولا ابالي بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون

عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات
هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا
فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض
فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم
منزلا اياهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك
الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب
فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ ان يعف على اسناد الفعل الى
الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى
المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء
على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم
غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو
يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقشعر
منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت
انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون
والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض
اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان
يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى
يامرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف
مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم
اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره
نسوا الله اغفلوا ذكر الله فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة
ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير
والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين
نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها
وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط
ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم
معهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يامنون
ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة
الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة

او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في صيغة
التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق
بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم اياهم واقتفاء آثارهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين باسقاط
النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين
والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين ضمنا
لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس
المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية عن البيان بل اعمالهم
التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر
في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم
فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج
واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون
لمباديه واسبابه طرا فانه قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو
انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية
الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم ياتهم اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم
الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت
بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير
الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نبائهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم
للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا
يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر
المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم
ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل او المفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال

المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى
بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية
على المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون
الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون
الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة
وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات
باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل
اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته
من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز
تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية
الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين
متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله تعالى فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد
المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل
لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار
بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغير ذلك
للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف
طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد
منهم فائز لا محالة ومساكن طيبة اي وعد لبعض الخواص الكمل منهم منازل يستطيبها النفوس او
يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن هي ابهى
اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر
رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل
باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان
الجنة وسرتها فعدن على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف
الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من
الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم
فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه
تعالى اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم

نظم في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول
لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم
افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة
الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون
ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها
ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ولنعما قال من قال تالله لو كانت
الدنيا باجمعها • تبقى علينا وما من رزقها رغدا • ما كان من حق حر ان يذل بها • فكيف وهي متاع يضمحل غدا •
يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ
عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم
جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله
والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة
لما امر من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام
فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا
فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من
الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل
على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار
الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم
برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها
اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم
ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه
عليه السلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها
وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على
الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من
فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون
من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم
العلل اي ما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او ما انكروا لعلة من العلل الا

لاغناء الله اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين
قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته
وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا
بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة بالنار وغيرها من افانين
العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله
عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض
آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل
نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا
فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن
رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل
كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما
الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي
وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا
عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة
مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام ان الله منعني ان اقبل ذلك فجعل التراب
على رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلوة والسلام
فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته
فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحارث وجد بن
قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم
الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله عاقبة
فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى
عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم
ولا يلائمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق و
الصلاح وبما كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها
وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية
فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي اسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما
سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع مبنية

عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح
والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة أزيح ما في ذلك
من الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال ألم يعلموا
اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزة
على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم اي ما اسروا
به في انفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير
فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم
الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على
الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من
الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم
بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم
وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين
وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على
الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي
ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا و
تصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون
الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر
جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون
اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا
من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم عذاب اليم اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم
وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين
الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كأنه عليه
الصلوة والسلام أمر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله
عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله
بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له

ففعل فنزلت فقال عليه السلام محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف
حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنها العدد بأسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها
ولأن الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد
وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية
الكمال اذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم
ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب
انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا والله لا يهدي
القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة
الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى
الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو
تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه
المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو
عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد
تبين حالهم كما سيتلى في قوله عز وجل ما كان للنبي الآية فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكم الخفية
او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه
وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ
خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييده فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى
المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح
اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام
او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا لايثار الدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما
في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر
مرتبة الكراهية وانما أوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد
في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه
كما فرحوا بافبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم
تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد
ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من
خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه

لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما
تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار
القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول
المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم
اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع
تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات
والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن
عاجل امرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها
ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور
السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا
وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به
فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة
فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا
لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان
يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء
مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير
جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتي على ما بين من امرهم و
الفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي الى المنافقين
من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من
المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستاذن البعض
عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة
اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة
وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك
اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا والفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر
منهم من الرضى بالقعود اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين
الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محوا اساميهم عن دفتر
المجاهدين ولذهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى
المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امراة او اولى مرة ولا
تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة

ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة
والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس
النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه
قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني و
ساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا
فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة عليه
نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ودعيناه ليصلي عليه قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا
وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى
دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل الخ فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت
مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه
حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار
للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله
مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى الفسق ولا تعجبك
اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير
الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس
الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد
في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من
بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود
من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله
بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم
الشدائد في شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها و
الالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها
ان آمنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار
اي بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك اولوا الطول منهم
اي ذووا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستاذنك
مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم
من عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا
بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه

واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا
معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يرضوا عنه
صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء
عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا
نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا
والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة بتخفيف
خيّرة واولئك هم المفلحون اى الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل
وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم وربا بمكانهم اعد الله لهم استيناف لبيان كونهم مفلحين
اى هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير
المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة
العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع
في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذّر في الامر اذا قصّر
فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام
التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذِرون من الاعذار وهو الاجتهاد
في العذر والاحتشاد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فأذن لنا في
التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيّ على اهالينا
ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم
الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى
اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطّوعين وازّكى
واصّدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذّرون والمعذرون اى الذين لم يفرطوا
في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر
انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اى
من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر
في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله و
رسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء
والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف مقرر
لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم
اى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشعر

الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين
كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة
من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن
غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نذرنا الخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد
فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه
قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام
وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب
السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب
اذا واعينهم تفيض اى تسيل بشدة من الدمع اى دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز
النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دمعا فياضا
والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه
ما قبله اى يفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له او حزينين او يحزنون
حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف اللام متعلقة بحزنا او
تفيض لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل
بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم
رضوا استيناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا
بان يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم
فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه
آجلا كما لم يعلموا بخساسة شأنه عاجلا يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتصدون
له عند القفول اليهم روى انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا
يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه السلام واصحابه فانهم كانوا يعتذرون
اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اى يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار
هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها
قل تخصيص لهذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه
ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه السلام وان اعتذارهم وكان شاملا للكل لشمول
الرجوع لهم لا تعتذروا اى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا
بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله تعالى لن نؤمن لكم اى لن
نصدقكم في ذلك ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله
من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق

مما اسرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وهيأتموه للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذ[يب]
وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول ايضا صلى الله
عليه وسلم بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي
أتتوبون اليه تعالى مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول
الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما
وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة
للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى
بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم
فينبئكم عند رددكم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار
من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على
انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد
نبانا الله الخ فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة
اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين
للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل
من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع
والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع
ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو امر مبتدأ لتعرضوا وتصفحوا عنهم
صفح رضى فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض
رضى كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه صريح في ان المراد
بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة
لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا
ومأويهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم و
موجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا
تتكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء
او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون
في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به
لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم
فان ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه
ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان

بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة
على ابلغ وجه واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل
ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير
واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم
ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست
بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء
سكن البوادي ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا انتسب الى الاعراب
على لفظه فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي يهودي ثم يحذف
ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب
البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في
معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في
قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر ان لا يعلموا اي احق
واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم
وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة
والله عليم باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب
والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعدم انحصارهم
في الفريق المذكور كما يترأى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر
والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من
يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب
اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله
فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعت ببعض
افراده من يتخذ ما ينفق من المال الذي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما
اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه
رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار
غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل
الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر
ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما
ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء
مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت
عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم
اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء

فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهي العذاب كما قيل له سيئة
والله سميع بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي
من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم
على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات اي ذرائع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص
جعل كأنه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل
عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو
للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته
ولكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك
منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر في الفريق الاخير مع
ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وان ذكر اتخاذه
ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وببيان اتصافهم
به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر و
النفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله
تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما مر من
تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة
اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها
قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته
وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد
للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله
غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هم في عبد الله ذي البجادين
وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة
رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة
خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من
المهاجرين بيان لفضايل اشراف المسلمين اثر بيان طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى
القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة
الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم
ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين
به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي
الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما

نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار
وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه
وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب
وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب
بعد بيان حال البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم و
اشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد
وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق
اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف
اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله تعالى انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف
على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله
ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر
فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل
المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين
للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم
لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق و
التنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه
من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه
متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت
بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه السلام
باعيانهم على عدم علمه عليه السلام بعد مجيء البيان على انه عليه السلام بعد مجيء البيان على
انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من
المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم
المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص
وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه
سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد
مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة
فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب
الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر
او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات
الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد
بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى

ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم
السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى
انفسهم ايذان باختلافهما حالاً وان الاول خاص بهم وقوعاً وزماناً يتولاه سبحانه وتعالى
والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعاً وزماناً وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال
طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم
يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو
وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير
الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما
ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب
ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم
ما نزل من المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب
عادته الكريمة وراءهم كذلك فسأل عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت خلطوا عملاً صالحاً هو ما سبق
منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف
عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما
على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطاً ومخلوطاً به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء
في قوله تعالى وآخر سيئاً فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس
وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما
بكونه مخلوطاً والآخر بكونه مخلوطاً به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفاً بالوصفين
جميعاً وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر
عنهم من الاعمال السيئة اولاً وآخراً وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم
بعت الشاء شاة ودرهماً بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم
المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل
عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو اكرم الاكرمين
ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئاً فنزلت
فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأموراً بها ولما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث وترك
لهم الثلثين فوقع ذلك بياناً لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله
عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه
جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة
والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها

بانبات

باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها
اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا
على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت
الجملة الاولى حالاً من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى
حالاً او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف
عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم
سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة
تعليل للامر بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء
عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب
دعاءك لهم عليم بما يقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق
من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم
وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم
واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وانما اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلم اولئك
التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم
كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة
لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولاً اولياً ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم
على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحت صدقاتهم اندراجاً اولياً
اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر
لها ظاهراً وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع
زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة
وان ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا ايسد كل واحدة منهما مسد
مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا للتائبين على الاولين هؤلاء الذين تابوا
كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية
الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب
لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة
ولما ولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعدما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤن من
الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اي خيراً كان
او شراً تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد ورسوله عطف على الاسم
الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون في الخبر لو ان رجلاً عمل
في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائناً ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما

رايتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها ما آلها من الجزاء خيرا او شرا
فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها
وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية
المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل
ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات
فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة
ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر
والعلن واحدة على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه فكيف لا وعلمه سبحانه
بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى
وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة
على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب
فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو
عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك
الجزاء به ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن
المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون و
قرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله
في شانهم قال ابن عباس هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا
الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم
والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم
ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا
وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا
على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس كذلك فان المذكورين ليسوا من
المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على
الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته
ويتم الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم بما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ
والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب
على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه
على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب
على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا
اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فصلى بهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلوة والسلام

حسدهم

حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن
يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة
وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب
مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة
والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك
سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ
مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا
تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قباء
مجتمعين فيغص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم وارصادا اي اعدادا وانتظارا
وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف
حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا
ببنائه هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين
او الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه في ذلك المسجد حسبما
دعوك اليه ابدا لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه
ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام
اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين لمسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى
من اول يوم اي من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه اي للصلوة و
ذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستانفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه السلام فيه من جهة
الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدأ او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه
تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد
الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق التام او
لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين

من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين
اى يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت
القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام أترضون
بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم
فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار
الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل
هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر عن الذنوب
بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم أفمن اسس بنيانه على بناء
الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ أُسُس بنيانه على الاضافة جمع اساس
وإساس بالفتح والكسر جمع أُسّ وقرئ آساس بنيانه جمع أُسّ ايضا وأُسُّ بنيانه وهي جملة مستأنفة
مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر
اى ابعد ما عُلم حالهم من اسس بنيانه دينه على تقوى من الله ورضوان اى على قاعدة محكمة هي التقوى
من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او
ترك وقرئ تقوًى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التأنيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار
للاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة على شفا جرف هار
الشفا الحرف والشفير والجُرُف ما جرفه السيل اى استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام
والهار الهائر المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قُدِّمت لامه على عينه
فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اى بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به
في نار جهنم مُثِّل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رُشِّح بانهياره به
في النار ووُضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله
الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة
فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جُرْف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين
اى لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم
ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه
لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلهم
للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اى لا يزال
مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اى سبب ريبة وشك في الدين كأنه نفس الريبة
اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه
ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض

ما هموا

ما هموا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به
ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت
قلوبهم ووهى اعتقادهم بحقية امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البناء اكثر مما كانوا
يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم
بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة
حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم
الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التاءين اى الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء
بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم
الاحوال ومحله النصب على الظرفية اى لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم
او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها
فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند
قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تُقطَّع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه
على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اى الا ان تُقطِّع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء
للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم على الخطاب ايضا ولو قُطِعت
قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها
قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم
حكيم في جميع افعاله التي من زمرتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد
بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عُبّر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم
التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة
التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي
هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين
بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون من مقابلتها
من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل
العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول
الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك
لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام
الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية
بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما حلية النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة

والى ان تقطع قلوبهم

باع

ظرفية مصدرية بأن فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لها في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة وغانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم • قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا • لا يقطع الطعن الا في نحورهم • وما لهم عن حياض الموت تهليل • وقيل في يقاتلون معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى في التورية والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا وانهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عليه السلام اشترط لربي

ان نعبده

ان نعبده ولا نشرك به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها قال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للاية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين امنوا بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركين اولي قربى اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه السلام والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين

والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ
وما استغفر ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى
الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه آزر ناشئا
عن شئ من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه السلام اياه اى اباه وقد
قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربى بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين
حقيقة امره والا لما وعدها اياه كما قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابراهيم بان اوحى اليه
انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى
انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اى تنزه عن الاستغفار
له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس فى تركه ونظائره ان ابراهيم لأواه لكثير
التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استئناف
لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام
كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسى به
فى ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو فى كمال رقة
القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين
لو كان غير محظور لما استثنى عن الائتساء به فى قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك فقد حقق فى سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اى ليس من عادته ان يصفهم
بالضلال عن طريق الحق ويجرى عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم
بالوحى صريحا او دلالة ما يتقون اى ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه
واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وكأنه تسلية للذين استغفروا
للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل
شئ عليم تعليل لما سبق اى انه تعالى عليم بجميع الاشياء التى من جملتها حاجتهم الى بيان قبح
ما لا يستقل العقل فى معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هٰهنا ان الله له ملك السموات والارض
من غير شريك له فيه يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم من الاستغفار
للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولى اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم
متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رضى الله عنهما
هو العفو عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو فى حق زلات
سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا
وهو محتاج اليها حتى النبى صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه فى بعض الاحوال من ترك الاولى
الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره فى ساعة العسرة اى فى وقتها والتعبير عنه

بالساعة

بالساعة لزيادة تعيينه وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد
ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم
التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل
واعتصروا فروثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف
المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم فى مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة
فى بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلأن لا يستغنى عنها غيرهم اولى واحرى من بعد
ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهى الشدة وبلوغها الى الغاية وراءها وهو اشراف
بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع
اليه الضمير فى منهم وقرئ بتأنيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين
من المؤمنين كأبى لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا
من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم استئناف تعليلى فان صفة
الرأفة والرحمة من دواعى التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثانى
عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اى وتاب الله
على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابى لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم
يقطع فى شأنهم بشئ الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ
خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين
والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسبه
الا المعنى الاول اى خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس
عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كأنه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت
عليهم انفسهم اى اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشئ لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة
والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اى علموا انه لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم
تاب عليهم اى وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ فى قبول
التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم
لافانين العقاب روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من
بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن انه قال بلغنى انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف
درهم فقال يا حائطاه ما خلفنى الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت فى سبيل الله ولم يكن لآخر
الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأنى ولا خلفنى الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن كذلك والله المؤمن
يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع
اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس

هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه
وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح
والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه
الا حسن برديه والنظر في عطفيه قال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل
نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت
لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك
ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت
ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه
التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون
وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشؤون فيدخل ما ذكر وتوبتهم
وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب
لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن
وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب
كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم
الى الغزو ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه وقد جوز الجزم اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا
يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى
النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما الا ما يستباح
عنده المحرمات من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلأن لا يخلو
ذلك منه اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب
بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة
بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها

بالفضيلة

بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم
وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل
والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة
عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل وقيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون
المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر
المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر
مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب
باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء
لا لتاكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يتجاوزون في مسيرهم واديا وهو في الاصل
كل منفرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على
الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا
كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا
جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل
بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا الفقاهة فيه
ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك
ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد و
التبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل
ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم لم
يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا
الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى
اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل و
المقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو
وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق
بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم
كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم

وانا عالمهم من قبيل الاتيان ولا اشعار بجلية الاخذ للكل واما جنس المحسنين مح

غلظة اى شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا
ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع المضمر
للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة
المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه
دخول مع المتبوع فى قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم
من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم
زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اى ايكم زادت
زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين
حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايمانا فاما الذين آمنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين
لحالهم عاجلا وآجلا اى فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم اليقينى الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها
بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين
فى قلوبهم مرض اى كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اى كفرا بها مضموما
الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى
ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اى الا ينظرون
ولا يرون انهم اى المنافقين يفتنون فى كل عام من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير
لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اى يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وما يذكر
الذنوب والوقوف بين يدى رب العزة فيؤدى الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لاسيما القوارع الزائدة للايمان
الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف يرون داخل تحت الانكار
والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى اولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون
عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء
والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اى الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التى هى افتتانهم
على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون
واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم فى محفل تبليغ الوحى كما ان الاول
بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية
بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اى قائلين هل يراكم احد من المسلمين
لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او
ترامقوا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم
من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد فى انتهاز الفرصة فان المرء بشانه

اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما فى قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة
فى عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخى باعتبار وجدان الفرصة والوقوف
على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعا عن محفل الوحى خوفا من الافتضاح ونحو ذلك
صرف الله قلوبهم اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية
بانهم اى بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب
رسول اى رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربى قرشى مثلكم وقرئ بفتح الفاء
اى اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اى شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو
يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتايج ما سلف من المجانسة حريص عليكم
فى ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهى الرأفة
التى هى عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى
النبى صلى الله عليه وسلم تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك و
يعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف
الا منه وهو رب العرش العظيم اى الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير
وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
على الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة البراءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون
الف صف من الملائكة عليهم السلام

سُورَةُ يُونُسَ عم مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَتِسْعُ آيَاتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له
من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذه السورة
مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها
لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها
باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب
بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا
على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التى هى الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه
قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما للسورة
فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما فى اسم
الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله تعالى

آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هى آيات مخصوصة
منه مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة
والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار
تعينه وتحققه فى علم الله عز وعلا او فى اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور
فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبأم القرآن فى عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصى اذ ذاك
فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ
المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصى يطلق على مجموع ما نزل فى كل عصر الا يرى
الى ما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى
ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير له الى احدهما قدمه فى اللحد فان ما يفهمه الناس
من القرآن فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت فى اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة
لتحقق المجموع الشخصى فى علم الله سبحانه او فى اللوح والانزاله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذى الحكمة
وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة
صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد
جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة اليها فى ضمنها من الآى فانها فى حكم الحاضر لا سيما
بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقرائتها وينبغى ان يكون المشار اليه
حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا التخصيص
الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان فى
بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب
عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها
والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة
اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا
من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من
التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه فى غير محله
والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما
تعرض له فى قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعيين مدار التعجب فى زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام
متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور فى الظروف وقيل المصدر اذا كان
بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان
الناقصة على الحدث ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدار الانكار والتعجب
وتشويقا الى المؤخر ولان فى الاسم ضرب تفصيل ففى مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف
الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل

عطف على قوله اما جميع
القرآن العظيم
منه

او تأويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار حينئذ ان تجعل كان تامة وان اوحينا متعلق بعجب
على حذف حرف التعليل اى احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب
لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال فى حكم تنحية المبدل منه ليس
معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم
وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اى الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث
الله بشرا رسولا او من افنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث
الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق
المفاوضة الملائكة كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التى
عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذى يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحانى والجسمانى
ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثانى فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة
هو التقدم فى الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق فى احراز الفضائل
العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم فى انه صلى الله عليه وسلم
فى ذلك الشان فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم فى الرياسة
الدنيوية والسبق فى نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له فى ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا
قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
ان انذر الناس ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك لان الخبر
والانشاء فى الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهى صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال و
وجوب كون الصلة فى الموصول الاسمى خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف
بالجمل لا القصور فى دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز
كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر
الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة فى ايثار الاظهار على الاضمار
وكون الثانى عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين آمنوا بما
اوحيناه وصدقوه ان لهم اى بان لهم قدم صدق اى سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم
وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها
تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها
الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية
هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا

بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها
همزة الانكار او لكونه استينافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا
على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التأكيد
ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي
على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما
عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا
تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف
سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار
والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل
عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى
تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى
ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم
رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذي
خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات
او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس
فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على
ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار
واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت
قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام
مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط
بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك
ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن و
الاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك
الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا
التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات
الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات
والصفات والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي
فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيء اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب

مصالحها

مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على
انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على
سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع
للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه في
التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم
نفي الشفاعة على اتم الوجوه كان قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى
قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع
يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من
المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه دلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى
المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق
الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهو ابعد بيان ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى
فاعبدوه اي وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا
ينصر ولا ينفع وآمنوا بما انزله اليكم افلا تذكرون اي اتعلمون اي الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك
حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم
اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم
مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم
وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وعدا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو
الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر
مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استيناف علل به وجوب
المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح
اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب
حقا اي حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال
من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل
ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة و
هو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول
لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم
للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية
للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو

فان نفي العام مستلزم لنفي الخاص كما في قولهم ليس فيها داع ومجيب فانه يدل على نفي الدعاء والاجابة على ابلغ وجه

بتوجيه الانكار الى المعطوف فقط فان عدم التذكر بعد العلم مستنكر جدا ويجوز ان تقدر المعطوف عليه منفيا ويتوجه الانكار اليهما معا اي الا تعلمون فلا تتذكرون

الانابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته
باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء
على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه
حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم بهذا التدبير البديع فلا يبعد ان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد
بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى
والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء
على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء
على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم
ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء منقلبة
من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا
الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه
اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره في
منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة
سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير
لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر
عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا
كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون
مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي
نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين والثريا الدبران
الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا
السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح
سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت
لتعلموا ما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما
في تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية
والحساب اي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء
من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في
السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب
احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين
له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا وقد تحصل كل من ذلك
من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه
بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل

حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد
من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدود وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة
تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك و
السنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه
في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر
قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب
بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب
مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما
تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما
حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما
ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات
ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر
حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائط لا اتصافه به
بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء
الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين
والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الآيات اي الآيات التكوينية المذكورة
او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على
ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون
مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم
المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه اخر اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما
خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما
في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا
قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد
القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة
منه ولياليها واما في نفسها فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله
نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على
وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال
الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر
انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من
آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر
من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم

بالجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء
الحساب كما في قوله عز وجل اني ظننت اني ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر
ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي
عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا ولقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن
الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشار بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا فانه
منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة
ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها
آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي
وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها
وما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها
مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام
المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضى بالحيوة الدنيا فانها منبئة عما ذكر
من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر
كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن آياتنا
المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها
المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به
واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا
بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى
جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله
باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على
ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم
الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا
وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد فتأمل اولئك
الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأويهم اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه
النار لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة
وما تستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة
وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان
او آمنوا بما يشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه

ذلك

الجنهم

ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما
ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب
اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى مأويهم ومقصدهم وهي
وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى
الكفرة وما آواهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما بين من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم
اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية
الربانية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا
لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم
منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان
الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة ان
الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون
كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون ناطق بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم
بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام
او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري
وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم
على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك
السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك
بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال
عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من
الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها
دعويهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره
اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول المقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه
عندما عاينوا فيها من عجائب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف
وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا
او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم
كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه وآخر دعويهم
اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام
اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك
الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله ان هالك كل من

من يخفي ويتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم
وخاتمته للتوسل الى ضم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق و
دعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات
او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بابا ما اضافة الآخر الى دعويهم وقد جوز
ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون ايذانا بان لا تكليف في الجنة
اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده
تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من
الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب
تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس
كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى
استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي ووضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال
في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعار بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم
بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند
استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين
لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء
مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام
كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه
مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة
والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا
من البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى
ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرايت امرا هائلا فظيعا
او نحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا
فسر الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في
الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء
فليس بامر مغاير للتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته
من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا
يكون في ترتيبه عليه وجودا وعدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس

التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى ولو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من
جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فائدة وانما الفائدة
في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتبه على
نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية
على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو
عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما يقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا
واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك
من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع
الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان
الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته
لجنبه حال من فاعل دعى بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى
يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال مما ذكر
وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع الاحوال مرضه على انه
المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا
يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه غب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء
مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء
او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية
في محل النصب على الحالية من فاعل مر مشبها بمن لم يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه
وبه او وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك
نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف
مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها
ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين
اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى و
المشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة
فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي راس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما
من جهة الله سبحانه على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل
ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما
قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر
في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد

قوله تعالى

واضرابهم ومن في قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب
لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا
ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من
غير تأخير وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا وقوله تعالى وجاءتهم رسلهم حال من
ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع
حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وجاءتهم
رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز
ان يكون للعطف على ظلموا وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من
الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس
الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب
الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم
والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتأكيد النفي اي
وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان
الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا
بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره
التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء
الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة
مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم
والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد
بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في
الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في
انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه
يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم
ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي
تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر
كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى
الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة
بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات
والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال
السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها

فضلا

فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به
اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر
في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل يكون حينئذ مستعارا لمعنى اي شيء
واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات
البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي
حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف
المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك
وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه
للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي
قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية
عنهم وانهم انما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من
البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر
ايذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها
فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب
والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه
بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة
ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا
ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب
ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور
بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء
اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول
بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على
معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر
من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو
تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب
للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القرآن كلامه عليه السلام
ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم
بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل
واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل
من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة او يوم اللقاء الذي

لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يتسهل لي ان ابدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر في التعليل الآتي الى ما بعد من الآيتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي ولم يسبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم انما هو مشيئته تعالى له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بان لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيئته تعالى وامره وانما قيدنا الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم الادراء اليه تعالى المنبئ عن استناد الادراء اليه تعالى ايذانا بان لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم فبالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطأت وارضأت في اعطيت وارضيت وعلى انه من الدرء وهو الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لادراكم بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن علي بما شاء ويخصني بهذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لما لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل وامره حسبما بين آنفا لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه السلام

فيما سبق بسبب مشيئته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا من قبله اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده غائلة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلوب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وانما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه وتعالى

او كذب بآياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه من جهته عليه السلام والفاء
لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء باتخاذ الولد والشريك
اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض
آياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان وقع اسما لان والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار
وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا
اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه
المفتري والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها
جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون
ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء
بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم
اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر
لان ادنى احكام للعبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي
هو مظنة الضر فحيث لم يقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم
ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى
ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث
اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك
فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم
اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون
الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم
وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام
على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر
يشفعون لهم عند الله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا
وهو كون الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم
وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه
بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلمه مؤكدة للنفي لان ما
لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة
الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاؤهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب
على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان
الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة

فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما
حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار
فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف
وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام
وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم
عليه السلام الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب
بايراد الآية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا
بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا ان كلا منهما احدث ملة على
حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا
يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق
اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت
من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل
لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة
الاستقبال لحكاية الحال الماضية للدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم
معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على
الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها
كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه
عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات
المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب
انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك
الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله
من الغيوب المختصة بالله تعالى لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين
اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وجعل الغيب
عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب
به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء
فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله
تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى
كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا اي الطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال
في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا وقوع المكر منهم وتنكير
مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة

اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتى منكم فى دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها فى مقابلة
مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه
وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير
وصيغة الاستقبال فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية
مكره سبحانه غير داخل فى الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون
من مبادى بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب
بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد فى التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون
حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذى يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى مبنية
على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من السير تمكينا
مستمرا عند الملابسة به وقبلها فى البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله
عز وجل بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن فانه جمع فلك على زنة اسد
جمع أسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما
ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى السفن بهم
بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكر
لغيرهم مساوى احوالهم ليعجبهم منها ويستدعى منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى
قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنه المسيرون فى البر فالضمير
الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما فى قوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى يغشاه اى او كذى ظلمات
يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها
وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف
مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى
وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثانى من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة
لا يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها
من كل مكان ولان التهويل فى بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف
اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم
الموج فى الفلك من كل مكان اى من امكنة مجئ الموج عادة ولا بعد فى مجيئه من جميع الجوانب
ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب
تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مثل فى الهلاك اصله احاطة العدو بالحى
او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة
والتلازم او استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله
مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة
ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة

للقسم

للقسم على ارادة القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك
ابدا من الشاكرين لنعمك التى من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء
من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثانى لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفى قوله
لنكونن من الشاكرين من المبالغة فى الدلالة على كونهم ثابتين فى الشكر مثابرين عليه
منتظمين فى سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس فى ان يقال لنشكرن فلما انجاهم
مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون فى الارض اى
فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترقين فى ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود
العيث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وزيادة فى الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغى
او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما فى
قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغى بحق كتخريب الغزاة
ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على
كون البغى بمعنى افساد صورة الشئ وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها
الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد فى التهديد والمبالغة انما بغيكم الذى
تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اى عليكم فى الحقيقة لا على الذين تبغون
عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة
شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر
بطريق الاستئناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى
متمتعين بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذى فى الخبر لا نفس البغى لانه يؤدى الى الفصل
بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس فى تقييد
كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو
مقدم الحاج اى زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل
عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغى بمعنى الطلب
وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستئناف لبيان سوء
عاقبة ما حكى عنهم من البغى المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاى مناسبة بينه
وبين البغى بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه
وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه
ان المعلل بما ذكر نفس البغى لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر
اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستأنفة وقيل على انه مفعول صريح
للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام
والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد ونحو

ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه
على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم
لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع
على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع الخ كما في قوله عز وجل
الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم
وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم
ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكي
عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان
عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدا
كما هو المتبادر من السوق واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي
التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب
للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث هو هو لا من حيث
كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحيوة
الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال
وقيل انه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا
تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث
والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل
على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كانه قيل تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور
للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء
والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان
كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية
التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور
تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة
ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة
وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من
الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس تمتعا في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم
ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من

الصورة

الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف
مسوق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه
حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام
نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها
فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت
الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به
ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه
من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها
المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزين
فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت
من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات
والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها وسائر ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من
اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس
اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اي مثل ذلك
التفصيل البديع نفصل الآيات اي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة
على احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون
على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء
التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما
فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله
يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة
الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة
وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تعالى
وتخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله والملائكة
فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم
موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل
على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اي
اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي
المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر

الحسنى وزيادة اي
وما يزيد على المثوبة
صح

امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
اللقاء ولا يرهق وجوههم اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف
بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير
للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني
وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا بما ينقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام
ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان في
الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون
بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير
المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة
واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك حيث لم يقل وللذين كسبوا
السيئات السوءى لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنائي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك
انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد
بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى
انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية
ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم
كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة او حال
من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من
الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل
قال افتح الباب وانظر في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له
او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستأنفة
او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار
هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق
لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر
من احوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية
سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي

لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على
المفعولية بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين
كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى
ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤوس
الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر
في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما
فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة
فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب على انه اسم فعل وحركته حركة
بناء كما هو رأي الفارسي اي الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من
عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا
من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه
نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث
لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير
مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا
اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم
احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجيء فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم
اليأس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين
الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة و
المشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف
وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد
عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعاء المحاورة
الغائبة بالمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه
عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة
بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر
بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد
بما في تقديمه من التغيير لاستتباع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه عن المحاورة
فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا
والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد لرجوع
الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبرئهم من عبادتهم وانهم انما
عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم
كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء فيقول لهم

بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير
ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها
والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وبهذا
يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لاريب فيه وان لم
يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من انّ واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش
او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة
كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع
او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ
نبلوا بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة
والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب
ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلوا اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها
الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردّوا الضمير
للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلوا الخ اعتراض
في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق
ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر
المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لانه كان قبل ذلك غير ضال او ضل في
اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من انّ آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
آلهة هذا وجعل الضمير في ردّوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا
وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعا
يكون على طريقة الاجتماع لا يلائم التعرض لوصف الحقية في قوله تعا مولاهم الحق فانه للتعريض
بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب
والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من
الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى
للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعا اعلم قل اي لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم
وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم
من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل
واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض
ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا
على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو
المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي

ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر
العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا
تأخر الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره
فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب
اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون
ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطون من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من
خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدا
وقوله تعا الله خبره وقوله تعا ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له
تعا الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون
اسما واحدا وقد غلبت فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي
بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق
الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة حق
ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها
من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق
عبارة عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها
والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر
مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعا وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير
الثاني فانى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة
ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لابد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع الاحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب
الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل
المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة
الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق
الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عنه وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك
اي كما حقت الربوبية لله تعا او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت
كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده
انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة والعذاب قل هل من شركائكم
احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية
ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعا وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله
في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت هلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها

وسنوح براهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما
وجودا وعلما يستلزم الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد
ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده
اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان القول المأمور به
غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسئول عنه من يبدؤ الخلق ثم يعيده
كما في قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذي اريد
منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم
فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه و
اشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فقيد ترد اعادة
الجملة في الجواب تمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك
الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من
الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم عقيب
الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي الى الحق اي
بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم اي تبيين
طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فتحلي
بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم
عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان
المنتهى غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى
الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة و
ذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر و
غير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي
الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم
وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء
نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفي
عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان
من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك
مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى
صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب
بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع
في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة
متأخرة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور

حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاجرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن اثر تقرير
ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي
بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه
محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي
احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب
او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى الى الاهتداء او
الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام
وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى
من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم
اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه
تعجيب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب
منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان
قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي
بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى
بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت
حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال
فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام
مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الجمهم والقمهم الحجر
من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك
لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا
واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة
الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما
يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن
القبول والانقياد ولما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثناء اتباعهم لفرد من افراد
العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم
فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة
اليهم التبكيت من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول
لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من
حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه
ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ

هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين
لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي او وقيل المعنى وما يتبع اكثرهم في
اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة
الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق
من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حال منه والجملة استيناف لبيان شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز
الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من
الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات
الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القران شروع في بيان ردهم للقران الكريم اثر بيان
ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون
بالهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما تلك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك
ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد
بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ
بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما
كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثان داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه
الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب
من رب العالمين خبر آخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما
ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية
الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام
والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر
كما تقولون فأتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في
العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب
مثله وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون
انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومداريكم الذين تلجأون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون الله
متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون
الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء
للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عروق المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على
ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اي في اني افتريته
فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة
المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال على اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم

بالتحدي

بالتحدي الى اظهار بيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فالمسارعة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث
والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر
ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا و
يعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل
كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لا يعلمونه الا بعنوان عدم العلم به وبان
تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة
له ولما يأتهم تأويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي لم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ
اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه
الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق
ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤوا تكذيبه
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان
التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان
الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب
عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا على
ذلك ايضا تماديا لما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء
ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي
بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية و
انما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى كذلك
وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة
من غير تدبر وتأمل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا من المعجزات التي ظهرت
على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين
وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة
وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم وصف
لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع
الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعد ما
سعوا في المعارضة وارزوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر
مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم
الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما
الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى
انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته

الى آخره

المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا ولسخافة عقله واختلال
تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك
وبهذا القدر من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهو لاهم الذين
اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول ولا يؤمن به فيما يستقبل بل يموت
على كفره معاندا كان او شاكا وهم المسترون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد
له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل
الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين
وان كذبوك اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم
عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء
عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي
لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية
السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما
جمع الضمير الراجع الى الكلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما يأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك
للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب
والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك للشرائع افانت تسمع الصم همزة
الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه
والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتب
عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة
او صفة وايا ما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك
الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كأنه قيل أيستمعون
اليك فانت تسمعهم لا انكار لاستماعهم فانه محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه
حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل
بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما
تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم
من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي أعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل
تهدي العمي تربية لانكارهم ايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث
قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم
باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم تهدي العمي وكل منهما معطوفة
على جملة مقدرة مقابلة لها اي الفحوى كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع

الصم

الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون اي على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق
عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه
النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون
ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس شيئا اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق
الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤوفي المشاعر ونحو ذلك
بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالهم الاولوية و
الاخروية من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد
الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ
بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اي لكنهم بعدم
استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل و
الكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع
اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم
والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته
وقوله عز وجل انفسهم اما تأكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول يظلمون حسبما وقع في سائر المواقع و
تقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية
عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم
ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على رأي من يراه موجبا
له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم
لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل وتنفرا لدى الطبع
واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم
لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه
يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان
لا يظلم احد الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع
للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار
النفي لا نفي الاستمرار الا ترى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص
ومساق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت
للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم
يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم
وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات

اى اذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم كان لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى شيئا
قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة
فى موقع الحال من ضمير المفعول اى يحشرهم مشبهين فى احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث
فى الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض
آثار نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث فى البرزخ الا ذلك
المقدار وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان
استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام
الموافقة بين النشأتين فى الاشكال والصور فان قلة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير
فيكون قوله عز وعلا يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا
وعلى الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا
من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بشدة الاهوال
المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير
يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما فى حيز الصلة
والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد
بالخسران الوضيعة والغبن وضيعوا فى تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة
بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان
سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق
النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون
اى نبصرنك بان نظهر لك بعض الذى نعدهم اى وعدناهم من العذاب ونعجله فى حياتك فتراه والعدول
الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا
حسبما يقتضيه الحكمة من انذار عقيب انذار وفى تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود
وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم
او لا فالينا مرجعهم فى الدنيا والآخرة فنريكه فى الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اى فذاك
ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التى حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها
ونتيجتها وهى معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال
الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد وقرئ ثمة اى هنالك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث
اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل
فكذبوه وخالفوه قضى بينهم اى بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين
به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون فى ذلك القضاء
المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به

فاذا جاء

فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء
وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به
والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلب لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما فى سورة الملك ان كنتم
صادقين اى فى انه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم
الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف فى مثل قوله
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال فى قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا
عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبى صلى الله عليه وسلم قيل
قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا اى لا اقدر على شئ منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم
لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فللتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع فى سورة الاعراف من تقديم
النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى انى لا املك شيئا من شؤونى ردا وايرادا مع ان
ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب فى اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء
منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام
التبرى عن ان يكون له عليه السلام دخل فى اتيان الوعد فان ذلك يستدعى بيان كون المتنازع فيه
مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعله عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال
الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسى شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان
املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالى الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب
عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم فى الاستثناء وتقييد لما فى القضاء السابق
من الاطلاق المشعر بكون المقضى به امرا منجزا غير متوقف على شئ غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اى لكل
امة امة ممن قضى بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم
يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمجيئه ظاهر
وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه و
الضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذى
هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بتبيينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة
عموم ما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها
الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا يستأخرون عن ذلك
الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتأخرون عنه اصلا
وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اى لا يتقدمون عليه
وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه كالتأخر بل للمبالغة
فى انتفاء التأخر بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا

مع ظهور ان لا توبة له رأساً قد نظمهم في عدم قبول التوبة في سلك من سوّفها الى حضور الموت
ايذاناً بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مرّ في سورة الاعراف وقد جوّز ان يراد
بمجيء الاجل دنوّه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضُرب لهلاكهم ساعة معيّنة
منه لكن ليس في تقييد عدم الاستيخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهتمام
بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة ولو ذلك بالتأخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة
اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم
مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم عندما بيّنت كيفية جريان سنة الله
عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبّهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على
مجيء اجله المعلوم ايذاناً بكمال دنوه وتنزيلاً له منزلة اتيانه حقيقة ارأيتم اي اخبروني
ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتاً اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهاراً
اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عيّن لكم من الاجل بمقتضى المشية التابعة للحكمة كما عيّن لسائر
الامم المهلكة وقوله عز وجل ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك
ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم
للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعاً من اتيان العذاب فضلاً عن استعجاله والجملة الشرطية
متعلقة بارأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون منه سبحانه والشيء
لا تمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان
وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه
حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا
ان التنزيل هناك صريح وههنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارأيت ان اعطيتك
حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء
بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم
بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكماً تحت
القول المأمور به اي أبعد ما وقع العذاب وحلّ بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان
انكار التأخير الى هذا الحد وايذاناً باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه
من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل
منه متعلق بارأيتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه
والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الخ والاستفهام
الاول اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
ثم جيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد ادات الشرط دلالة على استقلاله
بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء بماذا مؤكداً بما ترشيحاً لمعنى الوقوع وزيادة

للتجهيل

للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى آلآن استئناف
من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول
اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به انكاراً للتأخير وتوبيخاً عليه
ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتأمل والتدبر في شأنه ولا لشيء آخر مما
يعدّ عذراً في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرئ
آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيباً
استهزاءً جملة وقعت حالاً من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم
والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى
ثم قيل تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدّر قبل آلآن
للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية
لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم
تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مرّ من الاستعجال ويستنبئونك
اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار احق هو احق خبر قدّم على المبتدأ الذي هو الضمير
للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه لحق او مبتدأ والضمير مرتفع به سادّ مسدّ الخبر والجملة في موقع النصب
بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضاً بانه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل او هو الذي تسمونه الحق
قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضياً عما قصدوا وبانياً للامر على اساس الحكمة اي
وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك
يوصل بواو انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التأكيد حسب شدة انكارهم
وقوته وقد زيد تقريراً وتحقيقاً بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم
لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه
من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم
ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلاً ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها
قاطبة بما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اي النفوس
المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضاً لافادة تهويل
الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون
جميع ما في الارض لكل واحد من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب
ذكور مدلوله على اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار
والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة
الحال وشدة الاهوال ما لم يحتسبوا فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب
باسرّوا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرّها رؤساؤهم ممن اضلوهم

عسى

حياءً منهم وخوفاً من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها ولان سرّ الشيء خالصه حيث تخفى وتضن بها
نفيه تهكماً بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره حين عيل صبره وفني
تجلده وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان
اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به
بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين لا يساعده
المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولاً اولياً وهم اي الظالمون
لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات
والارض اي ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتهما او خارجاً عنهما متمكناً فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء
على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته
يتصرف فيه كيفما يشاء ايجاداً واعداماً واثابة وعقاباً الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن
الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائناً ما كان فيندرج فيه العذاب
الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجاً اولياً او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما
ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول انه ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي
التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه
على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة
عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة بالبعث والحشر
يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم
من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان
بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب
سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة
بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي
التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب
في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية
كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد
الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات
الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير
في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بان يغتنموا
ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما ما في مجيء القرآن

من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولاً اولياً والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام
ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار
والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء
الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء
فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في
اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته
فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرئ ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله
الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا
وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل أرأيتم اي اخبروني
ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق
ما حل لهم وجعله منزلاً لانه مقدر في السماء محصل بهوا وما يتوقف عليه وجوداً وبقاءً
باسباب سماوية من المطر والكواكب الانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه
حراماً اي حكمتم بانه حرام وحلالاً اي وجعلتم بعضه حلالاً اي حكمتم بحله مع كون كله حلالاً
وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه
قل تكرير لتأكيد الامر بالاستخبار آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون
بامره تعالى ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم
بالشق الاخير قطعاً كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل
وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيد للتبكيت اثر تأكيد مع مراعاة الفواصل
ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال
من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه
سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل أعلى الله
تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى
لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع
الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع
ان الافتراء لا يكون الا كذباً لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذباً في اعتقادهم ايضاً
وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيمة
ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها

متقالا لانتقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما
يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التى ستقع يوم القيمة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح
امره فى التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اى اى شئ ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون
انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون
ما يفعلون كلا انهم لفى اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا وقرئ على لفظ الماضى اى اى ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضى لانه كائن فكانه قد كان
ان الله لذو فضل اى عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اى جميعا حيث انعم عليهم بالعقل
المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار
التى لا تستقل العقول فى ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون
تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل
فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة
فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون فى شان اى
فى امر من شانت شانه اى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير للشان
والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنة من الشان اذ هى معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل
والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية وما
فى قوله تعا من قرآن مزيدة لتاكيد النفى او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية
على الثانى والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل وقد روعى فى
كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اى ما
تلابسون بشئ منها فى حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون
فيه اى تخوضون وتندفعون فيه والاصل فى الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد
بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضى ايضا اوثر فى الاستثناء
صيغة الماضى وفى الظرف كلمة اذ التى تفيد المضارع معنى الماضى وما يعزب عن ربك اى ما يبعد وما يغيب
عن علمه الشامل وفى التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاى من مثقال
ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد النفى اى ما يعزب عنه ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة او هباء فى الارض
ولا فى السماء اى فى دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فى احدهما او
متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعا بتفاصيلها
وقوله تعا ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية
للجنس واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن
ربك شئ ما لكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب عنه شئ منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء

متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعا شئ الا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب
المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة الاعمال المذكورة
وغاية لما ذكر قبله من كونه تعا مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته فى كل ما يأتون وما يذرون واحاطة
علمه سبحانه جميع ما فى السماء والارض وكون الكل مثبتا فى الكتاب المبين بعدما اشير الى فظاعة حال
المفترين على الله تعا يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد
وصدرت الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولى لغة القريب والمراد باولياء
الله تعا خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه سبحانه وتعا كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم
فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم
لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور
كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعى
فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد
الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعا
ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب فى حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد
بالنسبة اليه تعا واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهى بمعزل من
الانتظام فى سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز
وجل الذين آمنوا اى بكل ما جاء من عند الله تعا وكانوا يتقون اى يقون انفسهم عما يحق وقايتها
عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل بيان و
تفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبنى على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه
خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين
جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح
او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح فى ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها
الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك التى يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من
فعل وترك اعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهى التقوى
الحقيقى المأمور به فى قوله تعا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور
والقرب الذى عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلوة والسلام
تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل خلا انهم فى شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة
حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم حتى جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية
ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق فى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق
عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلا كلام فى الولاية
هو التقوى المذكور فاولياء الله تعا هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله

بدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين
يذكر الله تعالى برؤيتهم لما روى عن سعد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله
فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اى بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في
الله لما روى عن عمر رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا
ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحابب في الله سبحانه من
الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والاثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها
وقربها من افهام الناس قد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام
الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامها فلعل
الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين
ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب
والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها
ليرو احقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير
لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه
الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله
عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى في
الحيوة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم
الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم باثارها
وثمراتها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجوده
سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله
حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولى بالكرامة عين نتيجة الولاية
فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذى
يقتضيه نظم الكريم ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثانى بيان لما اولاهم من خيرات
الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم
وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة
على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل
ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن
المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف
والحزن لاتقائهم عما يؤدى اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات

العاجلة

العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال
للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى
الاستقرار اى لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة اى عاجلة وآجلة
او من الضمير المجرور اى حال كونهم في الحيوة الدنيا الخ ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل
ومحبة الناس عن ابى ذر رضى الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس
فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان
به اما البشرى في الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين
وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة
والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة
بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما
البشرى في الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من
وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات فيكون
هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها
ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسايلها مما لا يساعده جلالة شان
التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التى من جملتها مواعيده الواردة ببشارة
للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف
فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى
ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على
ثبوتها ووقوعها فيما سيأتى بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة
الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وفيه تقرير لما
ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من
شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض ولا يحزنك قولهم
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن
مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان
ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وسوق الخطاب
نهى له عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهى الى قولهم
للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهى عن التاثير نهى عن التاثر باصله ونفى له
بالمرة وقد توجه النهى الى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا
وتخصيص النهى عن الحزن بالايراد مع شمول النفى السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه
عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض الاوقات

الدنيا الى اخره صح

بياض صح

نوح حزن فسلى عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي الغلبة والقهر لله جميعا
اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك
عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة البشريات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله
هو السميع العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله من في السموات
ومن في الارض اي العقلاء من الملائكة وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم
وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قهره وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك
وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته
بالمشركين وبمقالتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان
على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره
اي ما يتبعون الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما
لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى
ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه
قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما
سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين
مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون
الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام
للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعون شركاء من الملائكة والنبيين وتقرير لكونهم
متبعين لله تعالى مطيعين له توبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن
ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه
ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه
على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف
من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان
بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا
فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا
على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم
كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية
فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار
مجازي كما في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصفا او فيهما وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر
لقوم يسمعون اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتامل

فيها

فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لانهم المنتفعون
بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه
تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة
لتنزيهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من
العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اي حجة
بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض
فمن في من سلطان زائدة لتاكيد النفي وهو مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده
على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بالمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم
من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في
الالزام والافحام وتاكيد لما في قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على
جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي
وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر فيدخل
ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون
من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة
من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في
الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ
الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم
في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن
المكروه ايضا بقوله عز وجل ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح
وقيل المبتدا المحذوف حياتهم او تقلبهم وقيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا
عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء
عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار
اجراء الحكم ما يؤدي اليه من رياساتهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف
هو الخبر اي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير
داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان
النبي صلى الله عليه وسلم مامور بنقله وحكايته عنه عز وعلا واتل عليهم اي على المشركين من
اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون
على العذاب الخالد نبا نوح اي خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر
والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم

ليزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر وتنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تلوته
موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق
الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من
اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم
ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل الاشتمال واياما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام
لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق
عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لفلان منه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف
ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا
الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب
للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل
فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه
او هو الجواب وما سبق جملة معترضة والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال
قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان
متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه
اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير
المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف
على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد
قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاجمعوا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا
فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل
مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث
استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة
بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلائته وكلمة ثم للتراخي
في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير لمقتضيها مقام الامر بالاظهار الذي
يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال
الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن
حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله
عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي [illegible]
كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل
غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه
من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من
افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه

واما احداث

واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة
ما اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم و
بما ياتي منكم واعجازكم من الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم
بمقابلته وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع و
السؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضرني توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان
التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية
لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في ما يصحح له ولا ما يتضرر منه وقوله عز وجل
ان اجري الا على الله تنتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام
عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه
فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد
والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي بالطوفان وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء
والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل
المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات على الغضب الذي هو من مستتبعات
جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى
الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده اي من بعد نوح عليه السلام
رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان
ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود
الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤهم اي جاء كل رسول قومه
المخصوصين به بالبينات اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل
المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي
كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام
الاحاد الى الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم
ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما
استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم
المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل
تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول
حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر

البينات الظاهرة ونظائر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلباً وايجاباً عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل
رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولاً كفرهم المستمر
من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخراً تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة
عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذي اثير لاستحالة تبدلها
وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن
الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من
بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم
بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من
الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا
بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصوداً بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب
والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولاً وانما ذكر ما وقع قبلها بياناً لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين
فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم
الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية
من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق باعتبار كونه
مركوزاً في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ
بالياء على ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد
المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي
والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا
عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلاً الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك
الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف بادراج خبرهما فيما
اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب تفصيل ايذاناً
بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم
بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات بآياتنا
اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير
استحقاق والفاء فصيحة اي فأتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين
لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوماً مجرمين
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن
بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل

وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات ليأباه قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه
سحراً اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سباق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام
من الآيات العظام والفاء فيه ايضاً فصيحة معربة عما صرح به في مواضع أخر كأنه قيل قال موسى قد جئتكم
ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحراً
او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه
الاذهان كأنه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي
أتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه
اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور
والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذاناً بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو
على نهج الحكاية اي أتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم
او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم
لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي تعيبونه
وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل أسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحراً
وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما
على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحراً على انكار كونه معيباً بان يقال مثلاً أفيه عيب حسبما يقتضيه
ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق
على ان ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار
ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحراً اي
أسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له
عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحراً كون من اتى
به ساحراً اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون
وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو وبلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء
ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي أتقولون للحق انه سحر والحال انه لا
يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين
من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى
أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة
كونه سحراً بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا
واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح
الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلاً اما اولاً فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر

من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح
ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا
فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة
المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب
تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة واما ثالثا
فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن
الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث
بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استيناف وقع
جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى اسحر هذا ما اشير اليه كانه قيل فماذا
قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا
اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام
ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة الكلام عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على
تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن
سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم
مصححة لكونه جوابا لكنه وتكون لكما الكبرياء اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ
ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء
او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله
اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين
بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق
لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة
اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون
اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما
بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة
عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن
الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل
بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر
فلما القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم قال
لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتداء
والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس
يريهم ان حاله بين لا يعبأ به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ آلسحر على

الاستفهام

اي السحر الذي يعرف حاله
كل احد ولا يصدى
له عاقل وقرئ ما
جئتم به
صح

على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني
في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى
له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين
على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته
واتمامه اي لا يثبته ولا يحكمه ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله
ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق
عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقاء الروعة
وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل
من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواقع اخر
اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله
تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدة مستمرا من قبل ما
في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك
ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل
جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات الباهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد
من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم
وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وام امه
آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون
وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه في الفساد
وعلوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او
للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير
كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد
الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه
لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى الخوف
المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا
ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط
بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت
عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين

مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم
علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا
وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعا منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم
مصاحبتهم بعد الالتجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على
التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوءا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها
وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة
نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك اول
امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا
اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة
وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في
التبشير وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك
دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل
اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكرير
الاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم
الطمس المحق وقرئ بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها
حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف
على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك
اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة
الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام
الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي بعادات الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح
او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها
لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعانّ ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
هو جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه
يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو
بمعنى التنفيذ نحو ما وقع من قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والا القيل وجوزنا
بني اسرائيل في البحر وخلا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة الغاية

الالهية

الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهب وذهب به فاتبعهم
يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده
حتى تراءت الفئتان وكاد ان يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين
او للبغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل على حين غفلة
من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق
على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم
حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه قال امنت انه اي بانه والضمير للشان وقرئ انه على
الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل لم يقل كما
قاله السحرة امنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل
صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان
يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين اسلموا
نفوسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على امنت وايثار الاسمية
لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني يحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي امنت مخلصا
لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد ثلاث عبارات حرصا على القبول
المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات واتى ما هو ات وقوله عز وجل
الآن مقول قول مقدر معطوف على قال اي فقيل له الان وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى
منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على الوجه الانكار التوبيخي
على تأخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وابراز
الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى
كما يفصح عنه ما روي من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده
به فانه تأكيد للرد القولي بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه
قال للنبي عليهما السلام فلو رأيتني يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان
تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة
ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور من
شأن جبرائيل عليه السلام من الرضاء بالكفر اذ لا استحالة في ترتب بعض الرحمة على مجرد التفوه
بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة الباس واليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد
لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ
الى تأخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا
وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الايمان الى هذا
الآن ببيان انه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتأمل والتدرج ولا لبلاهة وآبائه ولا لشيء آخر مما

عسی یُعِید عذرا لتاخیر بل کان ذلک علی طریقة الرد والاستقصاء والافساد فان قوله تعالی وکنت من المفسدین عطف علی عصیت داخل فی حیز الحال ای وکنت من الغالین فی الضلال والاضلال عن الایمان کقوله تعالی الذین کفروا وصدوا عن سبیل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما کانوا یفسدون فهذا عن فساده الراجع الی نفسه والساری الی غیره من الظلم والتعدی وصد بنی اسرائیل عن الایمان والاول عن عصیانه الخاص به فالیوم ننجیک ای نخرجک مما وقع فیه قومک من قعر البحر ونجعلک طافیا ومن التعبیر بالتنجیة تلویح بان مراده بالایمان هو النجاة کاقر وتهکم به او نلقیک علی نجوة من الارض لیراک بنو اسرائیل وقرئ ننحیک من الانحاء ونُنَحّیک بالحاء من التنحیة ای نلقیک بناحیة الساحل ببدنک فی موضع الحال من ضمیر المخاطب ای ننجیک ملابسا ببدنک فقط لا مع روحک کما هو مطلوبک فهو تخییب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاریا عن اللباس او کاملا سویا او بدرعک وکانت له درع من الذهب یعرف بها وقرئ بابدانک ای باجزاء بدنک کلها کقولهم هوی باجرامه او بدروعک کانه کان مظاهرا بینها لتکون لمن خلفک آیة لمن وراءک علامة وهم بنو اسرائیل اذ کان فی نفوسهم من عظمته ما خیّل الیهم انه لایهلک حتی روی انهم لم یصدقوا موسی علیه السلام حین اخبرهم بغرقه الی ان عاینوه مطروحا علی ممرهم من الساحل او تکون لمن یاتی بعدک من الامم اذا سمعوا مآل امرک ممن شاهدک عبرة ونکالا من الطغیان او حجة تدلهم علی ان الانسان وان بلغ الغایة القصوی من عظم الشان وعلو الکبریاء وقوة السلطان فهو مملوک مقهور بعید عن مظان الربوبیة وقرئ لمن خَلَقَک فعلا ماضیا ای لمن خلفک من الجبابرة وقرئ لمن خلقک بالقاف ای لتکون لمن خلقک آیة کسائر الآیات فان افراده سبحانه ایاک بالالقاء الی الساحل دلیل علی انه قصدٌ منه لکشف تزویرک واماطة الشبهة فی امرک وبرهان نیر علی کمال علمه وقدرته وحکمته وارادته وهذا الوجه محتمل علی القراءة المشهورة ایضا وفی تعلیل تنجیته بما ذکر ایذان بانها لیست لاعزازه او لفایدة اخری عائدة الیه بل لکمال الاستهانة به وتفضیحه علی رؤس الاشهاد وزیادة تفظیع حاله کمن یقتل ثم یجر جسده فی الاسواق او یدار براسه فی البلاد واللام الاولی متعلقة بننجیک والثانیة بمحذوف وقع حالا من آیة ای کائنة لمن خلفک وان کثیرا من الناس عن آیاتنا لغافلون لا یتفکرون فیها ولا یعتبرون بها وهو اعتراض تذییلی جیء به عند الحکایة تقریرا لمضمون الکلام المحکی ولقد بوأنا بنی اسرائیل کلام مستانف سیق لبیان النعم الفائضة علیهم اثر نعمة الانجاء علی وجه الاجمال واخلالهم بشکرها واداء حقوقها ای اسکناهم وانزلناهم بعد ما انجیناهم واهلکنا اعداءهم مبوأ صدق ای منزلا صالحا مرضیا وهو الشام ومصر ملکوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمکنوا فی نواحیها حسبما نطق به قوله تعالی واورثنا القوم الذین کانوا یستضعفون مشارق الارض ومغاربها التی بارکنا فیها ورزقناهم من الطیبات ای اللذائذ فما اختلفوا فی امور دینهم حتی جاءهم العلم ای الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحکامها او فی امر محمد علیه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفین اعقابهم الذین کانوا فی عصر النبی صلی الله علیه وسلم ان ربک یقضی بینهم یوم القیمة فیما کانوا فیه یختلفون فیمیز بین المحق والمبطل بالاثابة والتعذیب فان کنت فی شک ای فی شک ما یسیر

علی الفرض

فرعون م
القینا الیک والمراد الطمانینة
علیه السلام شهادة الاحبار
م

علی الفرض والتقدیر فان مضمون الشرطیة انما هو تعلیق شیء بشیء من غیر تعرض لامکان شیء منهما کیف لا وقد یکون کلاهما ممتنعا کقوله عز وجل قل ان کان للرحمن ولد فانا اول العابدین وقوله تعالی لئن اشرکت لیحبطن عملک ونظایرهما مما انزلنا الیک من القصص التی من جملتها قصة قومه واخبار بنی اسرائیل فاسئل الذین یقرؤن الکتاب من قبلک فان ذلک محقق عندهم ثابت فی کتبهم حسبما هو المسطور فی کتبهم وان لم یکن الیه حاجة اصلا او وصف اهل الکتاب بالرسوخ فی العلم بصحة نبوته علیه السلام او تهییجه علیه السلام وزیادة تثبیته علی ما هو علیه من الیقین لا تجویز صدور الشک منه علیه السلام ولذلک قال علیه السلام لا اشک ولا اسال وقیل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الکتاب کعبد الله بن سلام وتمیم الداری وکعب واضرابهم وقیل الخطاب للنبی علیه السلام والمراد امته او لکل من یسمع ای ان کنت ایها السامع فی شک مما انزلنا الیک علی لسان نبینا وفیه تنبیه علی ان من خالجته شبهة فی الدین ینبغی ان یسارع الی حلها بالرجوع الی اهل العلم وقرئ فاسال الذین یقرؤن الکتب لقد جاءک الحق الذی لا محید له ولا ریب فی حقیته من ربک وظهر ذلک بالآیات القاطعة التی لا یحوم حولها شائبة الارتیاب وفی التعرض لعنوان الربوبیة مع الاضافة الی ضمیره علیه السلام من التشریف ما لا یخفی فلا تکونن من الممترین بالتزلزل عما انت علیه من الجزم والیقین ودم علی ذلک کما کنت من قبل ولا تکونن من الذین کذبوا بآیات الله من باب التهییج والالهاب والمراد به اعلام ان التکذیب من القبح والمحذوریة بحیث ینبغی ان ینهی عنه من لا یتصور امکان صدوره عنه فکیف بمن یمکن اتصافه به وفیه قطع لاطماع الکفرة فتکون بذلک من الخاسرین انفسا واعمالا ان الذین حقت علیهم شروع فی بیان سر اصرار الکفرة علی ما هم علیه من الکفر والضلال ای ثبتت ووجبت بمقتضی المشیة المبنیة علی الحکمة البالغة کلمة ربک حکمه وقضاؤه بانهم یموتون علی الکفر ویخلدون فی النار کقوله تعالی ولکن حق القول منی لاملان جهنم الآیة لا یؤمنون ابدا اذ لا کذب لکلامه ولا انتقاض لقضائه ای لا یؤمنون ایمانا نافعا واقعا فی اوانه فیندرج فیهم المؤمنون عند معاینة العذاب مثل فرعون باقیا عند الموت فیدخل فیهم المرتدون ولو جاءتهم کل آیة واضحة المدلول مقبولة لدی العقول لان سبب ایمانهم وهو تعلق ارادته تعالی به مفقود ولکن فقدانه لیس لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختیارهم المتفرع علی عدم استعدادهم لذلک حتی یروا العذاب الالیم کداب آل فرعون واضرابهم فلولا کانت کلام مستانف لتقریر ما سبق من استحالة ایمان من حقت علیهم کلمته تعالی لسوء اختیارهم مع تمکنهم من التدارک فیکون الاستثناء الآتی بیانا لکون قوم یونس علیه السلام ممن لم یحق علیه الکلمة لاهتدائهم الی التدارک فی وقته ولولا بمعنی هلا وقرئ کذلک ای فهلا کانت قریة من القری المهلکة آمنت قبل معاینة العذاب ولم تؤخر ایمانها الی حین معاینته کما فعل فرعون وقومه فنفعها ایمانها بان یقبله الله تعالی منها ویکشف بسببه العذاب عنها الا قوم یونس استثناء منقطع ای لکن قوم یونس لما آمنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم یؤخروا الی حلوله کشفنا عنهم عذاب الخزی فی الحیوة الدنیا

بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض
فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كأنه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استينافا لبيان نفع ايمانهم
ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم
الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا
اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب
الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب
واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى
فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه
فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى
فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف
عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها
واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق
لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر
الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه ايمان من في
الارض من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا
يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بني اساس التكوين والتشريع
وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم
يشاء الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام كأنه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار
متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم
مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متأخرة في الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو
رأي الجمهور وايا ما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا قائل بل وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء خاصة
في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن
لكن الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما
يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه

وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها
وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن
الله اي بتسهيله ومنحه للالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال
من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت
حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها
لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال من غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة
ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه
وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء اي يجعل الكفر ويبقيه
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله و
احكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين
بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم
الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر
في ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم
من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة
الى اللام قل ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته
على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره
الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين
فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ
بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير
على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون او الانذارات
عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز
كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الخ فالجملة حينئذ
اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما
مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله
بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو
عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف
على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة
في تشديد الوعيد كأنه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة
الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية
عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره لتوارد

في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض
بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك
حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننجي المؤمنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما
قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع
فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار
النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف
التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم ان كنتم في شك من
ديني الذي اتعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل
بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به ورفض عبادة ما سواه
من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى
لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان
كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده
الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا
فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفيه تخصيص التوفي
بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين
بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك من ثباتي
على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل
ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد
السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع
ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم
وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك
لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية
ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت باستقامة
في الدين والاستبداد فيه باداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال
القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال حنيفا حال من الدين او الوجه
اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر
اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها
الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده
من الجمل الى اخر الايتين متسقة لا يمكن فصل بعضها من بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل

في صحة واما القطع بعدمها
فمما لا سبيل اليه وان كنتم في شك
م

تحت

تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما
عليه المشركون اي لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه
او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع
على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها
لشانه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية
فانك اذن من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسال عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك
الله بضر تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه
به سبحانه فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق
البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا
فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد
في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو
دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق
عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم
ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا
ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر
انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد معنى الفعلين في كل من الضر
والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما
المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة
حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب
بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من
باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده
فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز قائلا وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به
مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعد
ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم
المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه
من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه فانما
يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل
عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه
عليه السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك
بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا
وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما ون

وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله تعالى وحده

سُورَةُ هُودٍ ءم مِائَةٌ وَاحِدٰى وَعِشْرُونَ آيَةً مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدا محذوف على الوجوه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او أيدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد يليق بشان الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لاسيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة لانها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن

عكرمة

عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعدما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وبناؤهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهته الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما انتظم في سلك الغاية او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكران من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى المراتب الاهمية حتى افرد بالذكر واتي ايجابه بالخطاب عند الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى الا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهته الله نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير ترككم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تمامه على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على الا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف

المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان
الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب
مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى
المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما
فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم
من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار
او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل
الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين
وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما تعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله
تعالى يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف منه الزوائد كقوله تعالى
انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال
والبنين وغير ذلك والمعنى نعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغص
شيء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك
غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع اليها مجرى التأبيد عادة او لا يهلككم هلاك الاستئصال
ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذه
تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في
الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا اكثر مما
تمتع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء
فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل
لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد
والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب
قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ
تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة
وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم لكونه كذلك
في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل
يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا فيه الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له
الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف
منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم
بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم
بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من

الاعراض

الاعراض صح

والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه
الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض
لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه
العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه التجأ
الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم
وجعل افضاء المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق ولا يخفى ان انسياق
الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب
بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر
والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما
يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء
الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه
ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء
ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق
حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها و
قال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره
وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه انما كان يصنع ما يصنع
لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي
ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل
من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني وقرئ تثنون
واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلأ وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني
الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه
ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم
اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم
فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني
ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم
وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما
يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه
ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء
على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار
ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار

كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى
بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا
المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما في قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التأكيد
والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه بما
قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر
متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه
بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق و
تقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن
الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات
جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما
يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله
اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها
البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها
في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين
بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشأها الخلقي واما بالنسبة
الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية
المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث
كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات
المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي
وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها في الممات ولا يلايم مقام التكفل
بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي مثبت
في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين
ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد تحصى من مبداء
فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبداء خلق السموات والارض والحكمة الداعية
الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام السموات في يومين والارض
في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها
وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام

والمراد

والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار
ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا
سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار
وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استأثر بعلم ما يقتضيه
علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة
الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء
ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه
على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث
في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات
التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم
واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية
ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن
من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم
المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على
ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان
الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد
آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات
المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي
وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني
على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في
امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل
الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم
ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره و
ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان
المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور
كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الاساليب الرائقة يوجب العمل بموجبه
بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة و
انما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك
والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينظم ظهوره في سلك العلة

منع عن تعرض للنسبة بينه
ليبلوكم متعلق بخلق
اي خلق السموات
والارض
صح

الغايبة لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه
من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها والله تعالى
اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع
على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول
مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم
ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى المذكور او الى القرآن فان
الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى
القرآن لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما لتحديهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا
منهم في العناد وتفاديا بالحق عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر
فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق
الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما
ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في
الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تتماته و
اما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة
البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون
فسبحان الله عما يصفون وقرا حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى
القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى عنك
في علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا
ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا
الى اللجاج والعناد ريثما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا والفوا عليه اباهم من انكار البعث
ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر ولما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم
العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم
كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبرئيل عليه السلام للمستهزئين
والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعض منهم على انه لم يكن موعودا
يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما
يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال
استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزؤون ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار
عن جانبه الا يوم ياتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع
ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا
ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع
للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه

قد تقدم

قد تقدم المعمول حيث لا مجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر
فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين وقد تقدما على لا الناهية مع امتناع
تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم خبر
ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة
وكنت ابيا في الخنا لست اقدم وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزؤون اي العذاب
الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعليته ما ورد في خبر الصلة
من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضي وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانها
في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير
وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة
وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها وايراد
النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤوس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه
من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم
الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون
فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف ياسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان الياس
من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الآجال من باب
الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجدة
بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما
مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من
مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده
تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما
ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع الرحمة
فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة
باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي تسوؤني ولن يعتريني بعد
امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش
انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام
بحقها واللام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين
صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا ولاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا على آلائه السالفة والآنفة واللام في الانسان اما للاستغراق الجنس فالاستثناء متصل
او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وبعد درجتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق الآيات

الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع
التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان اذاقة النعماء و
نزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايّ ابتلاء يكون لا يهتدي الى سنن الصواب بل ويحيد في كلتا
الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين
او من حيث ان انكارهم البعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل
انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن
واعية وضائق به صدرك اي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم
في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى
صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على الوجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز
مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قال عبد الله بن امية المخزومي
وروي عن ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت
رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت
فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين
بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد
ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء
وتسميتها سحرا مثّل حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك
الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل
انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد
والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك
فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز ام يقولون
افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم
بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله
عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ
والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي
بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فاتوا انتم ايضا
بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما
باعتبار مماثلة كل واحد منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما
في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى اتحاد وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد
هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت
عن وصفها بالمماثلة لما يوحي لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم

عن المعارضة

عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة
وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور
مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم
عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم
اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من
آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومداركم الذين تلجأون الى آرائهم في
الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته
فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور
فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه
بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم
الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت
النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم
ان لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد
الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اي
اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال
معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك
المراتب بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل
سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا او استمروا
على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والاوهام
مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اي واعلموا ايضا ان
لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اي مخلصون
في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب
في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن
استطعتم اي فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجأرون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة
فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر فايراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم
بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم
على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم
يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل
او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان
ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن رتبة الشركة
في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي

تمام
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون
للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم آلهتهم
من بأس الله عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتي من
قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد
بالارادة الطلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث
لا يكادون يريدون الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد
ينال ما يهواه فان ذلك منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور
المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل
اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف
بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا
لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم
شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها
مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة في نفي النقص كأن
ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها
خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا
واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك فانه اشارة
الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما
معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا
وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها
ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا
فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت
معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه
ما كانوا يعملون في اثنائها لتحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر
وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول
الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه
بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان

ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا بمجرد الارادة

في

في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار
والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم
هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا
وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وعن انس رضي الله عنه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او
وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة
مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن
يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار بان ليس لهم
بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج
فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات
على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم
ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء اي الجملة من نيلهم الحظوظ
العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك
اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة
من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن
وباعتبار او بتأويل البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد
بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من
الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في
الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه
منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما
وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى
افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل
هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة
دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاول
هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له
بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد
بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى

فالجملة مع كونه مقدما عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه و
وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما غير
غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما أي مؤتما به
في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب لا يخفى من تفخيم
شأن المتلو ورحمة أي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار
احكام الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب أولئك الموصوفون بتلك
بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها
وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق
وصفهم بانهم يؤمنون به أي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن
حقيته ومن يكفر به أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الأحزاب من أهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به
قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من
افانين العذاب فلا تك في مرية منه أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل
عقيب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذي
يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال
افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه مبتداء حذف
خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت اعمالهم
وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما تفاوتا وتباعدا بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد
الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من هناتهم
كأنه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان
على احسن ما يكون من العاجل والآجل كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه اولياء أي ابعد
ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى أفمن يعلم انما انزل
اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا
يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب
وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها
وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
أولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية
عن اسناد العرض الى اعمالهم والتحقق باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية
وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته

عل

على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد
عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كأصحاب واشراف هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كأن ذلك امر واضح غني الشهادة بوقوعه وانما المحتاج
الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد
بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله تعالى ويقول دون ويشهد ونحوه
لما يعقبه من قوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول
من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤوس
الاشهاد الذين يصدون أي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن
دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا أي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا
عنها يقال بغيتك خيرا او شرا أي طلبت لك وهي الشامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله
وهم بالآخرة هم كافرون أي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون
ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء
عند كفرهم أولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم
من اخذه لو اراد وذلك في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله
من اولياء ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار تعدد ما كانوا يدعون
من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم
العذاب استيناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا
يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم
في عدم اذعانهم القرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة
بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال
وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استيناف وقع
تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفى من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية
وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة أولئك
المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل
بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون
وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب
ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد
أي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون واما ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم

اظلم من كل ظالم وهذه الآية الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة
من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر
من كل خاسر لم يتصور بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في
اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم
اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم
المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الاية لتبيين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل
ان الذين آمنوا اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقران الذي
عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة
ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأنهم وانجد دخل في تهامة ونجد اولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجليلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد تبيان
تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اي حالهما العجيب
لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع
اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى
وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه
لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار
ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين
البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة
على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها
امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن
مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع
آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم
ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه
بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جمع الاحوال
المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما
او من النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك يخرج الكون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق
الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران
الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري السمع والبصر فتخبط في مسلكه

فوقع

فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم
في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع ويستعملهما
في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري
مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الآية مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز
من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون
عنه فلا تتذكرونه بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون
هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو
الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار
عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى
افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء وما بين من فاتحة
السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة
غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في
تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة
على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول عليه السلام عما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم
الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على
التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع مسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص
الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة لتأكيد
ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني
ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا
وليتسلى بما يشاهد من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في
سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب
اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو
اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على رأس اربعين من عمره ولبث
يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد
الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على
ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه
ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر
وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لان دعوته عليه السلام كانت

وعاش بعد الطوفان ستين
وكان عمره الفا وخمسين سنة
صح

بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عليه السلام مبين أُبيّن لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه
لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه الا تعبدوا
الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اى ارسلناه
ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسّط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه نذيرا
مبينا ليكون ادخل فى القبول ولم يفعل ذلك فى صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس
من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذيرا او مفعول المبين وعلى قراءة الفتح بدل من انى لكم
نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله تعالى
انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهى وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد
به يوم القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازى للمبالغة كما فى نهاره صائم وهذه
المقالة وما فى معناها مما قاله عليه السلام فى اثناء الدعوة على ما نحكى اليه فى سائر السور لما
لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان يكررها عليهم فى تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله
تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر
بعده جوابهم المتعرض لاحوال المومنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتى بالفاء التعقيبية
فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه اى الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا
اى مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور او لانهم ملأوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم
ملاء بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمّهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض
اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك
من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال فى قولهم
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى فالفعلان من روية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا
حال من المفعول وكذا قوله اتبعك فى موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط
ذلك ويجوز ان يكون من روية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثانى وتعلق الرأى فى الاول بالمثلية
لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارآءة بان ذلك لم يصدر
عنهم جزافا بل بعد التأمل فى الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتى وتعرضا من
اول الامر برأى المتبعين فكأن قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم
حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اى
اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع
رذل كالكالب والكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة
رأى وقد كان ذلك منهم فى بادى الرأى اى ظاهره من غير تعمق من البدو او فى اوله من البدء
والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأ ابو عمرو بها وانتصابه على الظرف على
حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولى الالباب

الراجحة

الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا و
الارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة
والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اى لك ولمتبعيك
فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديهم فضيلة
تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم روية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق
باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك
بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك
فى دعوى النبوة واياهم فى تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة
ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم اى اخبرونى وفيه
ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربى وشاهد يشهد بصحة دعوتى
وآتانى رحمة من عنده هى النبوة ويجوز ان تكون هى البينة نفسها جئ بها ايذانا بانها
مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير فى قوله تعالى فعميت
عليكم حينئذ ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة
كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير
فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة
تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره وفى قراءة ابى فعماها عليكم على الاسناد الى
الله عز وجل انلزمكموها اى انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب
الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز فى الثانى
الوصل والفصل فوصل كما فى قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا
تتأملون فيها ومحصول الجواب اخبرونى ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواى الا انها
خافية عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير
متدبرين فيها اى لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار اليأس
عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله تعالى ولا ينفعكم نصحى الخ لكنه محمول على ان مراده عليه السلام
ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم
لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذى هو ملاك الفضل
وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها من بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها
التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام
عليها وبالرحمة النبوة التى انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد
النبوة لا يناله الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبرونى ان امتزت عنكم
بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربى وآتانى بحسبها نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتى لها وكونى عليها الى الآن حتى زعمتم انى مثلكم وهى متحققة فى نفسها انلزمكم

وقرئ عميت ه

قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب
بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام
بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشافة آرائهم الركيكة ويا قوم لا
اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا
لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليهم
بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به
في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام
بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عن طردهم اي انهم
فايزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة
القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون
في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوا ربهم لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى
انهم ملاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به
من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى
اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه ترتب غضب الله عز وجل على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا
ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الرأي بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا
ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته الا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الرأي
يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون
عنه تعسف لا يخفى ولكني اريكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل
وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف
ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى
وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تسفهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة
ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول غضبه عني ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما
موجبا لحلول السخط قطعا ولم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لا سيما بعدما قدم ما يلوح به من احوالهم
فكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى
افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا
ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع
عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن الله
اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة
اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا ادعي في قولي
اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا

اقول

اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها
يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي
ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق منها بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر
ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه و
اسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وايماء للاشعار
بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شأن الذين استرذلتموهم
لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين ان
قلت هذا القول ليس مما تستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او
استتباعا كادعاء الملائكة والغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه
عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي
تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك
الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه السلام
بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع
الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم
بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانه على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف
مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت
القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة
ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين
لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم
وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملائكة وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان
تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله
فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
ولما حجهم عليه السلام وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم
الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من
العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا
يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء
يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به و
عصيتموه ويأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل
الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل
وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة

جامعة لكل ما يدل عليه الخبر من قول او فعل وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش
وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموقع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط حذف
جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وبين الجملة دليل
على ما حذف من جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء
على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط
الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه معلق
بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام
اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال و
الخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى السبيل
المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح
بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة
بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه
حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وعلا حيث دل ذلك على ان النصح المقارن للاهتمام
به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة
كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم
على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من
اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى
يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل
غوى اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام
يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا
افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اثمي ووبال اجرامي
وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويبصره ان فسره الاولون بآثامي وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم
في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم خبر نوح وكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها
وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه
عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن
من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح
توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانهم وهذا الاستثناء على طريقة قوله تعالى
الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه
من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام

منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا
يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا
والهامنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ
الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد
بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه
بامره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين
وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن
معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان
الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم
حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا
الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم
ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت
وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان
طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين
ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون
اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه لزمتهم الحجة فلم يبق
الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار
صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان
ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ
من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها
والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء
وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا
وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا
ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا
ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق التي لا تكاد تطاق
واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم
اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه

العظيمه

عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا ولانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام
ولذلك تعرض للجميع بالمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فكأن الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام
اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا فعده عليه السلام اياهم جاهلين
فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق
الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد
مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية
كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان
تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى
الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن
الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا
وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد تحقق الوقوع او في التجدد والتكرر حسبما
صدر عن ملأ غب ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وكلا الامرين
واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب
النبوة ومع ذلك لا يسد اذله لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم
هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في
محل النصب بتعلمون وما في حيزها سد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان
مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة
على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم
فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشره ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب
ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق
الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد
الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف
على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت
ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام
الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور
القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء
يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور
آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة

وكان

وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع
او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري
ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور
طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين
الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد و
لازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله
وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في
تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين
اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكر في
يده اليمنى والانثى اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختيارهم
فيخف فيه معنى الحمل او لانها انما تحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك
عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه
من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه
واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما
ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة
الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع
لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد
في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه
الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق
كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع
ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساؤهم واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية
في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى
ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك
بعدما ادخل ما امر بحمله في الفلك من الازواج كأنه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك
وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو
على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان
اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو
ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له
حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل

فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني
يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا
في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله
اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها
وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك اتيتك خفوق النجم او
اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها
مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى
بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان
اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها
يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في
قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها و
مرسيها على صيغة الفاعل مجرورى المحل صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او
مكانين من جرى ورسا ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة
والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل
بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف
دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من
الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا
او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى
نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان
ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام
بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشده
لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله تعالى عليهم
وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة
ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم
يقع من حيوته بائس بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم
يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم
وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل
كان يعلم انه كافر الا ان ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه
ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا
تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف

كان صح

في قولك يا بني صح

المبدلة من ياء الاضافة وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت
الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرأ ابو عمرو والكسائي و
حفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان
بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في
المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام
كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال سآوي الى جبل
من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما
يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك
الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة
الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما
اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيدا النفي وصف العصمة عنه فقط من غير
تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله
سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب
اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه
ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك
بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه
حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهم
انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله
لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم
من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم
التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام
بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل
بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله
الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما
الموج اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين
اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه
عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجئ اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه وكان
ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم
وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس
كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون
والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل

لاستقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع
مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي
انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت اي استقرت الفلك
على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب
ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين
اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في
الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا
ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا
ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب
ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم
في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك
ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم
الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع
من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني
الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره مبنيا
على كون كنعان من اهله نفي اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار
الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في
الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه
منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله تعالى انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل
نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان
الفساد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد
المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجى انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عمل غير صالح اي عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد
كون كنعان من اهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه
الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسألني اي اذا
وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب
وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسئول الذي هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم
انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا
بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب
او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى
وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه

صدره: ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت

عليه السلام

عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما
قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو
دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها
اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل ويأباه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك
وقوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا
عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا
بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام
وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة
في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله ساوي الى جبل
يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل
اكون معهم او سأوي او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده
من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تأمل في
شأنه حق التأمل واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره وتفحص عن احواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه
عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك
الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب اني اعوذ
بك ان اسألك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة
او طلبا لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهو توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك
منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى
وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا
لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر
عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول
عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء و
الاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى
في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على
الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء
بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ
حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل
قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين
قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة
وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها
كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم

المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة الاية لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله
تعالى واذا قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الامور العظيمة ولو
قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع والظن ان المجموع تقريع واحد
واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية
غامرة للقرابة النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا
بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما تم من الجواب المستدعي لذكر ما تم من توبته
عليه السلام المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام
والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني آخذ
بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد تفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك
انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها
قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد
موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر الى ان يرد قوله
انه ليس من اهلك الخ انه ينجو بدعائه عليه السلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر
الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر
من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك
من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة الى هذه
وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته
فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء
بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح
في العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معائشك ومعائشهم من
انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية
والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي ومنهم امم على انه خبر حذف لدلالة
ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم
مسلما مباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون
مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام
ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما
سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعبت منهم فحينئذ
يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم
الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة وبقي امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول

عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية
او ابتدائية فتأمل ثم يمسهم اما في الآخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن
كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب
كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب
وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل
بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد
او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل
سائر الانباء بل هي نسيج وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها
اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال
من انباء اي موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك
من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته
بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت
وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لما لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول
عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك وعلمتها
بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا
في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ
ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته في نوح عليه السلام
وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر
فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون
مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما يعتريه من ضيق صدر وهذا
على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبرؤ عن الشرك
وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما
يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلق بقوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة
للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو
الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم
يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق
بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا
عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن
ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن سالح بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل

منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة
للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا
الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجري مجرى البيان للعبادة
المأمور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من
اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم الا مفترون باتخاذكم
الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى
يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول
للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفايضة من جناب الله تعالى المستوجبة
للشكر الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره الغالب عرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها
الاجر افلا تعقلون اي لا تغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون
كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم
اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا
اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء
اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما
رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة
ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عنه
اي صادرا تركنا لها عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه
لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في
سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين
اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة
وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول
الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها
وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون
والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها
والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن
بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوه
وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق

والعمل

والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات
الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد
الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون
ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال
لقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له
عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام
مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني
اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من
غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل
الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على
اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه السلام
في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها
وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء ومجازاة
لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية
المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة
بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم
بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك
فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على
اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها
جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم
في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا مفردا
بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم
وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعارة
فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع
رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي
مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على
الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه من غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء
ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي
الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل
فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب

الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام
فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم
الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف
في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي
اقتصار اضافة الرب عليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا
من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب
مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما
جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من
التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة
عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب
غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ
منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم
وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم
كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام
تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع
الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان
يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جمع
الآيات وما تأخر من قوله تعالى واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى
الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف
ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر
من اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم
الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن
كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا
كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا
ذلك لعنة جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار
المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد
بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان

ويوم القيمة لعنة كما في
تعالى وآتنا في
الدنيا صح
صح

المراد

المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة
الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه
الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك
واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم
والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية
عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه
والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة
من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود ابن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا به لذلك
لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن
عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم
قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله
ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما بعثهم على الايمان والتوحيد وحثهم على زيادة الاخلاص فيه
بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب او قصر افراد فان
خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عليه السلام
لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم
القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عليه السلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله
من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها اي عمركم واستبقاكم
فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها
دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم
ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى
الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في
بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة
الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغائية المتأخرة عنهما
في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك
من دلائل السداد ومخايل الرشد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس
رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا
على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او قبل
هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم
عنك رجاؤنا وقرأ طلحة مرجوا بالمد والهمزة اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اي عبدوه
والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد

وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب اى موقع فى الريبة من ارابه اى اوقعه فى
الريبة اى قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايهما كان فالاسناد مجازى
والتنوين فيه وفى شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم اى اخبرونى ان كنت فى الحقيقة على بينة اى حجة ظاهرة
وبرهان وبصيرة من ربى مالكى ومتولى امرى واتانى منه من جهته رحمة هى نبوة وهذه الامور
وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة
لاستنزالهم من المكابرة فمن ينصرنى من الله اى ينجينى من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل
والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان
حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اى بالمساهلة فى تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تاتون وتذرون
فان العصيان ممن ذلك شانه ابعد والمواخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدوننى اذن
باستتباعكم اياى كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى لا تفيدوننى اذ لم يكن فيه
اصل الخسران حتى يزيدوه غير تخسير اى غير ان تجعلونى خاسرا بابطال اعمالى وتعرضى لسخط الله تعالى او
فما تزيدوننى بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه
والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من
كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه
على انها مفارقة لساير ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتى
وهى حال من ناقة الله والعامل فيها ما فى هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت
لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا فى آية فذروها
خلوها وشانها تاكل فى ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية
استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشانها ولا تمسوها بسوء بولغ فى النهى عن التعرض لها
بما يضرها حيث نهى عن المس الذى هو من مبادى الاصابة ونكر السوء اى لا تضربوها ولا تطردوها
ولا تقربوها بشئ من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فياخذكم عذاب قريب اى قريب النزول
روى انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء فتخرجه جوفاء وبراء وقالوا
ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فامن به جندع بن عمرو فى جماعة ومنع
الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى يمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف
بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت
المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا

الفصيل

الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تمتعوا اى عيشوا فى داركم اى فى منازلكم او فى الدنيا ثلاثة ايام قيل
قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم
يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب
عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فحذف الجار
للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له افى بك
فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا
اى عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين امنوا معه متعلق
بنجينا او بامنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منا وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين
الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورافة منا ومن خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية
تنجية من خزى يومئذ اى من ذلته ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق
فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب
المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ
ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب
عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا
ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا
بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة
ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اى صاروا فى ديارهم اى بلادهم او مساكنهم
جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب
وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم
انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم
واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة
اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا
كان لم يغنوا اى كانهم لم يقيموا فيها فى بلادهم او مساكنهم وهو فى موقع الحال اى اصبحوا جاثمين
مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم فى مقام قط الا ان ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه
ابو بكر هنا وفى النجم وقرا حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم
مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك فى
قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرئ الكسائى بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن
ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبريل وملكان عليهم السلام وقيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام

وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور
الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق
المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى
انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود في سورة الكريمة ذكر سوء
صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم
ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب
المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه وحيث
قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة
بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الآية وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام
عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام
في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار
بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا او نسلم عليك
سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي ذكروا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام
او سلام عليكم
حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلاما وعنه انه قرأ بالرفع
فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجيء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي
بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره
بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم
كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم والانكار منه عليه السلام راجع الى
فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم
كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس
منهم اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما
اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس
الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند
وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف لما قالوه بعد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره
عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بذلك انا
ارسلنا ظاهره انه استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان
ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك
فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا
عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على

رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت
سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما
سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل
ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق
اي عقبناها سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه
مفعول بما دل عليه قوله بشرناها اي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء
خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في
الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هاهنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم
عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به
يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف وقع جوابا عن سؤال من سأل وقال
فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف
مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية
ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت
أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي
واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى
الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او هو خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل
من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد
وتعليله اي أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان
مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام
ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن
الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها في الاستبعاد على ولادتها من غير
تعرض لحال النافلة لانها المستتبع واما ولادة ولدها فلا تتعلق بها استبعاد ان هذا
اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة
فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها
استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى
قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها
تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات
والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال
هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته
الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس
وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك اشار بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء

واستبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية
المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرائيل لان الانبياء منهم كلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت
نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة
الى جمع المذكر لتعميم حكمها لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا
ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام
التعجب فان الله تعالى قادر على كل شيء ولستم باهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل
رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة
لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة
لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم
من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض
غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه
مصب الفائدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مستطرفة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده
فضل تمكن وجاءته البشرى اي فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببيته ذهاب الخوف ومجيء السرور
للمجيء دلالة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة
الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمها
فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلب بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم
انه قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم
ان كان رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك
قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن
نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا
لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين
بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم
هم الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط
بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام
ممن اساء اليه اواه كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود
بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم
اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشأن قد جاء امر ربك اي قدره
الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية

نظام

لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم آتيهم عذاب
غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس انطلقوا
من عند ابراهيم الى لوط عليهما السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة غلمان
مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه
ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين
الى الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد
انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت
امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق
بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض
للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هم الحادث وذكر الذرع مثل
وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع
اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا
قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول
ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ
الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته
مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من
اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون
السيئات اي جاءوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها
حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء
بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته
فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب
وابي العاص ابن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه
واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على
الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهار الشدة امتعاضه
مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا
عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب
بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل
وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق
الصحيح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه

مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا
سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابرئ ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من
اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لفعلت
بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او كلم به الموتى او آوي الى
ركن شديد عطف على ان لي بكم قوة لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او آويت الى
ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من
وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة
قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح
الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام
في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا
فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون
الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء
على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل
بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك
ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من
العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من
الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف
كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مامور بالاسراء بها
والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر
بالاسراء حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما سرى باهله تبعتهم
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام
من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام
بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم
فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفي حمل الاهل في احدى القراءتين على الاهلية الدينية
وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة
فالاولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل
منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير
الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف والضمير في
انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان ولا يخفى

من تفخيم

من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع
اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع
العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك
فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب
حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده
وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن
فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل و
سافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها
الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان
مستلزما له روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه
المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المدائن او شذاذهم حجارة من سجيل
من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل
بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به
عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره سبحانه
وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها و
ملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال
جبرائيل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد
على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت
في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان
قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها
المذكر والمؤنث والى مدين اي اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة
او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن
مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود
اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر
الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا
الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما امرهم

بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين ونهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس
والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس
حقوق الناس اني اريكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى
حقها ان تقابل بغير ما تفعلونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه
بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل واني اخاف
عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم
مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب
الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة
ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما
اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن
وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة محظورة كالنقص فلعل الزايد للاستعمال عند الاكتيال
والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة
في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب
عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس
بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التي تشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس
بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء
الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان
الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره
تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص
الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن
ابي سلمى • افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • والعثي في الارض السرقة
وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من
خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح
دينكم بقية الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون
بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كما قال تعالى
يمحق الله الربا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب
مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة
كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي
وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد
اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا او وما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم

علیه

عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا
بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد
بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر بذلك
حتى ادعوا ان لا امر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك
بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين
تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع
ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك
من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد
الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك
وكانوا اذا راوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعاير الدين ضحكة لهم
وقرئ اصلاتك او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه
عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء
والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت
في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما على ما قيل يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد
بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعاله
عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل الامور به
تكليفه عليه السلام واياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك ان نكلفنا ان نترك ما يعبد
اباؤنا وحمله على معنى اصلوتك تامرك بالبغي وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك
تعريضا منهم بركاكة رايه واستهزاء به من تلك الجهة يا باه دخول الهمزة على الصلوة
دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك
فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي او ان نفعل نحن في اموالنا عند
المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين
على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز
ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك انت الحليم الرشيد على زعمك واما
وصفه بهما على الحقيقة فياباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما اتاه الله تعالى من النبوة
والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من ربي ومالك
امري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين
ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظايره ورزقني منه من لدنه رزقا حسنا
هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك
مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني

ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من
قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي
حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف
ليس مما يأمر به آمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وانما يامر به صلوتك التي هي من احكام الوسوسة
والجنون فاخبروني ان كنت من حجة ربي وما لك امورنا بتلك النبوة والحكمة التي ليس وراءها
غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شأني وشأن افعالي ما تقولون مما لا
خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل
من ان المحذوف ايصح ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا
الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك
وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى ادينك يامرك
ان يكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا
وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا
كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسوقا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا به
وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني
ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم
فيما تأتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اي اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته
وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر
والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته
من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه
وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتاييده ومعونته بل الاصلاح
من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة
لما عسى يوهم اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك
معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة
الاعتبار بمعزل من مرتبة الاستمداد به والاستظهار اليه واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده
ويجوز ان يكون المراد وما كوني موافقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته
عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي
في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار
الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال
والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جنابه الله عز وجل
والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم

واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري
بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء او ما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم
من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلها ان احد المتعادين يكون
في عدوة وشق والاخر في اخرى ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح
من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا
وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسبه المال فكما لا فرق بين
كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح
وادور على السنة الفصحاء وقرأ ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله
لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال • وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته
عليه السلام على الطف اسلوب وابدعه كما مر في المائدة عند قوله ولا يجرمنكم
شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم
من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر
قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المعروفة او
ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان
المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق
لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة
المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما
كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه
مر تفسيره في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة
بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه
كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق
المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود
عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق
والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم
معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المواخذة و
العقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا فيما
بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة
جانبهم لا لولاهم يمانعوننا ويدافعوننا لرجمناك فان ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة
لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز بمكرم محترم

حتى تمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا
ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي الى الفاعل دون الفعل لاسيما مع قرينة قوله ولولا رهطك
كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه
عايدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا
من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله
عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان
الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه
تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة
لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة
بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة
اصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا
وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس
ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها
خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا
انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله
حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما راى
عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤا على العظيمة التي هي
الاستهانة به عليه السلام والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد
اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله
عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم
وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر
والمشاقة لي وساير ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في امنيتكم من القوة
الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التاييد والتوفيق سوف تعلمون
لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسال منهم سائل فيقول فماذا
يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه
عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب
عطف على من ياتيه لا على انه قسيم له بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب
وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان
وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية
لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر و
من اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا كاذب

وان لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي مه

يبتنكم واخراج ما في مه

والكاذب مه

واما موصولة

واما موصولة اي سوف تعرفون الذي ياتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال
الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه او وقته
فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي
وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة هود عليه السلام لما انه لم يسبقه فيها
ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط عليهما السلام
فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح
واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم
انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبرائيل عليه السلام
فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها
من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين
لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب
نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث
جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته
اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب
جرائرهم وجرائمهم كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي
اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم
بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك
من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب
الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الآيات
التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم و
نقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك
فانه لقبول احكام التوراة حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول
ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا
ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار
شرفها لكونها ابهرها والمراد بالآيات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع
بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا
او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام
في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق
اللائقة وجعله عبارة عن التوراة او ادراجها في جملة الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه

السادس والاربعون
٤٣٠

بالنسبة الى شعيب عليه السلام والنسبة النبوة وبالنسبة الى المؤمنين [illegible]
نسخ

فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنوا اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما
فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التى
كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه فئته الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر و
تخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم فى الراى وتدبير الامور
واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما
كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اى امره
بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه
بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين
هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء فى اتباعهم المترتب على امر
فرعون المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم فى الاتباع ومسارعة فرعون الى
الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك فى وقت واحد فوقع
اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا
فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان
بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد
وصنع حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح
حال المتبعين فان فرعون علم فى الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة
وعدم الاستبصار وكذا الحال فى قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغى وقد يراد به
محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازى
وعلى الثانى مجاز والاسناد حقيقى يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اى يتقدمهم
من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله فى الاخرة اى كما كان قدوة لهم
فى الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته
فاوردهم النار اى يوردهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه
فرعون بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه
ثم قيل وبئس الورد المورود اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملأ الذين اتبعوا امر فرعون
فى هذه اى فى الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة
ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهى تابعة لهم حيثما ساروا
دائرة معهم اينما داروا فى الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة فى الدارين جزاء وفاقا
واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا
فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع
ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود

اى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلايم المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص
بالذم محذوف اى رفدهم وهى اللعنة فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة
لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدى اهلها
نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اى من تلك القرى قائم
وحصيد اى ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وما عفى
وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم
بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم الهتهم
التى يدعون اى يعبدونها من دون الله اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار
عبادتهم لها من شئ فى موضع المصدر اى شيئا من الغنت وفى الهتهم اللاتى ويدعون على البناء
للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اى هلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك
اى ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى اخذ ربك وقرى اخذ ربك
فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اى اهلها وانما اسند اليها للاشعار
بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرى اذ اخذ وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها
لما اقيمت مقامهم فى الاخذ اجريت الحال عليها وفايدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون
ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى
من التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فى اخذه تعالى للامم المهلكة او فى قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب
الاخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات
على احوال عذاب الاخرة واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شئ من احواله مستندا
الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق
فى بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصى التى تقترفها الامم الهالكة فبمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار
ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الاخرة يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس للمحاسبة
والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو
ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود
اى مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما فى
قوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات
ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره
اى ذلك اليوم الملحوظ بعنوانى الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما
تقتضيه الحكمة يوم يأت اى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة
وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل اى الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرى بانبات
الياء على الاصل لا تكلم نفس اى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل فى الظرف

من الاغناء لما جاء امر ربك
اى حين مجئ عذابه و
هو منصوب
صح

او الانتهاء المحذوف فی قوله تعالى الا لاجل معدود ای ینتهی الاجل یوم یأتی او المضمر المعهود اعنی اذکر لا
باذنه عز سلطانه فی التکلم کقوله تعالى لا یتکلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فی موطن من مواطن
ذلک الیوم وقوله عز وجل هذا یوم لا ینطقون ولا یؤذن لهم فیعتذرون موقف آخر من مواقفه کما ان قوله
سبحانه یوم تأتی کل نفس تجادل عن نفسها فی آخر منها والمأذون فیه الجوابات الحقة والممنوع عنه
الاعذار الباطلة نعم قد یؤذن فیها ایضا لاظهار بطلانها کما فی قول الکفرة والله ربنا ما کنا مشرکین
ونظائره فمنهم شقی وجبت له النار بموجب الوعید وسعید ای ومنهم سعید حذف الخبر لدلالة
الاول علیه وهو من وجبت له الجنة بمقتضی الوعد والضمیر لاهل الموقف المدلول علیهم بقوله لا تکلم نفس
او للناس وتقدیم الشقی علی السعید لان المقام مقام التحذیر والانذار فاما الذین شقوا ای سبقت
لهم الشقاوة ففی النار ای مستقرون فیها لهم فیها زفیر وشهیق الزفیر اخراج النفس
والشهیق رده واستعمالهما فی اول النهیق وآخره قال الشماخ یصف حمار الوحش ⁕ بعید مدی
التطریب اول صوته ⁕ زفیر ویتلوه شهیق محشرج ⁕ والمراد بهما وصف شدة کربهم
وتشبیه حالهم بحال من استولت علی قلبه الحرارة وانحصر فیه روحه او تشبیه صراخهم باصوات
الحمیر وقری شقوا بالضم والجملة مستأنفة کان سائلا قال ما شأنهم فیها فقیل لهم
فیها کذا وکذا او منصوبة المحل علی الحالیة من النار او من الضمیر فی الجار والمجرور کقوله عز اسمه
خالدین فیها خلا انه ان ارید حدوث کونهم فی النار فالحال مقدرة ما دامت السموات
والارض ای مدة دوامهما وهذا التوقیت عبارة عن التأبید ونفی الانقطاع بناء علی منهاج
قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبیر وما لاح کوکب وما اختلف اللیل والنهار وما طمی البحر و
غیر ذلک من کلمات التأبید لا تعلیق قرارهم فیها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة
دالة علی تأبید قرارهم فیها وانقطاع دوامهما وان ارید التعلیق فالمراد سموات الآخرة و
ارضها کما یدل علی ذلک النصوص کقوله تعالى یوم تبدل الارض غیر الارض والسموات وقوله تعالى
واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حیث نشاء وجزم کل احد بان اهل الآخرة لا بد لهم
من مظلة ومقلة والتمثیل یکفی فی تعلیق دوام قرارهم فیها بدوامهما ولا حاجة الی الوقوف علی تفاصیل
احوالهما وکیفیاتهما الا ما شاء ربک استثناء من الخلود علی طریقة قوله تعالى لا یذوقون فیها الموت الا الموتة
الاولی وقوله ولا تنکحوا ما نکح آباؤکم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتی یلج الجمل فی سم الخیاط غیر
ان استحالة الامور المذکورة معلومة بحکم العقل واستحالة تعلق المشیئة بعدم الخلود معلومة
بحکم النقل یعنی انهم مستقرون فی النار فی جمیع الازمنة الا فی زمان مشیئة الله تعالى لعدم قرارهم
فیها واذ لا امکان لتلک المشیئة ولا لزمانها بحکم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امکان لانتهاء
مدة قرارهم فیها واندفع ما عسی یتوهم من کون استحالة تعلق مشیئة الله تعالى بعدم الخلود بطریق
الوجوب علی الله تعالى ان ربک فعال لما یرید یعنی انه فی تخلید الاشقیاء فی النار بحیث یستحیل وقوع
خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضی مشیئته الجاریة علی سنن حکمته الداعیة الی ترتیب الاجزیة
علی افعال العباد والعدول من الاضمار الی الاظهار لتربیة المهابة وزیادة التقریر وقیل هو استثناء

من الخلود

من الخلود فی عذاب النار فانهم لا یخلدون فیه بل یعذبون بالزمهریر وبانواع اخر من العذاب وبما هو
اغلظ منها کلها وهو سخط الله تعالى علیهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدری انا وان سلمنا
ان المراد بالنار لیس مطلق دار العذاب المشتملة علی انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب
الزمهریر من تلک الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق لذلک فی الاستثناء ولک ان تقول انهم
لیسوا بمخلدین فی العذاب الجسمانی الذی هو عذاب النار بل لهم من افانین العذاب ما لا یعلمه الله
سبحانه وهی العقوبات والآلام الروحانیة التی لا یقف علیها فی هذه الحیوة الدنیا المنغمسون
فی احکام الطبیعة المقصور ادراکهم علی ما الفوا من الاحوال الجسمانیة ولیس لهم استعداد لتلقی
ما وراء ذلک من الاحوال الروحانیة اذا القی الیهم ولذلک لم یتعرض لبیانه واکتفی بهذه المرتبة
الاجمالیة المنبئة عن التهویل وهذه العقوبات وان کانت تعتریهم وهم فی النار لکنهم ینسون
بها عذاب النار ولا یحسون بها وهذه المرتبة کافیة فی تحقیق معنی الاستثناء هذا وقد قیل الا بمعنی
سوی وهو اوفق بما ذکر وقیل ما بمعنی من علی ارادة معنی الوصفیة فالمعنی ان الذین شقوا فی النار
معذبین بالخلود فیها الا الذین شاء الله عدم خلودهم فیها وهم عصاة المؤمنین واما الذین سعدوا
ففی الجنة خالدین فیها ما دامت السموات والارض الکلام فیه کالکلام فیما سبق خلا انه لم یذکر
ههنا ان لهم فیها بهجة وسرورا کما ذکر فی اهل النار من ان لهم فیها زفیر وشهیق لان المقام مقام
التحذیر والانذار الا ما شاء ربک ان حمل علی طریقة التعلیق بالمحال فقوله سبحانه عطاء غیر مجذوذ
نصب علی المصدریة من معنی الجملة لان قوله ففی الجنة خالدین فیها یقتضی اعطاء وانعاما فکانه قیل
یعطیهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد کقوله تعالى انبتکم من الارض نباتا
وان حمل علی ما اعد الله تعالى لعباده الصالحین من النعیم الروحانی الذی عبر عنه بما لا عین رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر فهو نصب علی الحالیة من المفعول المقدر للمشیئة او تمییز فان نسبة
مشیئة الخروج الی الله تعالى یحتمل ان یکون علی جهة عطاء مجذوذ وعلی جهة عطاء غیر مجذوذ فهو رافع
للابهام عن النسبة قال ابن زید اخبرنا الله تعالى بالذی یشاء لاهل الجنة فقال عطاء غیر مجذوذ
ولم یخبرنا بالذی یشاء لاهل النار ویجوز ان یتعلق بکلی التعمیمین او بالاول دفعا لما یتوهم من ظاهر الاستثناء
من انقطاعه فلا تک فی مریة ای فی شک والفاء لترتیب النهی علی ما قص من القصص وبین فی تضاعیفها
من العواقب الدنیویة والاخرویة مما یعبد هؤلاء ای من جهة هؤلاء المشرکین وسوء عاقبتها
او من حال ما یعبدونه من الاوثان فی عدم نفعه لهم ولما کان مساق النظم الکریم قبیل
الشروع فی القصص لبیان غایة سوء حال الکفرة وکمال حسن حال المؤمنین وقد ضرب لهم
مثل فقیل مثل الفریقین کالاعمی والاصم والبصیر والسمیع هل یستویان مثلا افلا تذکرون وقد
قص عقیب ذلک من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة الیهم ما یتذکر به المتذکر نهی رسول الله
صلی الله علیه وسلم عن کونه فی شک من مصیر امر هؤلاء المشرکین فی العاجل والآجل ثم علل
ذلک بطریق الاستئناف فقیل ما یعبدون الا کما یعبد آباؤهم الذین قصت علیک قصصهم
من قبل ای هم وآباؤهم سواء فی الشرک ما یعبدون عبادة الا کعبادتهم او ما یعبدون

شيئا الا مثل ما يعبدونه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فسيلحقهم
مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي
حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم
المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق
ما يوجبه غير منقوص حال موكدة من النصيب كقوله تع ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها
مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل
ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة فاختلف فيه اي في شأنه كونه من عند الله تع
فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم
لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم
اي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين
وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم
ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء
كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة
وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن
كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم
واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب القسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة
او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى
لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل
بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما
وقرئ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله
كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما
سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل احوال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من
الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين
في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال
هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب
واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لولا سبق
كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم
يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما

في الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة
بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تع فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الآية
وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية
والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني
سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعنى بالمعية و
هو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه
وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب
على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا
عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلي طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد
تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك
وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان
وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب
النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد
منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة
في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم
من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى
من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم
والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم
ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف
الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف
الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط
ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله
فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان
يكون له ولي بل لمكان لكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم بنصير
بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ
قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين
من جهته تع بعدما اوعدهم بالعذاب او اوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد
فانه لما بين ان الله تع معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة
طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل

اى ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفى النهار والمراد
بصلاتهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشى وبصلوة
الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات التى من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التى قل ما
يخلو منها البشر اى يكفرنها وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر
وقيل نزلت فى ابى اليسر الانصارى اذ قبل امرأة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربى فلما صلى صلوة العصر قال عليه السلام نعم اذهب
فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك
اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اى عظة للمتعظين واصبر
على مشاق ما امرت به فى تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهى عنه من الطغيان والركون الى الذين
ظلموا فليس فى الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر
عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه
ظلم ما فان فى الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى يوفيهم
اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفى الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس
باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبايح وابراز
الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة
فايدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب
الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكاينة من قبلكم على راى من جوز حذف
الموصول مع بعض صلته او كاينة من قبلكم اولوا بقية من الراى والعقل اولوا فضل
وخير وسميا بها لانما يستبقى مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة و
الفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل فى الزوايا خبايا وفى الرجال
بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اى فهلا كان منهم ذووا ابقاء
على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه يؤيده انه قرئ اولوا بقية وهى المرة
من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اى اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم
ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد فى الارض الواقع منهم حسبما حكى عنهم الا قليلا
ممن انجينا منهم استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة
على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين لا ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام
لانه يكون تحضيضا لاولى البقية على النهى المذكور الا للتعليل من الناجين منهم
كما اذا قلت هلا قرأ قومك القران الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين
على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل الاستثناء من النفى اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من

القرون
اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد
وترك النهى عنه ما اترفوا فيه اى انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر
واما المساهلون فلما لهم فى ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهى وانت خبير بانه
يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد فى الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اى كافرين فهو بيان
لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات
مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اى لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج
المباشرين معهم فى الحكم والتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب
او على استيناف يترتب على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا
من مباشرى الفساد وتاركى النهى عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف
على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام
اغفالهم للشكر او على اتبع اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا
وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز
ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اى ما صح وما استقام
بل استحال فى الحكمة ان يهلك القرى التى اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها
من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفى وقوله تعالى بظلم اى ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اى ظالما لها
والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كاينا ما كان لما تقرر من قاعدة
اهل السنة وقد مر تفصيله فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى
واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعنى
بظلم لئلا يلزم تقييد نفى الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب فى فساده بل مطلقا عن ذلك
وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اى لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه
تعالى وعن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغنى الحميد
وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدرى ان مقام النهى عن المنكرات التى اقبحها
الاشراك بالله لا يلايمه فان الشرك داخل فى الفساد فى الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل
الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الشرك ثم عن ساير المعاصى التى كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم
على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصى وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع
عنه بكون بعضهم متصدين للنهى عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك
وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث
لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين فى الحق اى
مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم

ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه وحمله
على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اى لما ذكر
من الاختلاف خلقهم اى الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للترحم فالضمير لمن واللام
فى معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازى عام لكلى المعنيين وتمت كلمة ربك
اى وعيده او قوله للملائكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او
منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى كل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى
من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه
المحذوف فى كلا المفعول المطلق لنقص اى كل اقتصاص اى كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من
انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفايدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص
زيادة يقينه عليه السلام وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار
بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة فى تماديهم فى الضلال وما لقى الرسل من جهتهم من مكابدة
المشاق وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذى لا محيد عنه وموعظة
وذكرى للمؤمنين اى الجامع بين كونه حقا فى نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون
الوصف الاول حالا له فى نفسه حلى باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم
الظرف اعنى فى هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة
فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا فى غيرها ولان
عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن ولان
فى المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا
الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التى هى عدم الايمان
انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا
منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه
يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه
فانه كافيك والفاء لترتيب الامر والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفى تاخير الامر
بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم بموجبه
وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اى انت وهم فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى عشر حسنات بعدد من صدق
كل واحد من الانبياء المعدودين فيها وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله تعالى

سورة يوسف عليه السلام وهى مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفى محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب

عين ما سلف فى مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره فى كونه من عند الله تعالى
وفى اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقايقه
ولا يلتبس لديهم دقايقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اى المبين لما فيه من الاحكام والشرايع وخفايا
الملك والملكوت واسرار النشاتين فى الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير
كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف فانه قد روى ان احبار اليهود قالوا
لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة
الاستهلال لما سيأتى ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتى عقب ذلك بما يدل على الشرف
الاضافى فقيل انا انزلناه اى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل
وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت
المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته
فيما سلف والسر فى ذلك انه اسم جنس فى الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى
المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اى لكى تفهموا معانيه طرا وتحيطوا
بما فيه من البدايع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى و
نحن نقص عليك اى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع
ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص اى

احسن الاقتصاص ٥

نقصه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما فى اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك
المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القرآن
اى هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما فى ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها
لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحى غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين
بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرايق الرايقة واعجب الاساليب
الفايقة اللايقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث
من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفى كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما فى قوله تعالى
قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما نقص من الانباء وهو قصة آل
يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمى به المفعول كالخلق والصيد
ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت
ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان
كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك
ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبى صلى الله
عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع فى القصة
انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال

فإن اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف
اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات
بناء على التلقب به لا على أنه مضارع بني للمفعول أو الفاعل من آسف لشهادة المشهورة
بعجمته لأبيه يعقوب بن إسحق بن إبرهيم عليهم السلام وقد روي عنه عليه السلام
أن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم يا أبت أصله
يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على
قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب وكسرتها لأنها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر
في كل القرآن لأنها حركة أصلها أو لأن الأصل يا أبتا فحذف الألف وبقي الفتحة وإنما لم تجز يا
أبتي لأنه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم إجراء لها مجرى الألفاظ المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وعدم تسكينها كأصلها لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب
إني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تأويل رؤياي ولأن الظاهر أن وقوع مثل
هذه الأمور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من
الناس أحد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
فنزل جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك فقال عليه السلام إذا أخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلوة
والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ و
وثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إي
والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وإنما أخر
الشمس والقمر عن الكواكب لإظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف
جبرئيل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز أن يكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب مع الشمس
والقمر ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لإخوته وعن وهب
أن يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة
في الأرض كهيئة الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك
أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون
سنة وقيل ثمانون رأيتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كأن سائلا
سأل فقال كيف رأيتهم فأجاب بذلك وإنما أجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف
العقلاء أعني السجود وتقديم الجار والمجرور لإظهار العناية والاهتمام بما هو الأهم مع ما في ضمنه من رعاية
الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة أو لها ولصغر السن وهو أيضا استيناف مبني على سؤال من
قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام
من هذه الرؤيا أن يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه

بشرف

بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الإخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك
وله من معاناة المشاق ومقاساة الأحزان وإن كان واثقا بأن الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا
في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما أن الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث
كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك والصادقة
منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ
فيتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها
إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم إذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت
إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير وإلا احتاجت إليه على إخوتك فيكيدوا نصب بإضمار
أن أي فيفعلوا لك أي لأجلك ولإهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي منه أو خفيا عن
فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا أوفق بمقام التحذير وإن كان يعقوب عليه السلام يعلم أنهم ليسوا
بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الأسلوب آكد من أن يقال فيكيدوك كيدا إذ
ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الإيقاع وقد قيل إنما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال
المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد أي فيحتالوا لك ولإهلاكك حيلة وكيدا
والمراد بإخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الأحد عشر وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد و
وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار إليهم بالكواكب الأحد عشر وأما بنيامين
الذي هو شقيق يوسف عليه السلام وأمهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة
أختها ليا أو في حياتها إذ لم يكن جمع الأختين إذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي إذ لا يتوهم
مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا إذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد
نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا أو بعضا إن الشيطان للإنسان عدو مبين ظاهر العداوة
فلا يألو جهدا في إغواء إخوتك وإضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كأن يوسف
عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن إخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل إن الشيطان يحملهم
على ذلك ولما نبهه عليهما السلام على أن لرؤياه شأنا عظيما يستتبع منافع وحذره إشاعتها
المؤدية إلى أن يحول إخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها أو نوع واستعجل وصولها
شرع في تعبيرها وتأويلها على وجه إجمالي فقال وكذلك أي ومثل ذلك الاجتباء البديع
الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الأجرام العلوية النيرة لك ونحبه على وفقه
يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه إذا جمعه ويصطفيك
على أشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما
عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال
وبين ما وقعت هي صورا وأشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة أي كما سخرت
لك تلك الأجرام العظام تسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك

على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعته ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك
كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف
عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتأويل كأنه قال وهو يعلمك من تأويل الاحاديث اي ذلك
الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقية ما اقول ولا يخفى ما فيه من تأكيد ما سبق
والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتأويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت
صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل
اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كأنهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث
كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تأويلا لانه جعل المرئي آئلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير
ورجعه اليه وكأنه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي
السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها
باتمام النعمة وانما عرف ذلك يعقوب منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة
سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة
والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا
لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال
تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة
بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب
الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها
في العالم الآخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان
احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري احكامه
ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها و
توسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي
ولما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله
تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى آل
يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى
بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى
الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك
فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما
اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كاينا كاتمام نعمته
على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتماما كاينا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة
الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار
ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط

من صلبه

من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك
في جانب المشبه به مثل ما وقع في المشبه من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك
ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه
للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام والتذكير معنى الولد سر
ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر
اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء
لا محالة ان ربك عليم استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من
يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل
لكل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان
الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل بها وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي
اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك للملك والاعظام
ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا
ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتأمل والله الهادي لقد كان
في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة
من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها آيات علامات
عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سأل
عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها
دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأله من
المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء
من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة
آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم
على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى
وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه خبر يوسف
وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين
وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا ترى الى انهم كيف اكتفوا باخراج
يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد
المبتدأ لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب
الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء في ليوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده
ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة
العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة

مع فضلنا لحليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل
اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت
اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على
مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وكان قاله
بعض منهم مخاطبا للباقين بقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون او دان
والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند
الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا
واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت
نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت
عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا
على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما
بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم
واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين
الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور
دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم هو يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال
فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سال وقال اما اتفقوا على ما عرض عليهم
من خصلتي الضيع اما خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في
مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه واستعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل
عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله والقوه في
غيابة الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر الذي لم تطو بعد
لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك
الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه ياخذه
على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة
اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق
ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يروى
خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم
ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم
ذلك تلطفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا من ان ينسبهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين
ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد
ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم
له بما يحكي من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة

الن

النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام
عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك اي اي شيء لك
لا تامنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون
مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام
والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء
يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل
ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا
لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلايم حاله عليه السلام وقرئ نرتع
ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من
ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه
اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة الاسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ
الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استيناف مبني على سؤال من يقول فماذا
قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم
ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذئب
لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول
المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف
والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل راى في المنام ان قد شد عليه السلام
ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع
في رواية اليزيدي بالهمزة على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وعامر وحمزة درجا وقيل
اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو اظهر
لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور
العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله تعالى
انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء اي لهالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون
للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار
ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على
حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب
خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء
على انهم ياتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه مفعول
لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت
الدواعي الى فعلها في غيابت الجب قيل هو بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل

على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان مدين كذلك وانما قال
من انها بئر بيت المقدس فيرده التمثيل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين
منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا
بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء
اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني
الا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا
يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى
به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة
ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام
حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه من التميمة
فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له
قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية
روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره
فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم
انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان
يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه
وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه
وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين
روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
اي نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما
وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب عقيب ذلك
من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن
فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوه ولم
يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا ومجمعنا
بمرأى منا الا ان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة

يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة
الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة
لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع
لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى
ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة
عند قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى
اولو كنا كارهين وجاءوا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله تعالى بدم اي جاءوا فوق قميصه
بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال
ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب
اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة
رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي
يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل
عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا
اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب
على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر قال استئناف
مبني على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت
لكم انفسكم اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع
الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي
يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء
امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام
انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا
قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة
فاغفرها لي وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه
عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا
واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان

عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه ويا باه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك والايعاده
الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشي بالبس فيه كالشبه اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في
الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجي المبني بالنسبة الى مكانهم فان كنعان
ليس بالجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي ايثار على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام
في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الامام المبنا فان المتبادر من اسناد
المجي الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه
باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في
تفرع بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماوه ملحا فعذب
حين القي فيه عليه السلام فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك ابن ذعر الخزاعي
وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجي اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر
صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج قال استيناف
مبني على سوال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك
حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه
على اخراجه وقراء غير الكوفيين يا بشراي واما لفتحة الراء حمزة والكسائي وقراء ورش بين اللفظين
وقرئ يا بشرى بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه
عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم
بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة
فانها قطعة من المال تضعت عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا
من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى ولم يدبروا في ذلك من الجبل وشروه
اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة
اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين
العد دون الوزن فعن ابن عباس انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين و
عشرين درهما وكانوا اي البايعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما
بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به
او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز
ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب ما لهم
لما ظهر في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم
انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف
وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شي زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما

يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه
واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لترتيبه ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه
من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام
بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون
موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى
من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به
العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه
فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ
وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث
عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامراته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول
والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني
تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه
وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة
شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدر
وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه
مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل وكم اهلكنا من قبلهم من قرن
مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له
مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امراته دون سائر حواشيه باكرام
مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها
ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يودي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من
تاويل الاحاديث اي لنوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رويا الملك وصاحبي السجن
لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها
النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال
محبته ليترتب عليها ما ترتب مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث
وهو تاويل الرويا المذكورة فيودي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار
بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة
فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه
يدور هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فتاديته الى ذلك
انما هو باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا

ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة
انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك
اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة
على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك
لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي
فهو من آثار ذلك التعليم ونتايجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى
جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث
قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل
بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق
من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى
حينئذ مكنا له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها
ودقايق سنن الانبياء فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام
وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد
الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي
عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك
شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او متولّ على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به
من الفتنة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراده الله له من العاقبة الحميدة ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا
وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله
ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى
الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى آتيناه حكما
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين
وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آتاه الله تعالى عند
تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل
ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين
اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها
معاناة الاحزان والشدايد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص
بعلم تاويل رويا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه
من جملة الجزاء واما رويا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع
سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه
انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان

وراودته

وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام
من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله
لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض
قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت
الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتامل والمراودة المطالبة
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلاء وهي مفاعلة من واحد نحو
مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن
الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن
الجانب الآخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه
ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي
وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة
قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة
فاذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه
صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي
منه للمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك
مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها
التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع
على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها
بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل و
تعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه
عن شيء لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول
عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان
كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد
وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها
واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة و
غلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة
في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه
كاين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للبيان اي لك
اقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء
اذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني

علی ص

اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله
تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهد بما اراه الله تعالى من البرهان النير ما هو عليه
في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض
الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه
الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته
المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في
الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما
يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اي
سيدي العزيز احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه
بالخيانة في حرمه وفيه ارشاد لها الى رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل
وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هكذا فكيف
اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين
ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان
هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا
وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل
البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا
من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا
وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله ولقد همت به اي بمخالطته اذ الهم
لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما
باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام
الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد
المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم
من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر وهم بها بمخالطتها
اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت
التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال
كراهته ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام
تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل
ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل
منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله
عز وجل لولا ان رأى برهان ربه اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا برؤيته لها كمال ايقانه
بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها

الحقيقية

الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان
النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام
والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه
في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه
من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من
جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة
لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى
لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا
عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز
التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به
ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر
همه عليه السلام بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها
ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام
عاضا على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما
ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو
يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل
وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن
لاكها ولفقها او سمعها وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول
عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل
او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه
خيانة السيد دخولا اوليا والفحشاء والزنا لانه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه
عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه
اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على
اسناد الصرف الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق
التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة
الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في
زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم
مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية واستبقا الباب متصل بقوله

ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وقوله كذلك الخ اعتراض جیٔ به بین المعطوفین تقریرا لنزاهته
علیه السلام کقوله تعالی وکذلک نری ابراهیم ملکوت السموات والارض والمعنی لقد همت به وابی هو و
استبقا ای تسابقا الی الباب البرانی الذی هو المخلص ولذلک وحد بعد الجمع فیما سلف وحذف حرف
الجر او اوصل الفعل الی المجرور نحو واذا کالوهم او ضمن الاستباق معنی الابتدار واسناد السبق
فی ضمن الاستباق الیها مع ان مرادها مجرد منع یوسف وذا لا یوجب الانتهاء الی الباب لانها
لما راته یسرع الی الباب لیتخلص منها اسرعت هی ایضا لتسبقه الیه وتمنعه عن الفتح والخروج
او عبر عن اسراعها اثره بذلک مبالغة وقدت قمیصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق
طولا وهو القد کما ان الشق عرضا هو القط وقد قیل فی وصف علی کرم الله تعالی وجهه انه کان
اذا اعتلی قد واذا اعترض قط واسناد القد الیها خاصة مع ان لقوة یوسف ایضا دخلا فیه
اما لانها الجزء الاخیر للعلة التامة واما للایذان بمبالغتها فی منعه عن الخروج وبذل المجهود لها فی ذلک
لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفیا سیدها ای صادفا زوجها واذ لم یکن ملکه لیوسف
علیه السلام صحیحا لم یقل سیدهما قبل الفیاه مقبلا وقیل کان جالسا مع ابن عم للمراة لدی الباب
ای البرانی کما مر روی کعب انه لما هرب یوسف جعل فراش القفل یتناثر ویسقط حتی خرج من الابواب
قالت استیناف مبنی علی سؤال سائل یقول فماذا کان حین الفیا العزیز عند الباب فقیل قالت
ما جزاء من اراد باهلک سوءا من الزنا ونحوه الا ان یسجن او عذاب الیم ما نافیة ای لیس جزاؤه الا
السجن او العذاب الالیم قیل المراد به الضرب بالسیاط او استفهامیة ای ای شئ جزاؤه غیر ذلک
او ذلک ولقد اتت فی تلک الحالة التی تدهش فیها الفطن حیث شاهدها العزیز علی تلک الهیئة
المریبة بحیلة جمعت فیها غرضیها وهما تبرئة ساحتها مما یلوح من ظاهر الحال واستنزال یوسف
عن رایه فی استعصائه علیها وعدم مواتاته علی مرادها بالقاء الرعب فی قلبه من مکرها طمعا فی
مواقعته لها کرها عندما یئس منها عن ذلک اختیارا کما قالت ولئن لم یفعل ما آمره لیسجنن و
لیکونن من الصاغرین ثم انها جعلت صدور الارادة المذکورة عن یوسف علیه السلام
امرا محققا مفروغا عنه غنیا عن الاخبار بوقوعه وان ما هی علیه من الافاعیل لاجل تحقیق
جزائها فهی ترید ایقاعه حسبما یقتضیه قانون الایالة وفی ابهام المرید تهویل لشان الجزاء المذکور
بکونه قانونا مطردا فی حق کل احد کائنا من کان وفی ذکر نفسها بعنوان اهلیة العزیز اعظام
للخطب واغراء له علی تحقیق ما تتوخاه بحکم الغضب والحمیة قال استیناف وجواب عما یقال
فماذا قال یوسف حینئذ فقیل قال هی راودتنی عن نفسی ای طالبتنی للمواتاة لا انی
اردت بها سوءا کما قالت وانما قاله علیه السلام لتنزیه نفسه عما اسندته الیه من الخیانة وعدم
معرفة حق السید ودفع ما عرضته له من الامرین وفی التعبیر عنها بضمیر الغیبة دون الخطاب
او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الایماء الی الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها
قیل هو ابن عمها وقیل هو الذی کان جالسا مع زوجها لدی الباب وقیل کان حکیما یرجع الیه
الملک ویستشیره وقد جوز ان یکون بعض اهلها قد بصر بها من حیث لا تشعر فاغضبه الله تعالی

لیوسف

لیوسف علیه السلام بالشهادة له والقیام بالحق وانما القی الله سبحانه الشهادة الی من هو من اهلها
لیکون ادل علی نزاهته علیه السلام وانفی للتهمة وقیل کان الشاهد ابن خال لها صبیا فی المهد انطقه الله تعالی
ببراءته وهو الاظهر فانه روی ان النبی صلی الله علیه وسلم قال تکلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت
فرعون وشاهد یوسف وصاحب جریج وعیسی علیه السلام رواه الحاکم عن ابی هریرة وقال صحیح
علی شرط الشیخین وذکر کونه من اهلها لبیان الواقع اذ لا یختلف الحال فی هذه الصورة بین کون الشاهد
من اهلها او من غیرهم ان کان قمیصه قد من قبل ای ان علم انه قد من قبل ونظیره ان احسنت
الی فقد احسنت الیک فیما قبل فان معناه ان تعتد باحسانک الی فاعتد باحسانی السابق الیک
فصدقت بتقدیر قد لانها تقرب الماضی الی الحال ای فقد صدقت وکذا الحال فی قوله فکذبت وهی وان
لم تصرح بانه علیه السلام اراد بها سوءا الا ان کلامها حیث کان واضح الدلالة علیه اسند الیها
الصدق والکذب بذلک الاعتبار فانهما کما یعرضان للکلام باعتبار منطوقه یعرضان له باعتبار ما
یستلزمه وبذلک الاعتبار یعتریان للانشاآت وهو من الکاذبین وهذه الشرطیة حیث لا ملازمة
عقلیة ولا عادیة بین مقدمها وتالیها لیست من الشهادة فی شئ وانما ذکرت توسیعا للدائرة وارخاء
للعنان الی جانب المراة باجراء ما عسی یحتمله الحال فی الجملة بان یقع القد من قبل بمدافعتها له علیه السلام
عن نفسها عند ارادة المخالطة والتکشف مجری الظاهر الغالب الوقوع تقریبا لما هو المقصود باقامة
الشهادة اعنی مضمون الشرطیة الثانیة التی هی قوله عز وجل وان کان قمیصه قد من دبر فکذبت
وهو من الصادقین الی التسلیم والقبول عند السامع لکونه اقرب الی الوقوع وادل علی المطلوب
وان لم یکن بین طرفیها ایضا ملازمة وحکایة الشرطیة بعد فعل الشهادة لکونها من قبیل الاقوال او
بتقدیر القول ای شهد قائلا الخ وتسمیتها شهادة مع انه لا حکم فیها بالفعل بالصدق والکذب
لتادیتها مؤداها بل لانها شهادة علی الحقیقة وحکم بصدقه وکذبها اما علی تقدیر کون الشاهد هو الصبی
فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغیوب والتصویر بصورة الشرطیة للایذان بان ذلک ظاهر
من العلائم ایضا واما علی تقدیر کونه غیره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له علی ما هی علیه
اما مشاهدة او اخبارا فهو متیقن بعدم مقدم الشرطیة الاولی وبوجود مقدم الشرطیة الثانیة
ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالی الاولی وبوقوع تالی الثانیة فاذن هو اخبار بکذبها وصدقه
علیه السلام لکنه ساق شهادته مساقا مامونا من الجرح والطعن حیث صورها بصورة الشرطیة
المترددة ظاهرا بین نفعها ونفعه واما حقیقة فلا تردد فیها قطعا لان الشرطیة الاولی تعلیق لصدقها
بما یستحیل وجوده من قد القمیص من قبل فیکون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر کذبها
والثانیة تعلیق لصدقه علیه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فیکون محققا البتة
وهذا کما قیل فیمن قال لامراة زوجینی نفسک فقالت لی زوج فکذبها فی ذلک فقالت ان لم یکن
لی زوج فقد زوجتک نفسی فقبل الرجل فاذن لا زوج لها فهو نکاح اذ تعلیق الشئ بامر متقرر تنجیز
له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة کقبل وبعد وبالفتح کانهما جعلا
علمین للجهتین فمنعا الصرف للتانیث والعلمیة وقرئ بسکون العین فلما رای قمیصه قد من دبر

كأنه لم يكن رأى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اى الامر الذى وقع
فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التى اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها
ما جزآء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع
قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن اى من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء
لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يمكن تجريده من الاضافة اليها الا انها لما صورته
بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق
لهن عريق ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها • سجية نفس كل غانية هند • ورجع الضمير الى قولها
ما جزآء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ان ارادة السوء
ممن هى الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها فى يوسف عليه السلام يأباه
الخبر فان الكيد يستدعى ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم
فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف
من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان
يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف عنه حرف النداء
لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اى عن الامر وعن التحدث
به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفرى انت يا هذه لذنبك الذى صدر عنك
وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم
يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث
وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة
اى جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب
السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتأنيث اللمة وهى اسم
لجماعة النساء والثبة وهى اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث فى المدينة ظرف
لقال اى اشعن الامر فى مصر او صفة لنسوة امرأة العزيز اى الملك يردن قطفير واضافتهن لها اليه
بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه لقصد المبالغة فى اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع
اخبار ذوى الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هى لقصد الاشاعة
لومها بقولهن تراود فتاها اى تطالبه بمواقعته لها وتتمحل فى ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه
الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس
الشاب واصله فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو
المراد ههنا وفى الحديث لا يقل احدكم عبدى وامتى وليقل فتاى وفتاتى وتعبيرهن عن يوسف
عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذى لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع
عزة لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من
المبالغة والاشباع فى اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دنى قد تعذر فى مراودة

الاذعان

الاذعان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التى لها زوج واى زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره
لا سيما لعبدها الذى لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها فى ذلك غاية الغى ونهاية الضلال
قد شغفها حبا اى شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب
حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك
عن ابن عباس رضى الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبى يقول
الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو
تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام
المراودة من حيث الانية يصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر
من قبلها ولسن بذاك المقام وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها
حبه كما اشير اليه انا لنراها اى نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة
والمحبة المفرطة مستقرة فى ضلال عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل مبين
واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين
السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها فى امرها على خطاء عظيم وانما
لم يقلن انها لفى ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم
ورأى مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هى عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن و
سوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه
خفية منهن كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن
ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات
واعتدت اى احضرت وهيأت لهن متكأ اى ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وزينت لهن
مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك
نهى الرجل ان يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اى طعمنا قال جميل
فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد
بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همزة وقرئ بالمد باشباع
حركة الكاف كمنتزاح فى منتزح وينباع فى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد واهدت متكة لبنى ابيها •
تخب بها العثمثمة الوقاح • او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكى واتت
كل واحدة منهن سكينا لتستعمله فى قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم
والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف
وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو
ربما يشير الى ان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها
من استغفالهن فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام
اى فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما

حذف لتحقيق السرعة في قصه عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فلما ابصرنه رأينه هو من الافاجل اكبرنه عظمنه
وبهتن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء
وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اي حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت في الخدور
العواتق * وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى
من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله
تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع و
اصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاش
الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرا كما في سقيا
لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو و
بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل
على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه
بعد ما تم ظمؤها فنقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة
الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير
يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية
لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ
بشر على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من
الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملائكة بقولهن ان هذا الا ملك
كريم بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال
قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي
وصفتنه به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملائكة
فاسم الاشارة مبتداء والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي
عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث رباتن بمحلي
بنسبتي الى العزيز ووضعتن قدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وضعتنه به فيما
سبق بقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدا محذوف اي فهو ذلك

العبد

العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفيّ ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا
واما ما يقال تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم
المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيدها مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد
فعلت ذلك كالامر يدعليه وما ذكر من المقال بحق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملائكة
ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها
فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما ينافي تمشية مرامها ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة و
اوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت
ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة
يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك
واستجمع الراي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل باستعصامه
نعوذ معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه من مراودتها واكدته
اظهارا للابتهاج بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط
ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا
باعراض الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اي آمر به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او امري اياه اي موجب
امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان
حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة اوثرت بناء الفعل
للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل
بينهما فعل فاعل وليكونن بالمخففة من الصاغرين اي الاذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان
بالتثقيل ولكن المشهور اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة
على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد
المنطوي على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من
احد فتضيق عليه الحيل ويعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا
الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه
عز سلطانه رب السجن الذي اوعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر
احب الي اي آثر عندي لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني
اليه من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام
مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل
ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما
واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة
خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته و

واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى
انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسال الله تعالى العافية
ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني
كيدهن في تحبيب ذلك الي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اي اميل الى
اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام
الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء الصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور
على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن
باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة
والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين
اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني
اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف
عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة
الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته
على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا
لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن
ذلك البدو وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم
من السياق او على المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او رأي او سجنه المحتوم
قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك
البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث
شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته
عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك
تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه
بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز
ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي
المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الرأي عند العزيز
وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة
هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والاخر
خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك
ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك
فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه

وتحسينه لديهن

فشربه

فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتاخير الفاعل
عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده
عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه
خيفة وتاخير السجن عن الظرف فلايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا ويكون الجملة
حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استيناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن
فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة
الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان
اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الاخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي
خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تاكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او
استيناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما رؤي باجراء الضمير مجرى ذلك
بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في
الجلد توليع البهق اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه
بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رؤي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله
فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالحيثية التي
جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما
اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما لتعدد المرجع بل عبارة
كل منهما نبئني بتاويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله
عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه
بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين
من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها تاويلا
حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي
فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم
رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع
رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن
وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب
بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن
جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في
بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته
وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتاويله
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما ماهيته

وكيفيته وسائر احواله قبل ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة
الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما روى فى المنام شبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع فى
عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشئ الآيل لا المآل فانه فى الاصل جعل شئ آيلاً
الى شئ آخر فكما يجوز ان يراد به الثانى يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا انبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر
المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك
ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر
لكونه عريقا فى ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيتين
المتعلقتين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيتين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه
حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتما على قبل ان يأتيكما ذلك الطعام المؤقت مرادا به الاخبار
بالاستعجال فى التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر فى تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل
وتجددهما وان المقام مقام واظهار فضله فى فنون العلوم بحيث يدخل فى ذلك تأويل رؤياهما دخولاً
اوليا وانما لم يكشف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عليه السلام
بالانتظام فى سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيراً
وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذى اثير عما فى عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض فى
ذلك مقدمة تزيدهما علماً بعظم شأنه وثقة بامره ووقوفا على علو طبقته فى بدائع العلوم توسلا بذلك
الى التحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكانه قال تأويل ما قصصتماه على فى طرف الثمام حيث رأيتما
مثاله فى المنام وانى ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام
حتى ان الطعام الموظف الذى يأتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل
علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اى ذلك
التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد فى ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمنى ربى
بالوحى والالهام اى بعض منه او من ذلك الجنس الذى لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له
علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه
ملة آبائه الانبياء العظام واجتنابه عن الشرك فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمنى ربى وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول
لتأديته الى معنى انه مما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد
التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه وكانه
قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لانى تركت ملة الكفرة اى دينهم الذى
اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأساً كما يفصح عنه قوله ما كان
لنا ان نشرك بالله من شئ لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر فى اقتدائهما
به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة
الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر فى قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها

من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم فى الكفر واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق
ويعقوب يعنى انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام
ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه فى الايمان والتوحيد
وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة
آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اى ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع
لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان من ملك
او جنى او انسى فضلا عن الجماد البحت ذلك اى التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله
من شئ من فضل الله علينا اى ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة
وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد وداعية نعمة جليلة وفضل عظيم
علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن
التوحيد الذى يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يوحدون فان التوحيد
مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع
الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص
غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها
ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون
ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين وكأن تقول ذلك التوحيد
من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها فى دلائل التوحيد التى مهدها فى
الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اى لا يصرفون
تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هى له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد
الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبى السجن اى يا صاحبىّ فى السجن كما تقول
يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة فى مدار الاشجان ودار الاحزان التى تصفو فيها
المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما
حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كل منهم
حسبما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله خير لكما أم الله المعبود بالحق
الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يغالبه احد وبعد ما بينهما على فساد
تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية
فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اى من دون الله شيئا
الا اسماء فارغة لا مطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا
فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات
تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم فى البطلان
حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم و

وضلالتكم ما انزل الله بها اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها
ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات
اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استيناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم
الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام
ان لا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضي به قضية العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى
بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا
اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد
تحقيق الحق دعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه
ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي
وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه فيسقي
ربه اى سيده خمرا روى انه عليه السلام قال له ما رايت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك
عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرأ عكرمة
فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه
روى انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلاث ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضي اى اتم و
احكم الامر الذى فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا ماله الذى هو عبارة عن
نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها
يقال استفتى الفقيه في الحادثة اى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه
يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا ومما هو علم في ذلك
قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياى ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله
وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء
انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما
في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من
احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده
مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحدا في قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله
من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتأمل وانما اخبرهما
عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما راينا شيئا
فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان
يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اى يوسف عليه السلام للذى ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة
في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذى فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما
عليه النظم الكريم على ان يقال للذى ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا

لمناط

لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك
وادعى الى التحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور
بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي
بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت انى ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه
قوله تعالى قضي الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي
اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها
فانساه الشيطان اى انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء
في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه
كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اى ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة
لادنى ملابسة او ذكر اخباره ربه فلبث اى يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع
سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام
الاخذ بالعزائم وقال الملك اى الريان انى ارى اى رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام
ياكلهن اى اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها
سبع عجاف اى سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على
فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان
التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما
قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روى انه راى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت
العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اى وسبعا اخر يابسات
قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها عليها روى ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من
حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اى
عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه
ان كنتم للرؤيا تعبرون اى تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور
الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية او الانفسية الواقعة
في الخارج من العبور وهي المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت
مآلها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر

اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر اخر قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الملاء للملك فقيل قالوا هى اضغاث احلام اى تخاليطها جمع ضغث وهو فى الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها فى المنام والاحلام جمع حلم وهى الرؤيا الكاذبة التى لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اى هى اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التى لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهى رؤيا واحدة مبالغة فى وصفها بالبطلان كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة ولتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام اى المنامات الباطلة التى لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير فى تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عابرين الى التاويل المنبئ عن التصرف والتكلف فى ذلك لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله تعالى انا انبئكم بتاويله وقال الذى نجا منهما اى من صاحبى يوسف وهو الشرابى وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اى تذكر يوسف عليه السلام وشؤونه التى شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملاء بعد امة اى مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهى النعمة اى بعدما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره فى الصلة وقيل معطوف على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدرى ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل فى سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اى اخبركم به بالتلقى عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسى ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون اى الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اى ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة فى الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من براعة الاستهلال افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى فى رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه فى عالم الشهادة اى بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام فى الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفى قوله افتنا مع انه المستفتى وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه فى ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال لعلى ارجع الى الناس اى الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن فى الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون

ذلك

ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول فى ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعدانى ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام فى التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب فى العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اى دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذى هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم فى تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اى فى كل سنة فذروه فى سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون فى تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل فى الاكل والاقتصار على الاستثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد تمام ما امرهم به شرع فى بيان بقية التاويل التى يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتى وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة فى الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اى من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اى سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة فى سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازى كما فى نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام فى لهن ترشيح لذلك فكانما ادخر فى السنابل من الحبوب شئ قد هيئ وقدم لهن كالذى يقدم للنازل والا فهو فى الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتى من بعد ذلك اى من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلى لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اى يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت فى وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اى امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اى ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم فى الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادئ اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتى باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهى التى يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس

فى القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات
ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر
من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم فى الموضعين على الفعلين
فان المقصود الاصلى بيان انه يقع فى ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على
معنى ان غيثهم وعصرهم فى سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك
فى الاخير لمراعاة الفواصل وفى الاول لرعاية حاله وقرئ يُعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه
وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اى
يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يُعصرون يُمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى
مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا
العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحى فبشرهم بها
بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق فى شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه فى الفضل
وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته فى المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما فى
منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام
فى العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها فى المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه
ما سمع من نقير وقطمير ائتونى به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اى يوسف الرسول واستدعاه
الى الملك قال ارجع الى ربك اى سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن اى فتشه
عن شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد فى التفتيش لتتبين برائته و
تتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام فى البحث للتفصى عما توجه اليه واما الطلب
فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالى به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقى منها من مقاساة الاحزان
ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة فى
عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع فى صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها انها راودته
عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدى ولم يصرح بمراودتهن له
وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربى بكيدهن عليم مجاملة معهن
واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن
بنسبته لهن الى الفساد قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل
قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اى شأنكن وهو الامر الذى يحق لعظم
ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه فى
اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من
نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن فى نفى جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من
قالت امراة العزيز وكانت حاضرة فى المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل
خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل

هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما نفعان فى ذلك العام

بانهما

ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اى ثبت واستقر وتبين
وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهى القطعة من الجملة اى تبين حصة الحق
من حصة الباطل كما تتبين حصص الاراضى وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله
بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اى القاها فى الارض
للاناخة قال فحصحص فى صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوأة ثم صمما • والمعنى أقر الحق فى مقره
ووضع فى موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما
احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته فى سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز
ولا البحث عن حال نفسها وما صنعت فى ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق فى نفس الامر وثبوته
من نزاهته عليه السلام فى محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودنى
عن نفسى وانه لمن الصادقين اى فى قوله حين افتريت عليه هى راودتنى عن نفسى واردت
بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتامل انها المنصف هل ترى فوق هذه
المرتبة نزاهة حيث لم تمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى
عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز
قبل ان يحل ما انعقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك
اى ذلك التثبت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اى العزيز انى لم اخنه فى حرمته كما
زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعى تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر
من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور
بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون
ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشانه عليه السلام فى الوثوق بامره
والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اى بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه
وانا غائب عنه او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة
واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها
وان الله اى وليعلم انه تعالى لا يهدى كيد الخائنين اى لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه
او لا يهديهم فى كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما فى قوله تعالى يضاهئون قول الذين كفروا
اى يضاهئونهم فى قولهم وفيه تعريض بامراته فى خيانتها امانته وبه فى خيانته امانة الله تعالى
حين ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد
امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسى
اى لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربا بمكانها
عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون فى شان افعال
العباد اى لا انزهها عن السوء من حيث هى هى ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى

الجزء

طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء
مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعا وعصمته و
رحمته كما يفيده قوله تعا الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها
نفسي اذ هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع
اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعا ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور
رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان
بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة
والرحمة وقيل الى هنا من كلام امرات العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام
اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك
من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي
اي الا نفسا رحمها الله تعا بالعصمة كنفس يوسف ان ربي لغفور لمن استغفر لذنبه واعترف به
رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة
الملك وامره بين بين ففعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من
الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك
ايتوني به استخلصه اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فحذف للايذان
بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن
في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد
قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس
بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين
روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما
دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين
لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم وميشا ولعل ذلك انما كان
بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض
اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء
احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام
ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة
اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة

وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض
ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة
بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما
الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له مكانا في الارض
اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض
مسندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول
ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء
ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها
منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه
بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السلام اما السرير فاشد به
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته
اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل
بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير و
الدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم
وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا
في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع
اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه الرحمة
المرقومة وانها اجر له ولرفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل
التوكيد ولاجر الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا
نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا
وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد
من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان
وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا
عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة
كحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته
معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له
وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام
في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر
والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ

بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام
انما قال لما قيل من انهم سألوه حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به لا ما قيل
من انه لما رأوه كلموه بالعبرية فقال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة
اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد
وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك
قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه
بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل
بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم
ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى
عندها كل قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام
بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي
الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص
الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق و
لذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق
ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته
مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء
فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي
فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل
على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود
عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه
على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او
لقادرون عليه لا نتعايا به وقال يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي
جمع قلة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها
الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند
ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله
لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله
اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم
في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به

لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز
البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من
ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور
للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره
حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد فان هيئة
التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا
ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا
قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على
كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا اخانا بنيامين
الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة
والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا
وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل
وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله
فالله خير حافظا وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد
الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا
كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال
المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ
فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما
استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا
وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا
على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه
بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته
كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا
من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد
عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب
المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار
صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه
بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك
معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من
المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه

بين الاصيل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زايدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك
اي المحمل اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استيناف وقع تعليلا لما سبق كانه
قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزايد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه
لا يتعاظمه واي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار
من كونهم فايزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير
فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه
المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا
الى التوجه اليه والجملة الاستينافية موضحة لذلك او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من
احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا
غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب
منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط و
المعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة
المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه
ونحصل امثاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك مما يهون لنا بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون
كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية اي تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور
وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا
بمعزل من ذلك او ما نبغي في الراي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا
والجمل الى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها
ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتأمل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت
حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهته تعالى عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد
العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب القسم
اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا
واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال
او اعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال
او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت
والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تأويل ايضا اي لتأتنني به على كل حال الا حال
الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على
سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على
سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه
من غير اخلال به كان قولك لاحجن العام الا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى

على معنى وينبغي ان نمير اهلنا
ونشبه ذلك بقولك
سعيت في حاجة
فلان ويجب
ان تسعى
وانت
خبير بان شأن
الجمل التذييلية
صح صح

حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لنسك لا احوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال
الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى التاويل المذكور فلما آتوه
موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في
اثناء طلب الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدي الى
تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم
على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب
واحد نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد
كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى
الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مئنة لان يتوق كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير
العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان
العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما
بقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ
بها اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم
الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان في دخولهم منها بين اثنين او ثلاثة
بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة
بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية
وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شيء آخر وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري
من الله من شيء اي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر
بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم
به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه
من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه
ان الحكم مطلقا الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت
في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون
غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة
للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه
وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا اوليا
وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل
غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب
المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفي بذكر الاستلزام
الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سلف فتأمل عنهم من الله من جهته
من شيء اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الراي حيث وصاهم

يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واتقين بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببيته الدخول المذكور
لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم
بل بيان عدم سببيته للاغناء مع كونه متوقعا في بادي الرأي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند
حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة
بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود
مع كونه مرجوا لوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام
في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنكم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك
شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل الا حاجة
استثناء منقطع اي ولكن حاجة وحرازة كائنة في نفس يعقوب قضاها اي اظهرها ووصاهم بها
دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول
على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة
فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب
بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع
الخاطرة واما اصابة العين فانها لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها
مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد
ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الاثر او حيث بت
القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم
وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو
مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه
الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام
بيان تخلف المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه
اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به
فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا فاجلسه
معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له معه فيكون
معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة
بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وتعرف
اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما
مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن

بما كا

بما كنت تلقاه من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام
والدي بي فاذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي
فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك
بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة قيل كانت مشربة
جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة
مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله
الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما
تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي الابل التي عليها
الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها
جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف ففعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله
صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا و
قيل خرجوا من العمارة ثم ارسل من ادركهم فادركوا ولذا انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر
يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا هو
فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسياق وقرأ اليماني سارقون
بلا لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على
انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا
عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار
الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه
الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شيء فضلا
ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشاد لهم
الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق
التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه
او سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم
قالوا ترتيبه لما تلقوه من قبلهم واراءة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من
عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نية تحقيق الوعد لجزمهم
بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل اؤديه
اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة
المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل
من الباء وقيل اصل بنفسها واياما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا
لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد ولنفسد فيها اي افساد كان
مما عز او هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو

وقيل من ذهب وقيل من فضة صح

مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقاً لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق
مجيئاً لغرض الافساد مفعولاً لاجله ادعاء اظهاراً لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره
عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على
نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت
من لا يستحق التعذيب كنت ظلاماً مفرطاً في الظلم وكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان
مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع
بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة
فيما ياتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول
زرعاً او طعاماً لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر
عنا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك
لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين
المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاماً للحجة عليهم وتحقيقاً للتعجب المفهوم من تاء
القسم قالوا اي اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف
المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين لا في دعوى
البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع
فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد الصواع في رحله حيث
ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزماً لها في
اعتقادهم المبني على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق
سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتامل واحمل كلام
كل فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله تعالى فهو جزاؤه
تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون
جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول للمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه كذلك
اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد
وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون
فبدأ يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي
بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال
ما اظن هذا اخذ شيئاً فقالوا والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا
ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع
الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصداً الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة

المشار اليه

المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة
الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى
قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها
من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله تعالى فيكيدوا لك كيداً فانها داخلة على
المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه في دين الملك استئناف
وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن
لياخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه
قاله قتادة الا به لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي
نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك
الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية
اليه جميعاً من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح
مرتباً لكن لا على ان يكون القصر المستفاد المجرور ماخوذاً بالنسبة الى غيره مطلقاً على معنى مثل
ذلك الكيد كدنا لا كيداً آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين
الملك في شان السارق قطعاً اذ لا علاقة بين مطلق الكيد بين مطلق القيد ودين الملك في امر
السارق اصلاً بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له
ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري
مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا
ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا
اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتباً علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ
وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن
ياخذ اخاه لعلة من العلل او لسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى والا بسبب مشيئته
تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده ديناً لاسيما
عند رضاه وافتائه به ليس مخالفاً لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله
ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغييره مخل بالاتصال
وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق
بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عن اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور
اذ ذاك وارادة عجزه مطلقاً تؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من
احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي
لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات اي رتباً كثيرة عالية
من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى

من نشاء اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة
الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل
لها من الاعراب وفوق كل ذى علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه واعلم انه
ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية
من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع فى رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة
لاستبقاء اخيه مما تم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا
من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم
ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله تعالى نرفع
درجات الى قوله عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك
بحيث لا يعزب عن علمه شىء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم
عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه
وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفى بمرامه
فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء
المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض
لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة
على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم
المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا
تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحى والتعليم والمعنى مثل ذلك
التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدى الافتاء الذى سيصدر
عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا
وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها
وقوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق
كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى
والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء
بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى
درجته ويجوز كون العليم فى هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اى وفوق كل من
اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق
يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه
من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه
منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام
فاحتالت لاستبقاء يوسف فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت

فقدت

فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى
سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ فى صباه صنما لابى امه
فكسره والقاه فى الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه فاسرها يوسف اى اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا فى نفسه لا انه اسرها
لبعض اصحابه كما فى قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم
وحلما وهو تأكيد لما سبق قال اى فى نفسه وهو استيناف مبنى على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار
المذكور كانه قيل فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا
اى منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير
للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اى عالم علما بالغا الى اقصى المراتب
بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا
لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيفما وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين
مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم
مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا فى السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو
علالة به يتعلل عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس لنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة
انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك
قال معاذ الله اى نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه مضافا
الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم
فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته
على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما
يستبد به بل هو منوط بآراء اولى الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق
سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب فى الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون
وجدان الصواع فى الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اى اذا اخذنا غيره من وجدنا متاعنا عنده
ولو برضاه لظالمون فى مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذى اريد بالكلام فى
اثناء الحوار وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرنى بالوحى ان آخذ بنيامين
لمصالح علمها الله فى ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحى فلما استيأسوا
منه اى يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت
لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده
فى اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته
ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اى ذوى نجوى على ان
يكون بمعنى التنجوى والتناجى او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر
والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجى كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر

من الزفير والزئير قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهودا او رئيسهم
وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا
عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى
وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم في يوسف
قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما
مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم
موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا
ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف
وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم
السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه
واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة
ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر
من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب
عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة واما النصب
عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع
على ما ذكره وذكرهم اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق
ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم
كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي
بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب
روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن
صيحة لا تبقي بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه
وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم
سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا
البلد بذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة
الامر كما شاهدنا ام بخلافه او وما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى بهذا
الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسال القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها
لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسالهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها
فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعاء وانا لصادقون

تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب عليه السلام وهو استيناف مبني على سؤال نشأ مما سبق
فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا
وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان
وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم
فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم
ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم امرا من الامور
فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا
اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا
يا اسفى تعال فهذا اوانك وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة
الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده آخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما
بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى
وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا يرى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف
مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى
الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين ونظائرها وابيضت
عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر
قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من فراق يوسف
الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط
وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف
فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده
ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم
لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور
وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود
بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم
عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده
ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده
على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير

جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي
كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم التباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات
يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او
مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد
قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث
اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا
بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلي
وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لديه في دفعه وقرئ بفتحتين
وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب
رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت عليه السلام
في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني
اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي اطلبوا من يوسف
واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله
اي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشادهم
الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف
لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم و
انما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر
والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة
الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا
وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة
وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة و
تحريك سلسلة المرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي تممه لنا وتصدق علينا برد اخينا اليه
قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة
او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم
بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به
استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال والخضوع على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين
فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام
حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا لما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا

بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلالهم له
بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو
سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون
عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم
من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف بطريق الوحي او الالهام على
وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل
اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه كتاب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح
الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت
يداه ورجلاه ورمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى
البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن
وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل
بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر
كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام
قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم
فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان
لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أإنك أو أنت يوسف على معنى أإنك يوسف او انت
يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن
مسئلتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما
لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حتى يفيده قوله قد من
الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي
قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد
الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه
لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله
او يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن
المعاصي التي يستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع
المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله
علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان
كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة

والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم
الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك
غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب
او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنته له فما ظنكم بسائر
الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفى عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة
وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام
ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك بما فرط منا فيك
فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاول ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث
علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي
كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبرئيل عليه السلام بارساله
اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
يكن بصيرا او يبصره قوله واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء
والذراري قيل انما حمل القميص يهودا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته
وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير
خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس
ولما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله
سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون
اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني
قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط
محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير
وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه
فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب
لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله
اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه
وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس
ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سأل
البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام
قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه
ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء

مشعر ٥

الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهما
بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره
الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه قد عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده
انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين
عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبرائيل عليه السلام فقال الله قد اجاب دعوتك
في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم قبل الانباء
وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة
وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه
فاستقبله يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام
وهو يمشي متكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل ولدك
فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب
بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكان حين
خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى
وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه اي اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام
كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب
تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التأويل ومعنى آوى
اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه
قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط والمكاره قاطبة والمشية متعلقة بالدخول
على الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله الاخوة
وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة
كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل
ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى
وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي التي رايتها وقصصتها عليك من قبل في زمن الصبا
قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله
اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان
الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا
لرؤياه وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء
كما في قوله تعالى وبالوالدين احسانا وقيل ضمن احسن معنى لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله

ان ربى لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن
بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع
الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما تضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا بالاغواء واصله نخس الرائض الدابة
وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك
الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب
ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شيء على
قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق
والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني
ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبرائيل قال او ما تسأله قال
انت ابسط اليه مني فسأله قال جبرائيل الله امرني بذلك لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني
وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه
اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره
وعلم انه لا يدوم له وتاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد آتيتني من الملك
اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد
بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام
فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر
لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور
وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك
وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه وانما الواقع ههنا
مجرد التأخير في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات
والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه
بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في الدنيا والآخرة
او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذا قد اتممت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما والحقني
بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعى
توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال
فرأوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمر عليه ثم يصل الى مصر
ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون ولنون يوشع فتى
موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنوا اسرائيل تحت
ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء

في حكم البعد

في حكم البعد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ وخبره من انباء الغيب الذي
لا يحوم حوله احد وقوله تعالى نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك
اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم اي لدى اخوة
يوسف اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل
حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد
مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر
لكونه مطلع القصة وانتحى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك
اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا
ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في
ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل
الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس
ذلك الحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت

مكه ص

اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين لتصميمهم على
الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا
اذا اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما
تسألهم عليه اي على الانباء او على القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر
عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكأين من آية اي كأي عدد شئت من
الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه
الآية التي جئت بها في السموات والارض اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها
ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها اي يشاهدونها
ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤون
الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة
وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن
اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور
والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل
في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم
وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير
مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص فسرها بقوله

ادعوا الى الله على بصيرة : بيان وحجة واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاضافة
انا : تاكيد للمستكن في ادعوا او على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة . ومن اتبعني عطف
عليه . وسبحان الله وما انا من المشركين : موكد لما سبق من الدعوة الى الله . وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا : رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملئكة . نوحي اليهم : كما اوحينا اليك وقرئ بالياء . من اهل
القرى : لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة . افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم : من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك ولدار
الاخرة : اي الساعة او الحيوة الاخرة . خير للذين اتقوا : الشرك والمعاصي . افلا تعقلون : فتستعملوا
عقولكم لتعرفوا خيرية دار الاخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل . حتى اذا استيأس الرسل
غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم
قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في
الطغيان من غير وازع . وظنوا انهم قد كذبوا : كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم
رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا
جاءهم نصرنا كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر
فان ذلك صح عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس واما عنه بالظن فهو مثل
للخطب واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء
عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شئون الله سبحانه منزلتهم وقيل الضمائر للمرسل اليهم
وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما حدثوا
به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم . فنجي من نشاء : هم الرسل والمؤمنون
منوا بهم وقرئ فنجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا . ولا يرد باسنا عن القوم
المجرمين : اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية . لقد كان في قصصهم : اي قصص الانبياء
واممهم او قصص يوسف واخوته وقرئ بكسر القاف . عبرة لاولي الالباب : لذوي العقول
المبراة من شوائب الحكام الحس . ما كان : اي القران المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا
يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه : من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه من . وتفصيل كل شيء : مما يحتاج اليه في الدين
اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القران بالذات او بوسط . وهدى : من الضلالة . ورحمة :
ينال بها خير الدارين . لقوم يؤمنون : اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما غيرهم فلا يهتدون به
ولا ينتفعون بحدوثه . عن الرسول صلى الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد

مما تمت الجزء الاول
بعون الله رب العالمين امين